

الرحلة اليابانية

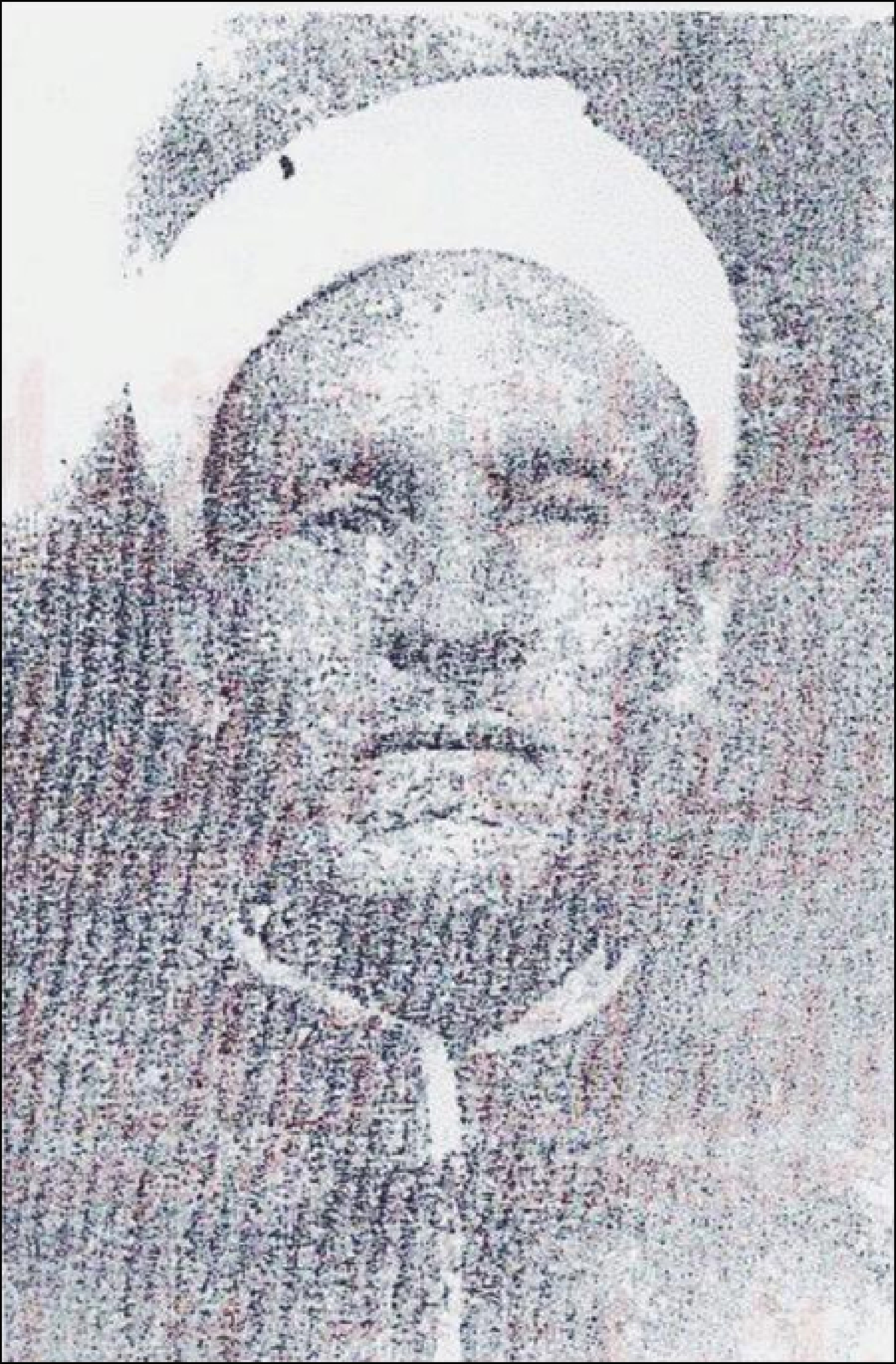
[رحلة أزهري إلى اليابان للدعوة إلى الإسلام]

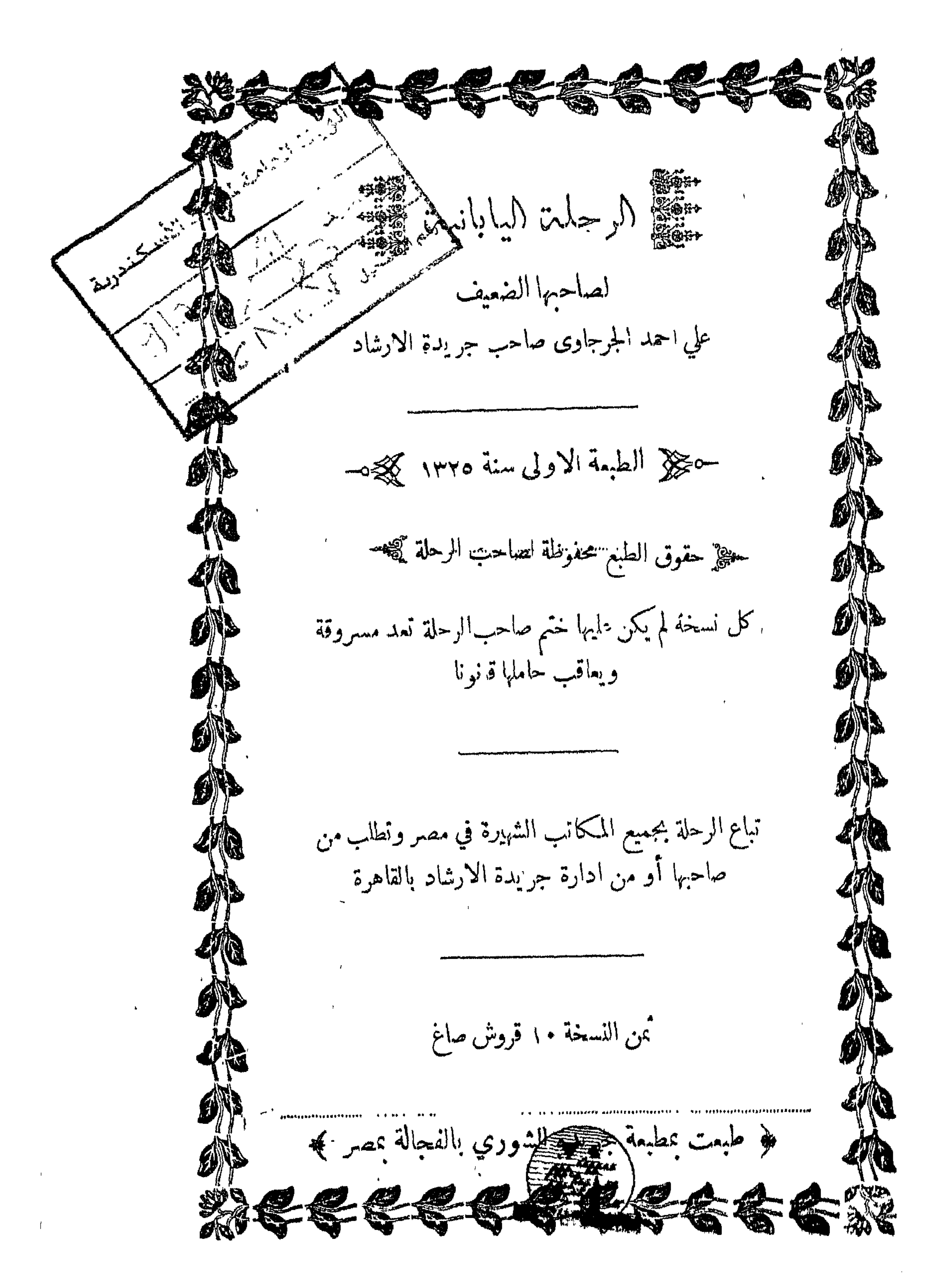
للصحفي الأزهري الشيخ

علي أحمد الجرجاوي

(المتوفى سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م)







الرحلة اليابانية

لصاحبها الضعيف

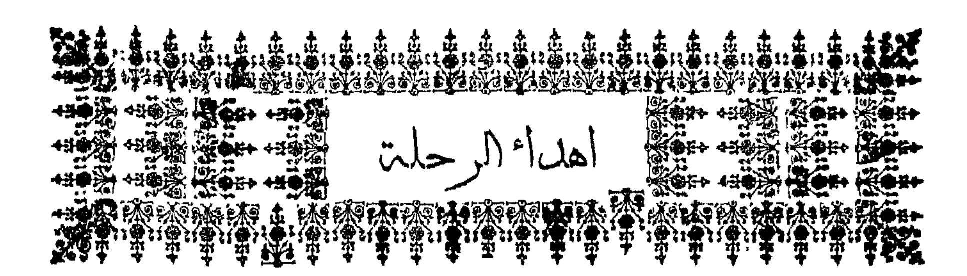
علي احمد الجرجاوي صاحب جريدة الارشاد

الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥

تباع الرحلة بجميع المكاتب الشهيرة في مصر وتطلب من صاحبها أو من ادارة جريدة الارشاد بالقاهرة

ثمن النسخة ١٠ قروش صاغ

طبعت بمطبعة الشوري بالفجالة بمصر



ان للمادة حكما لا يمكن الخروج عنه وقد سن الادباء قديما سنة احتذى مثالها ونسج على منوالها من جاء بعدهم من أهل حرفتهم . ومن تلك العادات وهاتيك السنن ان يؤلف العالم والكاتب في فنون شتى مؤلفات برسم بعض الاكابر والاعيان وليس لهم حظ ما . في الفوائد المادية اللهم الا اذا سمت اليهم بنفسها وانما جل قصدهم من تأليف الكتب برسم الاعيان زيادة الاعتناء بها لدى الكافة وان كانت في الدرجة القصوى من البلاغة وجلالة الموضوع . والذى قوى عندهم العزيمة على التأليف اقبال الاكابر على مطالعة المؤلفات المفيدة في الاوضاع الجميلة .

هذا كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان الفه برسم الخليفة المتوكل وكتاب العقد الفريد للملك السعيد

وكتاب الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية ألفه الامام محمد فضل الحق الخير ابادي وأهداه الى مليك بلاده محمد سعيد خان بهادر . ولو أردت احصاء المؤلفات المهداة الى الامراء وأهل الفضل والادب لغلطت في العد وضاع الحساب

هذا واني وضعت هذا السفر في رحلتي الى بلاد اليابان واودعته من اخبار تلك الامة الراقية ما تغني مطالعته عن النديم والسمير ومن اشياء

شاهدتها في ذهابي وايابي في البلاد الاخرى رأيت من اتمام الفائدة ذكرها في هذه الرحلة .

وحسبي شرفا أنها رحلة اول مصري وطئت قدمه تلك الارض من قديم الزمان الى الان . وقد اتبعت سنة اولئك المؤلفين ولكن رأيت أن أهدى رحلتي الى كل عالم واديب في مصر خصوصا الناشئة الحديثة التي هي موضع آمال الامة

وهنا مقصد آخر أرى من الضروري الالماع اليه . وهو اننا اصبحنا في عصر تتسابق فيه الامم الى احراز قصب السبق في ميدان الحضارة فأجدر بالشبيبة المصرية أن تطالع مثل هذه الرحلة ليروا أن في الشرق أمة في الثلاثين ربيعاً من سني حياتها الجديدة تنظر اليها الامم الاخرى نظر الاجلال والاعتبار حتى اذا قرؤوا مالم يصل الى علمهم عنها دبت في نفوسهم الحمية فنزعوا رداء الكسل . وقالوا حي على خير العمل . فاذا عرف هذا علم أنني لم اتحمل الاخطار ووعثاء الاسفار ولم اعتمد في الانفاق الا على الخلاق الاجل نفع بلادي وخدمة ديني وجامعتي وهذا هو أول مبرر لوضع هذه الرحلة (علي أحمد الجرجاوي) .



بسم الله الرحمن الرحيم

قد كتب الكتاب في باب المفاضلة بين الاقامة والسفر . وتفنن المنشؤون الادباء الذين يتصرفون في أساليب التراكيب ما شاء الله لهم ان يكتبوا ويتفننوا .

بيدأن الذين يرجحون الاقامة من بينهم قليل ما هم . بل يمكننا ان نحكم بالاجماع على ان اغتراب المرء عن وطنه ومسقط رأسه وتنقله في البلاد واستطلاع عوائد واحوال الامم والشعوب الاجتماعية مما يزيد في معرفته بسر هذا الوجود و يظهر له ما خفي منه وراء ستار حب الدعة والاحجام عن الاقدام على عظيمات الامور .

على ان الاسباب والبواعث التي تسوق المرء الى استسهال كل صعب والاستهانة بكل خطر يعترضه وهو ناء عن اوطانه قد تختلف في القيمة والاعتبار وان كان مجموعها متحدا في افادته ما لم يستفده في الاقامة مهما علا كعبه وارتقت درجته بين الطبقة المتنورة بنور العلم من امته

فمن الناس من يخالف الاسفار في سبيل الاتجار وانماء الثروة ومنهم من يضرب في الارض ويقطع الطول منها والعرض . منقبا في مجاهلها مفتشا في مناكبها عن غامر يستعمره . او معدن يكتشفه . ومنهم من يعاشر الامم المباينة له في الجنس والدين والعادة فينقل الي ساسة الامم ومدبري الممالك مالا غنى لهم عنه حيال وظيفتهم في المجتمع الانساني .

ومنهم من يتحمل ألم الغربة ولوعة فراق الاهل في سبيل طلب العلم والاستنارة بنور العرفان. ومنهم من يجوب القفار. ويركب البحار لاكتشاف جيل من الناس لم يكن قبل معروفا . ومنهم من ينتقل بين الشعوب العريقة في الهمجية والتي لادين لها لنشر تعاليم دينه واصول مذهبه غير مبال بما يعترض طريقه من أنواع الخطر . وصنوف وعثاء السفر .

فهذه كلها غايات حميدة . وبواعث شريفة . تبرر العمل على الوصول اليها . والحصول عليها . وان تفاوتت اقدارها من حيث الفائدة العائدة منها على الانسان .

هذا وقد كنت اقرأ في الصحف المحلية ما تنقله من الانباء المتواترة بانعقاد مؤتمر ديني في بلاد اليابان بامر الميكادو والحاكم على تلك البلاد وتوجه البعثات الدينية من المسلمين وغيرهم لحضور هذا المؤتمر الذى تنحصر اعماله فى البحث في اصول كل دين فكنت اتابع الكتابات في كثير من اعداد جريدتي (الارشاد) حاضا على تأليف وفد من افاضل العلماء المصريين للاشتراك مع الوفود الاخري لحضور جلسات هذا المؤتمر ونشر التعاليم الدينية الاسلامية بين امة الشمس المشرقة .

اذ مسلموا مصر اولى بأن يحوزوا هذه الفضيلة لوجود الازهر بين ظهرانيهم وهو المدرسة الدينية الوحيدة في العالم الاسلامي التي يقصدها الطلاب المسلمون من كل قطر ومن كل بلد

كما ان غيري من ارباب الصحف الاسلامية ضم صوته الى صوتى ولكن لما لم أجد في الهمم انبعاثا ولا في العزائم نشاطا . طفقت أبحث عن من يرافقني من اخواني المسلمين في الرحلة الى اليابان للدعوة الي الاسلام

فكان ذلك اندر من الكبريت الاحمر .

وبينما انا كذلك واذا برجلين فاضلين من علماء وحكماء بل وفلاسفة هذا العصر الحاضر وفقهما الله لي ان يذهبا معي الى هاتيك البلاد .

احدهما صاحب الفضيلة العلامة الشيخ احمد موسي المصري المنوفي امام المسجد الكبير بكلكته عاصمة الهند. وثانيهما من افاضل المملكة التونسية في الاصل (لم يرد ذكر اسمه) هذان الفاضلان كانا خاطباني في هذا الخصوص ورغبا في مرافقتي الى اليابان لهذا الغرض الشريف والمقصد المنيف وقد قالا فيما خاطباني به آنفاً لا نقصد الا وجه الله الكريم وخدمة الدين القويم .

ولم اكد اسمع كلامهما هذا حتي اعلنت عزمي على صفحات الجرائد العربية اليومية والاسبوعية التي نقلت عنها جرائد الاستانة والهند والافغان وقازان وغير ذلك من الجرائد السيارة .

وفيما جاء في اعلاني اني لا أقبل درهما واحدا من احد من الناس على سبيل المساعدة المادية حتي ولا قيمة اشتراك جريدتي .

وهذه يدي رهينة بذمتي أني لم اكن أردت باعلاني هذا شهرة وحسن سمعة وجميل ذكر . ولكن توقعت من بني وطني اتهامي باني اتخذت هذه الرحلة حبالة لصيد الدرهم والدينار . لا العمل لوجه الله الكريم . فاردت نفي ما عساه يعلق باذهانهم من اتهامي بهذه التهمة .

اما الآن وقد انفذت عزمي وأمضيت في رحلتي هذه نحو الثمانية شهور . فقد رأيت من الواجب على أن اسطر ما شاهدته في ذهابي وايابي في هذا السفر . افادة لابناء وطني عموما والذين يهمهم الاطلاع على احوال

الامم الاخرى خصوصا . واقتداء بكل رحالة من الغربيين يغادر أهله وبلاده ثم يعود اليها محتقبا من غريب الاخبار ما تغني مطالعته عن لحن الاوتار ومؤانسة السمار .

واني لم اقصد برحلتي هذه في الحقيقة مجرد الاشتراك مع الذين ذهبوا الى اليابان في نشر تعاليم الدين الاسلامي . بل كانت رغبتي متوجهة ايضا الى استطلاع احوال هذه الاصقاع ومقدار ما وصلت اليه من المدنية وتقدمها في العلوم شأن من سبقني من السائحين .

وقد ضربت صفحا عن تسطير أغلب ما دار في المؤتمر وعلمته من المدونات الرسمية من المحاورات وخلافه . وعن تسطير كل ما ألقيناه في جمعيتنا من القواعد الدينية . فان ذلك يدعو الى التطويل . فضلا عن كون الكتب الدينية الاسلامية مشحونة به مع قرب تناولها .

وليس من شروط كتب الرحلات ان يعقد فيها فصول وأبواب في الحج وفرائضه والصلاة وأركانها والزكاة والحكمة الموجودة فيها . وان المندوب العثماني قال في جلسات المؤتمر كذا . فرد عليه المندوب الايطالي بكذا . ففنده الاول بكذا . لانه اسهاب ممل . بل تطويل مخل . في مثل هذا الجزء

وانما ننشر بعض الاشارات الى نفس المواضيع التي ألقيت في جلسات المؤتمر وفي جمعيتنا والتكلم عليها قليلا .

***

وكل ما ذكرته في رحلتي هذه ليس له مصدر الا المدونات الرسمية التي نقلت عنها . او المشاهدة الحسية . او السماع من أوثق المصادر .

لان تدوين الرحلات هو وتدوين الحوادث التاريخية صنوان . فاذا لم توفق فيها بالخبر الصحيح كانت أساطير وأباطيل . بل جناية كبري يجتنيها المرء على الانسانية والاداب .

✱ خواطر وأفكار بين مصر والاسكندرية ✱

في صبيحة يوم الجمعة ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٦ افرنكية أخذت الاهبة للسفر وما وصلت الى محطة القاهرة حتى رأيت لفيف الاصدقاء والمحبين قدجاؤا لوداعي . وما أصعب موقف الوداع وأشده تاثيرا في النفس : فكنت أطارح اخواني عبارات الوداع والدمع في الجفن حائر . حتى اذا تحرك القطار أسلمته المحاجر ولما بعد القطار قليلا

اشاروا بتسليم فجدنا بأنفس　　تسيل من الآماق والسم أذمع

وما زال القطار سائر الهوينا حتى اذا اجتاز المنحني واستقام له الطريق أخذ ينهب الارض نهبا لا يشق له غبار وتضل دون شأوه الانظار وكنت في هذه الحالة أودع القاهرة وملك الفراعنة وكلما ابتعدت عنها تضاءلت في نظري تلك الصروح الممردة والقصور الشامخات حتى غابت عن لحظ العين ولم أعد أنظر الا الى منارتين يلوح للناظر اليهما من هذه المسافة أنهما ركبتا على قنة جبل المقطم فعلمت أنهما منارتي جامع القلعه الذي انشأه (محمد علي باشا) رئيس العائلة الخديوية الذي كانت توليته على مصر مفتتح تاريخ جديد لها وفي هذه اللحظة عاودتني ذكري الحوادث التي حدثت على عهده في هذه البقعة وأخصها حادثة دعوة المماليك الى الاحتفال بوداع الجيوش الذاهبة الى حرب الوهابين فاخذهم على غرة منهم واعمل فيهم السيف حتي افناهم عن

آخرهم ولم ينج منهم الا المملوك الشارد . وما زالت ترد على ذاكرتي الوقائع التى ولدتها الايام في عهده حتي وقف القطار على محطة قليوب وحينئذ خطر بذاكرتي سعادة الشوراني باشا الذي له أثر اليد البيضاء على هذه البلدة وخلد بمآثره فيها ذكرا جميلا تذكره به سكانها كلما ذكر الكرام الذين خدموا الانسانية بجاههم وأموالهم وكل ما في وسعهم حتي سار مدحهم في سائر الازمان والاجيال مسير الامثال

و بعد أن قام القطار من قليوب صرت في حالة مدهشة وأسف شديد كاد يترك الكبد فلذا وما ذلك الالذكراي ان أول جلسة للمحكمة المخصوصة عقدت لمحاكمة قاطني هذه البلدة وتسرب الفكر حينئذ الى حادث دنشواي لانه كان قريب العهد بالحدوث فشعرت بالتهاب بين الجوانح وسمعت في أعماق قلبي أزيزا كأزيز المرجل وكان الفؤاد يرشق بنبال تكسر فيه النصال على النصال

فأخذت ألتمس الوسائل التي بها أنفس عن قلبي الغمة بمحادثة بعض الركاب تارة وبالقراءة تارة أخرى حتى وقف القطار على محطة بنها . فنظرت الى محل السراى التى كان يختلف اليها المرحوم عباس باشا الاول والتى استشهد فيها ولم يذكر أحد من المؤرخين هذه الحادثة بالتفصيل . ولذلك كانت الحقيقة غامضة ولن تزال كذلك ضميرا مستترا في صدر الايام . ومهما تكون الباحث عن أسباب التعدى على هذا المقام الرفيع فلا يكون مبلغ علمه الا أن التنافس في الملك والتحاسد عليه قد يوقع الملوك في مثل هذه الاخطار . وليست هذه بالاؤلى في الاسلام وحوادث ملوك الانام

ثم صار القطار حتى وصل الى مدينة طنطا وهي في الدلتا بمنزلة القلب من الجسم ووجه الشبه بينهما ان عند هذه المدينة تجتمع كل أطراف خطوط السكك الحديدية التي في انحاء الدلتا كما أن القلب يجتمع عنده أطراف العروق التى توزع الدم على سائر أنحاء الجسم

وبمجرد وقوف القطار قرأت كما قرأ غيرى من المسلمين المسافرين فاتحة الكتاب المبين مستمدا بها الرحمة لروح ولى الله سيدى احمد البدوي رضي الله تعالى عنه متوسلا به اليه لان يجعل لى من أمري مخرجا ومن كل ضيق فرجا

وفي هذه اللحظة خطر بذاكرتي رجل الدنيا وواحدها ومحسن مصر الكبير ذى الايادى البيضاء والهمة الشماء من هو فى عقد الكرماء اليتيمة العصماء المرحوم احمد باشا المنشاوى أمير الغربية وبطل القرشية

فنظرت نظرة في تاريخ حياة هذا الرجل العظامي العصامي فاذا هو مملوء بالحوادث الغريبة والوقائع المدهشة

ومن العجب أن المصريين لا يذكرون لهذا الرجل إلا مبراته الجمة وأحساناته التي طوق بها جيد الانسانية ولم يأت بمثلها مصري غيره على كثرة عدد الاغنياء فيهم من أمثاله ٠

على أنه لم يكن في الكرم أقل منه في النجدة والشهامة وأباء الضيم وأغاثة الملهوف فقد حفظ له التاريخ حادثة مذبحة طنطا في أبان الثورة العرابية حيث رد يد الثائرين عن المسيحيين واليهود القاطنين في طنطا وآوى منهم نحو الألفي نسمة الى سرايه بالقرشية وآمنهم وحملهم الى بلادهم على نفقته الخصوصية بعد أن دفن موتاهم وتلطخت ثيابه بدمائهم

حيث كان يحملهم وهم مطاردون في الشوارع والازقة ويضعهم على العربات .

وقد أهدته الدول الاوربية جزاء هذا الجميل بنياشين علقها على صدره مكان الدماء ولولا خوف الاطالة لذكرت من حوادثه الغريبة شيئاً كثيراً .

وقد نظم بعض الشعراء قصيدة ضمنها الحوادث العرابية وغيرها من مسائل شتى تتعلق بالمنشاوى باشا جاء فيها ما يأتي

على يوم طنطا في الزمان تحية ... يعم شذاها كل باد وحاضر

رأى قوم موسى والمسيح كأنهم ... سوام أتيحت يوم نحر لجازر

فكشف عنهم فادح الكرب بعدما ... كسا الارض ثوبا بالدماء المواثر

فشتت شمل الثائرين كأنهم ... فوارط أسراب النعام النوافر

على صفحات الظلم خطت يد الاسى ... ولا قلم غيري المدى والخناجر

فكم من محيا في النجيع مضرج ... وبطن خميص قد أصيبت بباقر

* وأم وليد غادرته برغمها ... فريسة أنياب المنايا الكواشر

وكم قاصرات الطرف أصبحن بالعرا ... حواسر عما في ضمان المآزر

تمزق أيدي الظالمين جسومها ... فيالك من أيد منيت ببائر

يصحن بميمون النقيبة لابن ... أخي نجدة حامي الحقيقة ثائر

اذا لجأ الداني اليه فقد بني ... له معقلا بين النجوم الزواهر

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... محامده ممدودة في الجرائر

***

ولما غادر القطار مدينة طنطا ووصل الى محطة كفر الزيات واجتاز

الكوبري الممتد على النيل ذكرت في الحال ما وقع لاميرين من امراء العائلة الخديوية في عهد اسماعيل باشا أذ كان هذان الأميران راكبين في قطار السكة الحديدية قاصدين الاسكندرية ولما وصل القطار بهما الى كفر الزيات كان الكوبرى مفتوحا على خلاف العادة فسقط القطار فى البحر وغرق كثير من الركاب وممن غرق أحد هذين الاميرين ونجا الآخر فيمن نجا . ولهذه الحادثة ذكر باق الى الآن في افواه العامة والخاصة ولكن المؤرخون أغفلوه كأنه لم يكن من الحوادث ذات البال في تاريخ مصر السياسى وما قلناه من خصوص السبب في قتل عباس باشا الأول في سراى بنها يقال في هذه الحادثة .

وهكذا بقيت مفكراً في صروف الايام والليالي التى كانت أرض مصر مرسحا لتمثيل رواياتها حتى وصلنا الى محطة الاسكندرية .

*
* *

ما هي الاسكندرية وما حوادثها

الاسكندرية هى أكبر مدن القطر المصري بعد القاهرة وثغرها الاكبر في منتهى شمالها على البحر الابيض المتوسط . اختطها اسكندر الاكبر المقدونى حين استيلائه على مصر وانتزاعها من يد الفرس وجعلها مقراً للملك وذلك في سنة ٩٥٤ قبل الهجرة الموافقة سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وكان فيها من الآثار سلتان عظيمتان نقلت أحداهماالي نيويورك بالولايات المتحدة في قارة أمريكا والثانية الى لندن عاصمة انكلترا وقد قيل أنها كانت بها منارة من أغرب ما صنعته يد الانسان حيث ركبت مرآة فيها كانت تصوب نحو مراكب العدو واذا قصد الاسكندرية فتحرقها عن آخرها

وفي عهد استيلاء ملوك البطالسة على مصر كانت الاسكندرية محط رجال طلاب العلوم من سائر الامم حيث أنشئت بها مدرسة عظيمة لتلقي فنون الطب والفلسفة والرياضة وغير ذلك من العلوم . وقد تخرج منها كثير من فحول العلماء والفلاسفة والحكماء . وقد أنشئت بها دار لكتب حوت نفائس المؤلفات في تلك العصور .

ولا ندري من أى طريق استدل المؤرخون الذين ينسبون حرق هذه المكتبة الى سيدنا عمرو بن العاص بأمر أمير المومنين سيدنا عمر ابن الخطاب. فأنه محض اختلاق منهم. وليست هذه بأول أكذوبه افتراها المؤرخون على الاسلام والمسلمين والصحيح ان هذه المكتبة احرقت في عهد جول احد امبراطرة الرومان.

***

وفي ذلك العهد ترجمت أول نسخة من التوراة من اللغة العبرانية الى اليونانية بواسطة سبعين حبرا من احبار اليهود .

وقد طرأ على الاسكندرية كما طرأ على غيرها من المدن الشهيرة أطوار كثيرة وأحوال شتى . ولكنها لم تزل أكبر ثغر في أفريقيا على البحر الابيض المتوسط وهى آخذة في التقدم مدنية وحضارة .

مكثت في الاسكندرية سبعة أيام وأنا أتجول في شوارعها مشاهدا ما صنعته يد المدينة الجديدة فيها فكنت أتخيل أني في بلد أرباوية لان مركزها الجغرافي التجاري جعل عدد الاجانب فيها من كل جنس يكاد يعادل عدد سكانها الوطنيين . فحيث مررت تجد حوانيتهم ومساكنهم ومحال تجارتهم .

ولما كانت هذه المدينة من القطر المصري بمنزلة الباب من المنزل

كانت عرضة لأول قنبلة من قنابل الاسطول الانكليزي الذى أتى في عهد الثورة العرابية لقمع الثوار بقيادة الأميرال ولسلي وسيمور فضربت في يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ وبينما كانت قنابل الاسطول الانكليزى تخربها فى الخارج كانت الثوار يحرقونها في الداخل وحصلت في هذا الحين مذبحة هائلة بين الوطنيين والاجانب نهبت فيها أموالهم وأريقت دماؤهم .

وبعد هزيمة العرابيين ودخول الجيش الانكليزي عاصمة القطر المصرى صدر أمر الخديوى بتشكيل مجالس قضائية لمحاكمة من يثبت عليهم الجناية فى الثورة ومن لهم يد في المذابح التي وقعت في الاسكندرية وطنطا والمحلة الكبري ودمنهور فحكم بأحكام متنوعة على رجال كثيرة . وممن حكم عليه بالاعدام سليمان داود نجل داود باشا كان ضابطا في الجيش لانه هو السبب في أحراق الاسكندرية .

* * *

وأهل الاسكندرية يمتازون بأخلاق حميدة دون سائر أهل البلاد المصرية الكبرى . فهم أهل نجدة وشهامة يأبون الضيم ويسارعون الى الخيرات وحب الوطن أمر غريزي في نفوسهم مع كثرة اختلاطهم بالاجانب ومعاشرتهم لهم ومعاملتهم إياهم .

وقفة على شاطيء البحر الابيض المتوسط

بكرت ذات يوم وأنا في الاسكندرية وكان الجو صافي الاديم بليل النسيم ومناظر الطبيعة قد ملكت على العين لفتاتها . فذهبت الي شاطيء البحر فاذا هو أصفى من ساعات السرور والشمس قد ألقت عليه أشعتها

فكأنه في زرقته بساط مذهب أو لوح من البلور فيه نقوش ذهبية أجادت الطبيعة صنعها .

وكأن أشرعة السفن تذغرس على الشاطىء وكأن الزوارق في ذهابها وإيابها طيور ناشرة أجنحتها البيضاء في الفضاء . وكان ذهاب السفن التجارية قطع السحاب الادكن .

ألقيت نظري على أديم البحر فكأن السماء عند منتهي رمية الطرف قد التصقت بالبحر . فذكرت في الحال ما استدل به الجغرافيون على كروية الارض بأن المرء اذا ألقى نظره الى أبعد مسافة يرمي اليها الطرف يجد كأن القبة الزرقاء قد التحمت بالبسيطة الخضراء فاذا ذهب وقف الى حيث انتهي بصره يجد الحال كذلك فاذا استمر على هذه الكيفية طاف حول الارض وهو يحسب أنه يمشي على منبسط غير مستدير

وعلى ذكر الجغرافيا تمثيل أمامي على الخريطة وأنا أنظر ما على شواطئه من المدن والثغور وحركات عمال الجمارك وكل ذات الواح ودسر تمخر في عبابه وبينما أنا ناظر الى مارسم في مخيلتي من ثغور هذا البحر . تذكرت تاريخ مجد الاسلام بممالك الدولة العربية فرأيت كان العلم الاسلامي يخفق فوق ربوعها التي أصبحت الان في يد الاجانب بحيث لو كانت هذه البلاد والجزر والممالك الان في قبضة الاسلام لكانت دولتنا العلية تدعي سيدة البحار .

أما مصر فأدع الكلام عنها الآن لانها لم تزل تحت سيادة الدولة العلية والكلام عليها يخرج بنا عن الموضوع الذي لاجله كتبنا هذه الرحلة . كما أترك الكلام على سواحل سوريا والبوسفور وكريد والارخبيل

فأول ما ذكرني بمجد الاسلام جزيرة رودس التي ساق اليها الاسطول سيدنا

معاوية بن أبي سفيان وهو أول أسطول اسلامي ذهب للفتح في البحر فأخذ هذه الجزيرة من يد الافرنج . وعاد الاسطول الى سواحل الشام ظافرا . ثم جزيرة قبرص التي أخذتها انكلترا جائزة لها من الدولة العلية في الحرب الروسية التي حصلت معها ثم مملكة اليونان التي كانت ضمن ولايات الدولة العليـة فأصبحت الان مملـكة مسـتقلة . وقادها الغرور في سـنة ١٨٩٧ الى محاربتها وبلغت درجت الغرور لديها أنها طمعت في فتح القسـتنطينية وردها اليها بعد أن أخذهـا السلطـان محمد الفـاتح من عنمنويل سنة ١٤٥٣ ميلادية الموافقة سنة ٨٥٧ هجرية .

وما كدت أفرغ من النظر بعين المخيلة الى هذه الجزر والبلاد حتي اعترتني دهشة وقشعريرة وحزن استولى على القلب حين ماوقفت على سواحل اسبانيا .

هذه المملـكة التي كانت تمثل مجد الاسلام وفخر العرب أجل تمثيل . افتتح المسلمون هذه البلاد في عهد الدولة الاموية في بدئها حيث ذهب اليها موسي بن نصير وطارق بن زياد بجيش لم يكن كثير العدد ولـكنه كان يعادل الفرد الواحد من جنوده الفاً . وبوغـاز جبل طـارق سمي بهذا الاسم لان طارق بن زياد حين مجيئه بالسفن الى هذا المكان وأنزل الجنود عمد الى السفن فأحرقها وقال للجنود أما الموت وأما النصر . لاننا اذا نكصنا على الاعقاب فلا نجد سفنا للنجاة . فدبت روح الحماس في الجنود .

وهكذا تكون شجاعة الرجال وعظماء القواد والابطال .

وما زال موسى بن نصير يفتتح البلاد الاسبانية حتى وقف على حدود فرنسا وأخذ جزءاً عظيما منها وجزأ ايضا من البرتغال . وقد بقيت الاندلس

أربعمائة عام تقريبا وهي تحت حكم العرب وكان السلطان فيها يقال له أمير المسلمين .

وما كادت قدم العرب تستقر في هذه البلاد حتي ظهرت فيها المدنية الاسلامية بأجمل مظاهرها وكانت سوق الادب فيها رائجة بالشعراء والمؤلفين والادباء والفلاسفة مع الاخذ في أسباب الترف والنعيم من بناء القصور الشامخات ذات الرياش الفاخرة والجوارى والمماليك والقيان والغلمان الي غير ذلك مما نشاهد آثارها الان بعين الدهشة والاستغراب .

ومما يحكي أن زوجة أحد الخلفاء فيها رأت إحدي الجواري تدوس برجليها في حفرة بها طين فكاشفت الخليفة برغبتها في أن تفعل فعل الجارية فأمرها بأن تضع المسك في حفرة بدل الطين وتدوسه برجليها ففعلت . وبعد زمن وقع نفور بينها وبينه فقالت له في عرض حديثها أني لم أري منك يوما يسرني . فقال لها ولا يوم الطين فتذكرت وخجلت .

وقد نقل المؤرخون من تفنن العرب في الاندلس في ضروب المدينة والحضارة ما يغني الاطلاع عليه في محاله عن ذكره هنا .

ثم حولت نظرى الى بوغاز جبل طارق الذى أصبح الآن فى قبضة انكلترا فملكت به زمام البحر الابيض المتوسط من جهة المحيط الاطلنطيقي والذى له خبرة بحل الطلاسم السياسية يري أن انكلترا لما استحوذت على هذا البوغاز رأت ضرورة أخذ قنال السويس لسهولة الوصول الى الهند من طريق تملكها أو على الاقل يكون لها فيها امتياز بنوع خصوصي على سائر الدول . وأودعت رغبتها هذه ضمير الليالي حتي ساعدتها ظروف الاحوال

بمشتري الاسهم من اسماعيل باشا ثم جاءت الثورة العرابية واحتلت مصر فأصبح هذا القنال في حكم بوغاز جبل طارق . ولا عبرة بكونه حرا مع وجود الاحتلال .

فلو كان بوغاز جبل طارق باقيا في حوزة الخلافة مع قنال السويس وبوغاز البوسفور لكانت دولتنا اليوم قابضة على البحر الابيض المتوسط ولكان نفوذها فيه لا يعادله نفوذ أية دولة اخرى .

ثم عطفت نظري الى المملكة المراكشية وتأملت أحوالها السياسية والاقتصادية وماضي تاريخ ملوكها وما كانت عليه من الاستقلال التام قبل انعقاد مؤتمر الجزيرة الذي جعل استقلال هذه المملكة صوريا .

فلو كانت هذه المملكة سائرة على نهج الترقي المادى والادبي الذي سار عليه من قبل ملوكها من عهد دخول العرب الى أسبانيا لكان لنا بها بعض العزاء على ضياع الاندلس من يد العرب .

على أن وقائع العبر لم تؤثر على مراكش التأثير الذي يجعلها تحافظ على البقية الباقية من استقلال الممالك الاسلامية في الغرب .

وأى العبر لديها بعد فقد تونس والجزائر من يد ملوكهما وامرائهما وطموح إيطاليا الى امتلاك طرابلس الغرب ثم احتلال انكلترا لمصر

***

اجتمعت اساطيل دولتى فرنسا وأسبانيا في مياه طنجة لاجل تنفيذ مواد مؤتمر الجزيرة وهذه المواد لم تضمن غير اجراء نظام جديد واصلاح حسن مضمون الفائدة في بعض الوجوه الادارية في المملكة المراكشية .

وكان الاولى أن يكون للمراكشيين وازع من أنفسهم باجراء هذه

الاصلاحات بدون تداخل لاية دولة أجنبية . ولكنها الدول كالاجسام تمرض وتعالج .

على ان منزلة مراكش بهذا الاعتبار كما يقول الشاعر (ألم المريض عقوبة الاهمال) .

أما مملكة تونس فلا اقول كلمة عنها في هذا الموضـوع من حيث احوالها الحاضرة والغابرة . ولكن اقول ان عاصمة هذه المملكة إذا قرأنا تاريخ الأدوار الزمانية التى مرت عليها نقف موقف الدهشة والاستغراب في تحويل الاحوال وتصرفات الدهور . وسنفيض الكلام عنها عند ذكر قدومي اليها وعن فرنسا التى تداخلت في شؤون المغرب الاقصي وامتلكت الجزائر ووضعت الحماية على تونس .

وامتلاك فرنسا للجزائر يبين للمطلع عليه كيف يكون امتلاك دول اوربا للبلاد الاجنبية عنها اذ ربما حكمت الملايين من النفوس فدية لفرد واحد من رعيتها .

فقد نقل الرواة أن سبب أخذ فرنسا للجزائر هو أنه حصل شقاق بين أميرها وسفير فرنسا أدى الى ان يضرب الامير السفير بمنشة كانت فى يده . فانتقمت فرنسا لسفيرها باعلان الحرب التي للامير عبد القادر الجزائري فيها ذكر مشهور فاحتلتها وامتلكتها بعد نفي الامير عبد القادر الى بلاد الشام .

وسأجعل الكلام على سياسة فرنسا في الجزائر مدمجاً فى الكلام على تونس عند ما أصل الى موضعه

وقف بي التأمل في أحوال ممالك الاسلام الواقعة على شاطيء البحر الابيض

المتوسط عند حدود طرابلس الغرب فشبهتها وهي بين ملك الدولة العلية وطمع ايطاليا بلقمة سائغة في يد رجل بخيل حريص يشتهيها على طمع وجشع .وآخر يتحين الفرص لاغتيالها . وليس لهذه المطامع الاوربية حد تقف عنده . بل هي تطمع في تمزيق جسم الدولة العلية واقتسامها بينها

*
* *

الى هنا كنت قد مللت من الوقوف على شاطىء البحر الابيض المتوسط كامل خاطري من الجولان على سواحله في البلاد الاسلامية . تارة بالنظر الى حالتها الحاضرة . وحينا بقلب صفحاتها التاريخية . وبقراءتي ماطرأ عليها من تقلبات الزمان ومادهاها من طوارق الحدثان .

فليتامل ذو اللب الحكيم الى هذه الممالك وليقدر الاسلام قدره لو كانت كلها متحدة الكلمة عاملة على ترقية الشعب حاكمة نفسها بنفسها .بل ليقدر الخلافة قدرها لو كانت ممالك الغرب متحدة الكلمة مع باقي ممالك الدولة الاسلامية حيث بذلك تكون الرابطة الاسلامية الوثيقة العري رابطة مراكش بالجزائر فتونس فطرابلس فمصر والسودان وسوريا وبلاد العرب ففارس فالافغان ولا يخفى مايقوم به مسلمو الروسيا والهند والصين من المساعي الحميدة في اعزاز الجامعة الاسلامية التي تربط كل مسلمي الارض ببعضهم وتجعلهم متحدين وان لم يكونوا في حكم الخلافة الاسلاميه .

*
* *

هذا وان دول اوربا التي تتخوف من الجامعة الاسلاميه تعمل جهدها في تفريق كلمة المسلمين بدس الدسائس وقد تعبت في ذلك كثيرا

وذاقت ثمرة أتعابها .

ولما كانت الدول والشعوب تتراوح بين الشبوبية والطفولية والكهولة كان الرجاء في عوده الاسلام الى عصر شبابه ومجده وعزه ملء قلب كل مسلم نظر الى هذه الحركة الجديدة في كثير من بلاد الاسلام .

القيام من الاسكندرية

غادرت الاسكندرية على باخرة من بواخر الشركة الأطالية . وقد أقلعت الباخرة في أصيل ذلك اليوم الذي سافرت فيه ولم تمض ساعة على سير الباخرة حتي اعترى جميع الركاب دوار من البحر فباتوا ليلتهم في سكون تام وأغلبهم لم يتناول شيأ من الطعام الا في ضحى الغد .

وما كنت قبل ذلك أعلم أن بلدة تسير بأهلها على وجه الماء وذلك أن الباخرة على كبرها وكثرة عدد الركاب فيها تشبه بلدة ذات اسواق ومحال عمومية وقهاوى يختلف اليها الناس عند الفراغ من أشغالهم . حيث يوجد في الباخرة محل متسع . فيه جميع انواع البقالة . فهو حانوت من جهة . ومحل عمومي من جهة أخرى لانك تجد فيه طاولات وكراسي يجلس عليها المسافرون ويمضون أوقاتهم في لعب النرد والشطرنج والضومينو وما اشبه ذلك ويشربون في هذا المحل قهوة أو شايا أو مشروبات روحية .

وكنت كلما ضجرت من الوحدة أتوجه الى هذا المحل . وبترددى عليه عرفت أحد السوريين وكانت وجهته الجزائر لطلب الرزق في تلك البلد حيث ضاقت في وجهه طرق الكسب في الشام معللا هذا بظلم الحكام وقسوة الاحكام .

ولكن عرفت أنه ممن يذمون سياسة الدولة العلية تقليدا لاني سألته عن وجه ظلامته فلم يهتد الى الصواب المقنع . هذا فضلا عن جهله التام بحالة بلاده السياسية و لاقتصادية فظهر لى أنه ليس من اهل الطبقة التى من شأنها أن تحيط علما بمثل هذه الاوضاع . وكنت أحادثه في غير هذ الباب اضطرارا الى الانيس والسمير . وفي اليوم الثالث بعد خروجي من الاسكندرية وصلت الباخرة بنا الى حدود أيطاليا وألقت المراسى في ميناء مسينا .

مدينة مسينا

هى من مدن ايطاليا في البحر الابيض المتوسط وواقعة على مدخل بوغاز مسينا من الشرق وهي ميناء حربية وتجارية في الحالتين ذات اهمية كما أنها من اشهر مدن مقاطعة جزيرة صقلية . وهذه المدينة بنيت على نشاز من الارض او هضبة مرتفعة فترى منازلها كدرجات السلم بعضها فوق بعض وشوارعها ذات انحدار واحد يداب. ولكنها في الجملة منظمة الشوارع مفروشة بالاسفلت خالية من الاتربة وعلى جانبها المنازل والفنادق والعمارات الضخمة البناء وأسواقها حافلة بأنواع البضائع الغربية . كما أن الفواكه فيها كثيرة جدا مما يدل على أن هذه المدينة كثيرة البساتين . وبهذه المدينة قلعة بنيت في البحر بحيث تمر السفن الذاهبة الى المرفاء بينها وبين المدينه وتسمي قلعة سنتبوري وليس اتقان بنائها بأضمن لصيانتها وصيانة المدينة من نفس الموضع الذي بنيت فيه على هذا الشكل

وفي مسينا كلية كبري تخرج منها كثير من العلماء في كل الفنون التي تدرس في الكليات أسست سنة ١٥٤٩ ميلاديه اى منذ ثلاثة قرون ونصف

وفيها كتبخانة جمعت الالوف من الكتب التي لا توجد في أغلب كتبخانات اوربا وقد حدثني كثيرون بهذا ممن زاروا هذه الكتبخانة وشاهدوا ما فيها من الآثار العلمية . وفيها نحو الثمانين كنيسة من الكنائس الكبرى المشيدة البنيان المزدانة بأجل النقوش واحسن الرسوم واكبرها الكنيسة التي بناها الملك روجل

واكثر الصنائع انتشارا في هذه المدينة النسج والدباغة اذ بها كثير من معامل نسج الحرير ودبغ الجلود مع جودة الصنعة وهي قد أسست في القرن العاشر قبل الميلاد وقد جاء في التاريخ ان أول من استعمرها اليونانيون سنة ٧٣٥ قبل الميلاد . وقد تقلبت هذه المدينة في احوال واطوار شتى حتى حصلت الثورة الداخلية التي اخمدها القائد الطلياني المشهور غاليباردي ثم ألحقت باملاك ايطاليا ولم تزل كذلك الى الان . ثم أقلعت الباخرة من هذه المدينة قاصدة نابلي

مدينة نابلي

هذه المدينة هي الرابعة في ايطاليا بعد رومه وبرنديزي وفينسيا البندقية من حيث التجارة والمعارف كما أنها من أهم المواني لها في البحر الابيض المتوسط . وهي تبعد عن مسينا بمقدار ٢٠ ساعة تقريبا وكنت قبل ان ترسو الباخرة في الميناء نظرت على بعد ما شبيه شيء بمنارة المسجد فسررت وقلت لعل بهذه المدينة مسلمين لهم مسجد وهذه منارته . ولكن حينما نزلت الى البر علمت أنها فنار البحر على شكل منارة المسجد لتهتدى به البواخر ليلا الي الميناء .

ولعلمي بأن الاقامة في نابلي تستغرق عشر ساعات اغتنمت الفرصة

للتجول في شوارعها لاشاهد آثار المدنية الغربية فيها . فكنت حيثما مشيت أجد الانظار شاخصة الىّ لان الزي الشرقي المصري في نظر هؤلاء غريب

*\
* *

وبينما أنا مار في بعض الشوارع واذا بصوت مناد يقول يا محمد وكرر ذلك مرارا فالتفت فاذا بأحد الطليانيين يشير عليّ بالوقوف فوقفت وأتى لحياني بتحية المسلمين وصافحني قائلا انك شرقي ويظهر لي أنك من اهل العلم فقلت نعم . فقال لي أني استاذ في المدرسة الشرقية وأحب ان تزور المدرسة لتري كيف نعلم لغتكم العربية في مدارسنا . فشكرته على شعوره وطلبت منه مرافقتي الى السفينة لألبس ملابس غير التي عليّ حيث كنت بملابس السفر فلبى طلبي وكنت احادثه في الطريق فاذا هو يتكلم بالعربية الفصحي بغير لحن وقد اعطاني (كارتا) باسمه (توليو بزوشي) كما قدمت له (كارتا) ايضا .

ولما وصلنا الي المدرسة قدمني للرئيس والاساتذة فقابلوني بالحفاوة وبالغوا في الاحتفاء بي وكان حضرة المسيو (توليوبزشي) خاليا من حصة الدراسة في هذا الوقت فطلب مني اختبار التلامذة في اللغة العربية وتاريخ العرب . وهم خليط من الطليان والفرنسويين وغيرهم فاختبرتهم في فصولهم كلها . فدهشت لنجابتهم وذكائهم وسرعة أجوبتهم . الامر الذي جعلني اتني لو يكون اهتمام مدارسنا المصرية بلغتنا العربية كاهتمام الايطاليين بها .

وكان التلميذ اذا تكلم بالعربية لا يلحن قط لانه تلقى اللغة بحسب القواعد النحوية . كان يجيد النطق اذ تكلم بجواب عن سؤال . أوقرأ في كتاب .

وغاية الامر أن الخط العربي هناك مثل خط اهل تونس والجزائر والمغرب الاقصى ٠

ولم يقتصر القوم على تعليم اللغة العربية فقط ٠ بل انهم يدرسون لهم تفسير القرآن بطريقة عجيبة . حيث يحفظ التلميذ السور الصغيرة وبعض الآيات مع فهم المعاني ومعرفة كم من الايات في السورة مكية وكم فيها مدنية .

فلينظر المصري العربي الى هذه العناية العظمى بأمر اللغة العربية والقرآن الشريف من قوم ليسوا من العرب ولا ممن يدينون بالدين الاسلامي الحنيف وليقارن بينها وبين ما تلاقيه لغتنا في نظارة المعارف من عدم الاهتمام بها وليتخذ له بذلك عبرة .

وبعد الانتهاء من اختبار التلامذة ودعت بما قوبلت به من الاكرام الذي دل على حسن تربية القوم . ومما لاحظته في نابلى أن الاحكام فيها على جانب من الشدة والصرامة لانى شاهدت البوليس يسوق اثنين مكبلين بالحديد ولم يرتكبا الا جريمة المخالفة ٠

وقد امتازت مقاطعة نابلى عن باقي مقاطعات ايطاليا بأن اهلها يميلون الى الراحة والكسل والخمول ولذلك كثرت فيها اللصوصية والسلب والنهب وقطع الطريق على السابلة ٠

***

ويظهر أن مياه الشرب فيها في زمن الصيف تضر بصحتهم ٠ لانهم يشربون الماء ممزوجا بعصير الليمون ٠

وكان بودى ان أمكث بضعة ايام في نابلي لاشاهد ما فيها من الاثار وأطلع على أخلاق وعوائد القوم كثر مما عرفته في هذه المدة الوجيزة .

*
* *

وقد شاهدت البركان المعروف بركان (ويزوف) وهو يتثاءب دخانا . وقد قيل لى أن هذه حالته دئما ودخانه أشبه بدخان وابور الطحين ومن العجب انه فوق قمة الجبل المشرف علي المدينة وهي فى السفح قريبة منه ولا يبعدون عنه خوفا من الخطر الفتال . مع أن حوادث هذا البركان كانت تقضي علي أهل نابلي بان يبتعدوا بمساكنهم على مسافة بعيدة . حتي يسلموا من مرمى مقذوفاته التي ازهقت كثيراً من الارواح ودمرت آلافا من المساكن فى المدة القريبة .

*
* *

أعاد الى ذاكرتى وجودى في نابلى حادثتان تاريخيتان رأيت أن اذكرهما على سبيل الاستطراد . أولاهما تتعلق بساكن الجنان اسماعيل باشا الخديوي الاسبق . و ثانيتهما تتعلق بالمرحوم احمد باشا المنشاوي . وانى لا أقول شيئا عن الاولى لان امرها معلوم وأما الثانية فهى ان المرحوم احمد باشا المنشاوي لما كان في دار السعادة عقب الثورة العرابية ووشى به الواشون بأنه هاجر من مصر الى الشام فدار السعادة لاجل دس الدسائس واغراء أمراء العرب وغيرهم على مبايعة اسماعيل باشا بالخلافة وكثر مراقبوه والجواسيس لم تفارقه أينما وجد مل الاقامة في الاستانة وأراد ان يهاجر الى أوربا فحسن اليه السفر الفرنسوى أن يذهب الى تونس وأكد له أنه اذا ذهب اليها واقام بها يجد من راحة البال والاكرام مالا يجده في غيرها من بلاد

أوربا . فقبل المنشاوي باشا وعقد العزيمة على المهاجرة الى تونس ولكنه رأى أن يعرج في طريقه على نابلى حيث بها أقامة المرحوم اسماعيل باشا لمقابلته وعرض ما أشار به السفير عليه .

فلما أراد السفر من دار السعادة أعطاه السفير خطاب توصية الى معتمد فرنسا في تونس كما أخبره بأنه بعث بخطاب آخر الى المعتمد للاحتفال به عند وصوله .

غادر المنشاوى باشا دار السعادة وعرج على نابلى وقابل اسماعيل باشا وعرض عليه ما أشار به السفير فنصح له بالابتعاد عن كل الامور السياسية التي تضر بصالح الوطن ووصاه بوصايا أخري نافعة .

ويقال أن المنشاوى اطلع اسماعيل باشا على خطاب السفير فقرأه مترجما بالعربية وقد وصف السفير المنشاوى باشا بالشيخ فأستغرب ذلك وسأل الخديوى عن هذا الوصف فقال له ان لفظ الشيخ عند الاوربيين يدل على التبجيل والتعظيم .

وبينما المنشاوى جالس في احد المحال العمومية اذا برجل طلياني كان تاجرا في الاسكندرية قبل الثورة مر به وعرفه فسلم عليه وجلسا معا يتحادثان وقد سأل الرجل المنشاوى باشا عن محل اقامته فوصفه له وطلب منه أن يوالي زيارته مادام مقيما في نابلى . ولما افترقا توجه هذا الرجل الى الجمعيات الخيرية وقال لرؤسائها كيف يوجد بين ظهرانينا ذلك الرجل الذي حمي المسيحيين يوم مذبحة طنطا وتلطخت ثيابه بدماء القتلى منهم الذين كان يحملهم من الشوارع وهم جثث هامدة وآوي الالوف منهم في منزله بالقرشية وسفرهم الى بلادهم على نفقته ولم تعلموا بوجوده هنا ولم تحتفلوا به وتجروا

له المظاهرات الودية . فاجتمع أعضاء هذه الجمعيات وقرروا فيما بينهم اجراء مظاهرة الاجلال والتعظيم للمنشاوى باشا

ففي اليوم الثاني استيقظ المنشاوى من منامه فوجد المآت من اعضاء هذه الجمعيات أمام منزله فنزل ورحب بهم فدعوه الى مأدبة أدبوها لاجله واعتذروا له عن عدم معرفتهم بوجوده في نابلي فلبى الدعوة

وفي ثاني يوم أتى اليه رؤساء وأعضاء هذه الجمعيات وكثير غيرهم من أكابر القوم هناك ومعهم الموسيقى وعملوا له موكبا حافلا كان يومه مشهودا حيث غصت الشوارع بالمتفرجين والموكب يسير والمنشاوى في مقدمة الجميع وحوله الرؤساء والاعضاء وأمامهم الموسيقى حتى وصلوا الى محل الاحتفال وهناك تليت الخطب الرنانة في مدح المنشاوي وتعداد مآثره على المسيحيين والاوربين منهم خصوصا وفي وصف المذبحة التى حدثت في طنطا . وكان المنشاوى باشا واقفا على منبر وبين كل خطبة وأخري يقلد نيشانا فاخرا وهو يذرف الدموع من تأثير الحالة ويقول . ان هذا الاحتفال هو لاجل عمل عملته في مصر عدته حكومة بلادى من ذنوبى ثم تناولوا الطعام بعد الخطب وأقام المنشاوي معظما محترما حتي سافر الى تونس ولا داعى لذكر ما قوبل به سعادته في تونس لان الوقت غير مناسب .

هذا والملخص مما تقدم ان نابلي بلغت في الحضارة والمدنية مبلغا عظيما وان لم يوجد فيها سوى (فيلا نا سيونا له) هذا المتنزه الجميل لكفى لان هواءه جيد للغاية خصوصا ان موقعه بجانب البحر .

وأهم شوارع هذه المدينة شارع (توليدو) او شارع رومية وطوله يبلغ ميلا ونصفا ويمتد من البحر الى الشوارع العالية . وتتفرع منه شوارع كثيرة

أهمها الشارع الممتد الى ميدان (كافور) ثم اذا اردت ان أصف نابلي وما اشتملت عليه من المناظر الجميلة لاحتجنا الى زمن طويل ولكن في هذا القدر كفاية . ثم قامت الباخرة من نابلي قاصدة بالرما .

مدينة بالرما

ان لهذه المدينة ذكرا في التاريخ خصوصا فيما يتعلق بالفتوحات الاسلامية ولذلك رأيت أن أبدأ الكلام عنها بلمحة تاريخية زيادة في الفائدة

*
* *

كانت هذه المدينة اقدم مستعمرة للفينيقيين في صقلية وأهم مراكز قواتهم الحربية . وقد سماها اليونان «« باورموش »» والذي اكسبها هذه الاهمية جودة موقعها الطبيعي وحسن مرفأها . واستمرت في حوزة الفينيقيين الى سنة ٤٨٠ قبل المسيح ثم استولى عليها القرطاجيون وبقيت في حوزتهم الى ان غلبهم عليها «« بيزوش »» ملك البيرة سنة ٢٧٦ ق . م ولكن استرجعها الفينيقيون ثانية . واستولى عليها الرومان في الحرب البونيفية الاولى سنة ٢٥٤ ق . م وطردوا الفينيقيين منها فكانت مستعمرة رومانية مدة الامبراطورية كلها . وبعد ذلك دخلت في حوزة القوط ثم انتزعها منهم أحد القواد البيزنطيين .

وفي سنة ٨٣٥ للميلاد فتحها المسلمون وجعلوها قاعدة الجزيرة . قال ابن الاثير في تاريخه : ما معناه وسار المسلمون الى مدينة بارما فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله وعياله فاجيب الى ذلك وسار في البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ٢١٦ هـ

فلم يروا فيه الا اقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون الفا ماتوا ولم يبق الا هذا القدر النزر منهم

واستمرت بالرما هي والجزيرة في حوزة المسلمين إلى ان اخرجهم منها ملوك النور منديين وأنشأوا في القرن العاشر مملكة صقلية وأقام الشريف الادريسي ببلرما وألف جغرافية واصطنع الكرة الفضية في بلاط الملك روجر الصقلي الثاني . أما بلاط الملوك النور منديين فلبث في بالرما إلى ان ضمت صقلية الى مملكة نابلي .وحدث فيها زلازل شديدة اضرت بها كثيرا . وفي أثناء الثورة التي حدثت سنة ١٨٤٨ اطلق عليها عساكر المملكة المدافع . وفي ١٣ مارس سنة ١٨٦٠ دخل غاليباردى صقلية وفي ٢٦ منه فتح بالرما بعد قتال عنيف في أسواقها ثم حصل الاتفاق على الجلاء عنها فخرجت منها العساكر النابلية في ٦ جونو وجعلت مركزاً للحكومة المؤقتة . وفي ستمبر سنة ١٨٦٦ حدثت فيها ثورة وكان سببها ابطال الرهبنات ولكن العساكر الملكة اخمدت نارها بعد ملاحم شديدة .

وهذه المدينة تبعد عن نابلي بمقدار خمس عشرة ساعة وهي اكبر ميناء في الشمال الغربي من جزيرة صقلية . وكان الوصول اليها نهارا . فرايت ان انزل من الباخرة للتجول فيها فنزلت وأخذت اسير في شوارعها الواسعة المنظمة وشاهدت بها من العمارات والآثار القديمة عدا آثار المدنية ما يأتي .

شاهدت فيها ساحة كبرى فرشت بالبلاط ومحاطة بالاشجار وهذه الساحة تسمى « ابرتوريا » فراقني منظرها الجميل البديع . ثم ساحة « مربنا » وهي لا تقل عن تلك في الرونق وبهاء المنظر. وأعظم من تلك وهذه ساحة « فتوريا » من حيث الاتساع واتقان التنظيم وهي في منتهى شارع يدعى

شارع « فتوريا اعانيل » والذى زادها رونقا وجعلها من الاهمية بمكان وجود القصر الملوكي فيها وهذا القصر معد لاقامة الامبراطور حين مجيئه الى بالرما وبها ايضا حديقة كبري في وسطها . تفنن القوم في أساليب تنميقها حتي صارت تعد من أعظم المتنزهات زخرفا وبهاء وبها حدائق اخري بديعة الشكل تسر النفس وتقر بها العين .

وشاهدت بها من الآثار القديمة القصر الملوكي الذى بناه النور منديون واجادوا صنعه وهو محاط بالأشجار وعليه سيما الوقار على مامر عليه من السنين والاعصار .

اما الكنائس القديمة والاديرة فكثيرة حيث يبلغ عدد الكنائس نحو ٢٥٠ والاديرة ٧٠ واهم هذه الكنائس الكنيسة الكبرى وهي في اهم احياء المدينة وحولها سياج مما نسميه اليوم « درابزين » وقد نصبت فوق هذا السياج تماثيل القديسين . ومن أشهر هذه الكنائس الكنيسة التي بناها « روجل » الاول ولا تقل في جودة البناء والضخامة عن الكنيسة الكبري وبها نقوش ذهبية غريبة في بابها تدل على مهارة صانعيها وتفننهم في أساليب الزخرفة فى البناء . ثم كنيسة « لاسنتارز الى » التي بناها « كوربون » الثانى على نمط الفونتية وقد زيد في بنائها في القرن الخامس عشر للميلاد وقد وسعوا بابها وبالغوا في زخرفته مبالغة عظمي . ثم كنيسة القديس « سنت جيوفني » وهي كبيرة وقد جدد بها الرومانيون قبابا خمسا عجيبة الوضع جميلة الشكل ويوجد كنائس أخري على هذا المنوال من ضخامة البناء وغرابة الصنع مثل كنيسة (مورتورانو)

وكان لبالرما ميناء ذات اهمية فى سالف العصر ولكنها اهملت وصارت

خاصة بالمراكب الصغيرة والزوارق يبتدىء منها شارع (فتوريا ايمانيل .)
وأحدثت بجانبها الميناء الجديدة وهي كائنة في شمالها على سفح جبل (بلجرونه)
ويوجد في هذه المدينة رصدخانة كبري تسمي (سنطانفا)
وبالجملة فان بالرما مدينة آهلة عامرة بالمتاجر وكل انواع المدنية وهى من أشهر
المدن في ايطاليا ثم اقلعت الباخرة قاصدة مدينة «طراباني»

«مدينة طراباني»

وصلنا هذه المدينة بعد سبع ساعات وهي احدي موانى جزيرة صقلية
الغربية ولم تمكث الباخرة بها سوي ثلاث ساعات فلذالك لم أتمكن من
النزول اليها ومشاهدتها ولكنها ذات مناظر جميلة وحدائق غناء على صغرها.
وهى آخر منياء مررنا بها في طريقنا من موانى ايطاليا . وهنا يجدر بى ان أقول
كلمة عن جمال الطليان الطبيعي والمصطنع اذ لا بأس من ذلك . شأن السائح
الذي يصف كل ما يراه عرضا كان أو جوهرا في سياحته اذ كان القصد
علم المرء ما لم يكن يعلم من احوال الامم الاخري في كل الشؤون والاحوال.
وعليه اقول

*
* *

يقول الشاعر العربى في وصف جمال العرب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية	وفي البداوة حسن غير مجلوب
أين المعيز من الآرام ناظرة	وغير ناظرة في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاة ما عرفن بها	مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ومن هوي كل من ليست مموهة	تركت لون مشيبي غير مخضوب

هذا الشاعر يمدح جمال قومه الطبيعي الغير مجلوب بالصنع فما بالك اذا أضيف الى الجمال الطبيعي الجمال المجلوب . لاشك في أن يكون الجمال بهذه الصفة أدعى للصبوة وأجذب للقلوب كذلك تفعل أمة الطليان لان الجمال فيها كما هو في العرب طبيعي ولكنها تزيده بالتنميقات الاخرى في تصفيف الشعر وحسن الازياء والتفنن في الخلاعة حتى أنك ترى الفتاة الطليانية تمشي كأنها الغصن يرنحه النسيم أو السكران لعبت بعشيته الشمول . اذا رنت بمقلتها سلبت العقول ونهبت الارواح ولا يسعنى في هذا المقام الا أن أستعير كل وصف للجمال ونطق به الشعراء قديما وحديثا وأصف به جمال الجنس اللطيف الطلياني . وان كان في أمم العرب من يشاركها في هذا الوصف فتكون أمة الفرنسيس والاسبان والاخرى اقرب لانها جمعت بين الجمال الافرنجي والحسن العربي فما الطفهما اذا اجتمعا

***

ثم أقلعت الباخرة من تراباني قاصدة تونس مباشرة وهي تبعد عنها بمقدار خمس عشرة ساعة تقريبا .

ولما وصلت الى تونس كان في انتظاري احد الاخوان الذي خاطبته بحضوري . وقد اخترت ان انزل في احد الفنادق رغم دعوة الكثيرين من افاضل التونسيين للنزول في ضيافتهم مع ماهم عليه من كرم الاخلاق وحسن وفادة الضيف . وقبل ان اقول كلمة في ذكر ماشاهدته في اثناء وجودى بهذه المدينة اذكر شيئا مختصرا عن تاريخها لما في ذلك من الفائدة فأقول .

فذلكة عن تاريخ تونس

نريد الآن أن نذكر ملخص ماقاله أفاضل المؤرخين وعظماؤهم عن هذه المملكة العتيقة كي يكون القارئ الكريم على علم تام من تقلبات الزمن وطوارق الحدثان .

***

يؤخذ من التاريخ أن أصل سكان أفريقية التي يطلق عليها الآن اسم المغرب الاقصى في العرف العامي من البربر . وقد اختلف في أصل البربر فقيل انهم من (الكنعانيين) لذين قدموا الى تلك الاصقاع من جنوب الشام وقيل غير هذا .

ولما فتح المسلمون أفريقية وصارت للعرب دولة في الاندلس واختلطوا بأهل المغرب . زعم هؤلاء أنهم من الحميريين الذين كانت لهم سلطة ودولة امتد سلطانها الى افريقيا وهي دولة التبابعة ولكن لم تنتظم لهم دولة لأنهم كانوا قبائل متفرقة بينها تنافس دائم متواصل ولذلك حل بهم الضعف فكانوا طعمة لغيرهم من الدول وساعد على ضعفهم كون بلادهم ومواطنهم على سواحل البحر الابيض المتوسط . ومما عرف من اسماء قبائل البربر وذكر في التواريخ الرومانية قبيلة (موري) وبلاد أهل هذه القبيلة كانت تسمي (موريطانيا) ومن هذا اطلق عامة الأوربيين لفظ (مورو) على كل مسلم من سكان شمال افريقية كما كانوا يسمون برابرة المغرب الاوسط أي ولايتي الجزائر وقسطنطينة (نوميدى) ويسمون بلادهم (نوميديا) . وبعض برابرة الصحراء كانوا يسمون في عهد الرومان (ليفاتا)
ولما حكم ملوك الرعاة مصر امتد نفوذهم الى أفريقية وذلك قبل المسيح

بألف وسبعمائة عام ولكن لم يوسسوا بها دولة ولذلك لم يكن لهم في أفريقية ذكر يحفل بتدوينه المؤرخون . وملوك الرعاة هم من العرب الذين حاربوا الفراعنة وتغلبوا عليهم واحدثوا دولة دامت عصر أربعمائة عام وفي عهد آخر ملك منهم حصلت قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

*
* *

ثم أعقبهم في أفريقية الفينقيون الذين لهم ذكر مشهور في التاريخ وامتد نفوذهم على سواحل البحر الابيض المتوسط وبعض الجزر ككريد وغيرها وعلى شمال أفريقية كانت لهم مستعمرات كثيرة .

ومن المدن التى كانت لهم فيها متاجر واسعة . مدينة سوسه وتونس وبنزرت وأوتيكة . الى ان اسسوا مدينة قرطاجنة .

وقد زعم بعض المؤرخين ان المؤسس لها أميرة فينقية اسمها (عيسار) وقيل (ديدون) جاءت الى الشام بعد ان حصل بينها وبين اخيها نزاع ادي الى مهاجرتها الى افريقية . فأشترت ارضا واسعة من البربر وانضم اليها قوم من الفينيقيين فأسست لها مملكة هناك . ولها حديث طويل لاحاجة بنا الى ذكره هنا .

ولما دخل الرومانيون افريقية سموا مدينة قرطاجنة (كارتاغو) وفي بعض التواريخ أن تأسيس قرطاجنة كان سنة ٨٨٠ قبل المسيح اي قبل الهجرة بنحو الف وخمسمائة عام

ولعظم موقع قرطاجنة التجاري تناول حكم الرومان بقية المراكز الاخرى التى في ايدى الفينقيين . ويؤخذ من هذا أن للتجارة دخلا في الاستعمار .

والدليل على هذا ان الانكليز لم يستولوا على الهند الا بعد ان وطدوا مصالح تجارية عظمي في هذه المملكة الواسعة .

وكانت حكومة قرطاجنة في عهد الفينيقيين جمهورية يرأسها اثنان يجدد انتخابهما سنويا . احدهما من آل (عنون) والثاني من آل (برقة) ولكل منهما احزاب متنافسة . وهذا التنافس كان احد عوامل الافساد واسباب ضعف سلطة الفينقيين .

وهناك داع آخر على هذا الضعف . وهو ان حكومة قرطاجنة في عهدهم كان همها منحصرا في التقدم المادى مع اهمال امرين خطيرين كانا سببا في سقوط هذه الحكومة وحلول حكومة الرومان محلها احدهما عدم اتخاذ جند من الوطنيين البربر . وثانيهما كثرة المظالم والاستبداد الذى كانت تعاملهم به حتي انهم (اي البربر) كانوا عونا للرومانيين في الاستيلاء على قرطاجنة .

وكان القرطاجنيون يعبدون أوثانا تمثل أشهر آلهة الفينقيين. ومن هذه الاوثان (بعل . وعامون. وملك الارض) وكانوا يبالغون في تقديم النذور لهذه الاوثان. حتى انهم كانوا يذبحون اولادهم قربانا لها.

وكان القرطاجنيون على جانب عظيم من الترف واسباب المدينة ولكن لم يعثر أحد على شيء من الآثار مما يدل على مقدار ما وصلوا اليه من المدنية سوي كتاب في فن الزراعة عثر عليه الرومان بعد خرابها الاول ومؤلفه يدعى (ماغون) وقد ترجم الى اللغة اللاتينية .

ولما استولى الرومانيون على قرطاجنه قبل الميلاد أحرقوها ثم اعادوا بناءها فلبثت الي ان جاء الفتح الاسلامي فأمر حسان بن النعمان باحراقها

ولم يحفل العرب بما تحت الردم من الآثار فبقيت هذه مدفونة الى ان احتلت فرنسا تونس وألفت شركة فرنسوية اشترت اراضي من الفلاحين بالثمن الزهيد واخرجت من الآثار شيئا ثمينا من حلى واوان واكتشفت محال كثيرة كمراسح وكنائس وهياكل وغير هذه (ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

وفي القرن السادس قبل الميلاد كان اليونانيون مزاحمين للفينقيين في التجارة والاستعمار . ولما ارتبك اليونانيون في حروبهم مع الفرس اغتنم القرطاجنيون الفرصة واستولوا على الجهة الغربية من جزيرة صقلية فحاربهم احد القواد اليونانيين وردهم على اعقابهم وذلك سنة ٤٨٠ قبل المسيح. ودامت الحروب بين اليونان والقرطاجيين أربعين سنة انتهت بصلح دام الى أواخر القرن الرابع قبل المسيح .

ثم توالت السنين والحقب ودخلت قرطاجنة في ادوار شتى حتى اذا جاء القرن الثانى بعد المسيح اندمج اهالي افريقية الاصليون . ونعني بهم البربر مع الرومانيين فتعلموا لغتهم واختلطوا بهم اختلاطا حتى آل الامر الى تولية احد كبار البربر امبراطورا على قرطاجنة وهو الامبراطور (سواريوس) الذى اختاره الجند امبراطورا عليهم وذلك في اواخر القرن الثانى بعد المسيح

وما زال مجد الرومان ينمو ويسمو حتي ادخلوا ضمن أملاكهم مصر والشام وبلاد الاناضول والافلاق والبغدان التى تسمي رومانيا الان لان اهل هاتين الولايتين زعموا انهم من العنصر الروماني وانهم نسل اولئك الابطال الفاتحين .

ومن قواد الرومان المشهورين (قارون) الذي له بحيرة باسمه في

مديرية الفيوم تبع القطر المصرى . ولما ادرك الهرم دولة الرومان واخذت تتدهور في مهاوي السقوط اتاح الله لها قبيلة جرمانية اسمها (لوندال) سلبت من يدها السلطة شيئا فشيئا حتى اصبحت هي صاحبة البلاد .

وذلك ان قبائل الجرمان تقاطرت من مواطنها ودخلت في مملكة الرومان وذلك في اوائل القرن الثالث بعد المسيح واختلطوا بالرومان كما اختلط الاعاجم والترك بالعرب في اواخر دولة العباسيين فتخذ الرومانيون منهم الجند وقلدوهم الوظائف السياسية وأخذت سلطتهم تزيدونفوذهم يكبر حتى صاروا اصحاب النهي والامر . واما السلطة الرومانية فكانت في ضعف متوال متتابع ومن هذه القبائل قبيلة (الوندال) المذكورة التي حلت بجنوب فرنسا واسبانيا وفتحت بلادا كثيرة ثم اسست لها مملكة بأسبانيا نسبت اليها من ذلك العهد فصارت تعرف (باندلوسيا) (الاندلس) اي بلاد الوندال .

وكان بعض امراء الدولة الرومانية قد شق عصا الطاعة واستدعي الوندال ليعضدوه على الرومانيين وذلك في عهد احد ملوك (الوندال) المسمي (جنصريق) فوقعت عدة حروب بينه وبين الرومانيين تخللها صلح ثم عادت الحروب مرة ثانية فزحف جنصريق على قرطاجنة بجيوشه فدخلها عنوة وذلك سنة ٤٣٩ بعد المسيح وبذلك سقطت دولة الرومان في قرطاجنة وحلت محلها دولة (الوندال) فسبحان مقلب الاحوال يتصرف في ملكه كيف يشاء

يعلم مما مر ان افريقية كانت اولا للبربر وكانوا قبائل وشعوبا . ثم لدولة قرطاجنة الفينقية ثم دخلت ضمن مستعمرات الرومان ثم دخلت في ملك (الوندال) وصارت مملكة وراثية .

أما حكم (الوندال فانه دام من سنة ٤٢٩ بعد المسيح الى سنة ٥٣٢ .
وفي غضون هذه المدة زحف الونداليون بجيوشهم حتى دخلوا روما واستباحوها
أربعة عشر يوما وذلك من عبر التاريخ لان الرومانيين خربوا قرطاجنة سنة
١٦٤ قبل المسيح فجاءت جنود (الوندال) بعد ستمائة عام وأخذت
بالثار .

وبما انه كانت للرومان مملكة اخرى شرقية لم يكن لهذه الدولة شأن
في كل ما وقع للدولة الرومانية الغربية بشأن أفريقية الا في عهد الامبراطور
(يوستنيانوس) اذ في عهد هذا الامبراطور أخذت دولة الوندال في الضعف
فطمحت نفس الامبراطور الى الاستيلاء على قرطاجنة واعادة حكم الرومانيين
فتم له ذلك بعد حروب كثيرة وكان آخر عهد حكم دولة (الوندال)
الافريقية سنة ٥٣٣ بعد المسيح .

وكان العرب يسمون الرومانيين اهل المملكة الشرقية بالروم فلما جاء
الفتح الاسلامي أخذ العرب كل ما في ايدى الروم من بلاد الشام ومصر
الا القسطنطينية فلم تؤخذ الا في عهد السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٢ بعد
المسيح .

ولما توالت السنين كان العنصر العربي في افريقية هو الحال محل الفينيقيين
والرومان والوندال ولم يزل الى الآن الا اسبانيا فأنها بعد ان مكثت
نحو الاربع قرون في يد العرب عادت الي حكم الافرنج ولم تزل الى الآن
وكأن التاريخ أعاد الكرة على قرطاجنة التى لاأثر لها اليوم الا مدينة
تونس التى قامت على انقاضها فدخلت دولة فرنسا في هذه البلاد ووضعت
حمايتها على مملكة تونس ولله في خلقه شؤون

وقد عقدنا فصلا خاصا في هذه الرحلة بسياسة فرنسا في تونس سيأتي في محله

وصف تونس بالاجمال

يري القادم الى تونس من جهة البحر مناظر القصور والحدائق الغناء مما يحبس على العين لفتاتها . فاذا جال في المدينة وجد الطرقات منظمة قد فرشت بالبلاط والاشجار تتخللها لاسيما في شارع باب البحر فترطب الهواء .

وقد اعتني المجلس البلدى اعتناء تاما بأمر النظافة فيها من حيث الكنس والرش فلا تكاد تمر في شارع من شوارع هذه المدينة الا وتري مايسر الناظر من تنظيم الطرقات ونظافتها .

ويوجد بتونس خطوط الترام وهي أشبه بخطوط ترام الاسكندريه أنشئت فيها من نحو السنتين تقريبا وأكثر شوارع هذه المدينة من حيث العمران ومظاهر المدينة وحركة التجارة شارع باب البحر وهذا الشارع يسكنه الاوربيون وبه محال تجاراتهم وفنادقهم وقهاويهم . ثم شارع باب الوزير فالباب الجديد فشارع باب منارة فنهج باب قرطاجنة فالحلفاوين .

ويوجد كثير من الشوارع خلاف ماذكر قد أخذت قسطها من مظاهر المدينة . اذ بها اسواق التجارة الوطنية كالغورية والحمزاوى في مصر وما أشبه ذلك .

وبالجملة فأن حاضرة تونس تعد في مقدمة مدن المغرب حضارة ومدنية .

أخلاق أهل تونس والدين فيها

اما أخلاق اهل تونس فهي في مجموعها حسنة لانهم يكرمون الغريب الوافد اليهم . وهذا ينفي ما هو شائع لدى العامة من بخل اهل المغرب . وقد يجوز وجود البخل في بعض بلاد المغرب الاقصى ولكن غير اهل تونس

أما ما يوجد في اخلاقهم من الحدة فرجعه الى الصلاح والتقوى. لان المعروف في أهل الفضل والتقى والدين . التسرع في الغيظ اذا رأوا أمرا مخالفا لآداب الدين

وهم سواسية في الوداعة وكرم الاخلاق وعدم الميل الى الملاذ والملاهي بخلاف غيرهم من اهل البلاد الاسلامية الذين اختلطوا بالاوربيين وقلدوهم في مظاهر المدنية الغربية . وذلك لانهم متمسكون بأوامر الدين ونواهيه فلا يتظاهرون بالفجور والفسق ولا ينتهكون حرمات الدين .

*
* *

أما نساؤهم المسلمات فأنهن على جانب عظيم من العفة والصون حتى ان احداهن من السوقة تمر في الطريق فلا يرى الناظر اليها عضوا من اعضائها مكشوفا . حتى انهن لم يتخذن نقابا كما تفعل النساء المصريات . بل نقابهن منديل اسود يوضع على الوجه فيغطيه بأجمعه . وفيه ثقوب صغيرة بها تتمكن من مشاهدة الطريق .

*
* *

اما النساء اليهوديات فأنهن بخلاف ذلك اذ يمشين في الطرقات مكشوفات الرأس بلا خمار سوى منديل رقيق تعصب به الرأس وملابسهن

عبارة عن سروال (الباس) يصل الى العقب وقميص قصير وسدرية ووشاح يلقينه على الكتفين بحيث لو نزع هذا الوشاح لكن اشبه شيء بنساء فلاحي مديرية الشرقية والغربية في القطر المصري .

* * *

وقد شاهدت القوم هناك في يوم الجمعة فريقا يصلون الجمعة في الوقت الذي يصلي فيه اهل مصر والبلاد الاسلامية الاخرى .

وفريقا يصلون قبل العصر بنحو النصف ساعة . وهذا وإن كان جائزا شرعا ولكن كان الاوفق أن يجتمع المسلمون في وقت واحد لاداء فريضة الجمعة لما في ذلك من معني الاتحاد وعدم التفرق .

أما الخطب الدينية في مساجد تونس فهي لا تخرج عن الخطب في بعض مساجد مصر . اذ كلها مما هو مذكور في دواوين الخطب ومسموع في كل جمعة . فليت حضرات الخطباء الافاضل في تونس يلقون الخطب العصرية الموافقة للحالة الحاضرة والصالح العام ويقفون على الداء ويصفون الدواء كما كان يفعل السلف الصالح من تذكير المسلمين بالمفاسد في كل زمن وكل مكان

وليس للمساجد هناك مآذن كما في مصر وغيرها من بلاد الاسلام بل يوجد بجوار المسجد مكان مدور البناء يصعد اليه بدرج وفيه اربع نوافذ وفي كل نافذة افريز يقف عليه المؤذنون في اوقات الصلاة .

ولا يؤذن واحد بل جماعة يتراوح عددهم بين الخمسة والستة أشخاص

ووقت الاذان هناك لا يعرف بالساعة بل يوجد بجوار دار الوزارة ساعة رملية تعرف بها الاوقات . فاذا علق في المكان الذي فيه الساعة

الرملية علم يكون علامة على حلول الوقت وذلك نهارا

أما اذا جاء الليل فانهم يعلقون نبراسا (فانوسا) وبعد الاذان ينزلون العلم او النبراس ٠

﴿ حالة التعليم في تونس ﴾

لا توجد مدرسة اسلامية في تونس ايتلقي فيها المسلمون علوم الشرع الشريف الاجامع الزيتونة ٠ وقد كنت اظن أن هذا الجامع كالازهر في مصر من حيث كثرة الطلاب واتساع المكان ٠ فلما قدمت الى تونس وزرت هذا الجامع وجدته في اتساعه لا يزيد عن المسجد الحسيني والطلبة فيه قليلون لا يزيدون عن خمسمائة طالب والمدرسون فيه ستة عشر عالما وهم مع قلتهم متفرقون في زوايا المسجد غير منتظمى الهيئة من جهة المطالعة او الحضور في الدروس وان شئت قل هم في التمثيل كطلبة الازهر أيام خلوه من هذا النظام الجديد الذي لم نعده نحن المصريين وافيا بالمرام ٠

وقد يأسف المرء كثيرا عند ما يري مثل هذا الجامع الذي يعد المدرسة الاسلامية الثانية في قارة افريقية قد وصل الى هذه الحالة من عدم النظام الدراسي مع قلة الطلبة والذي عرفته أن العلماء هناك يعارضون في كل إصلاح يراد إدخاله في جامع الزيتونة كتدريس العلوم العمرانية مع أنهم غير محقين في كل معارضة تبدو منهم ٠ لان ادخال مثل العلوم الرياضية لا تؤثر شيئا على العلوم الدينية ٠ بل هذه العلوم هي بمنزلة علوم الوسائل كالبلاغة والنحو والصرف وحكمها الوجوب الكفائي ٠

ولو تصفحنا التاريخ لرأينا أن الازهر كانت تدرس فيه علوم الطب

والهيئة والفلسفة والحساب والهندسة والجبر والجغرافيا ولم يكن التعليم فيه قاصرا على العلوم الدينية .

ولرأينا أيضا أنه في زمن المأمون ذلك الزمن الذي اهتم فيه المسلمون بالعلوم أيما اهتمام . كانت مدينة بغداد حافلة بالعلماء والادباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم ممن تخرجوا من المدرسة التى أنفق عليها أحد الوزراء مائة الف دينار وحبس لها أعيانا يربو ريعها على الخمسة عشر الف دينار وكان التلامذة فيها ستة آلاف تلميذ فهذا الرقي الذي كان في زمن المأمون لم يكن قاصرا على العلوم الدينية بل كان المدرسون في هذه المدرسة من غير المسلمين كابن بختيشوع . وكانوا لا يأنفون من تلقى العلوم على غير المسلمين وفي هذا العصر اجتهد المأمون في ترجمة كثير من العلوم اليونانية الى العربية وبذلك تقدمت الامة الاسلامية تقدما لم يزل التاريخ حافظا ذكره الى الآن .

على ان سمو الباي لا يبخل بالنفقات على هذا المعهد الديني ولو زادت على ما هو محبوس عليه من الاوقاف الكثيرة . متى رضى العلماء بدخول الاصلاح فيه .

ولا نري دليلا علي وجوب الاصلاح سوي الحالة الحاضرة التى اصبح المسلمون فيها في احتياج شديد الى تعلم العلوم العصرية التي هي السبب الوحيد في تقدم الامم الراقية في المدنية ذات الاختراعات العجيبة مما لم يحلم به أهل الزمن السابق .

وإني في هذا المقام أتقدم الى حضرات العلماء في جامع الزيتونة بالرجاء بصفتي مسلما أحب النفع لاخواني المسلمين أن لا يعارضوا في الاصلاح الذي يراد ادخاله في هذه المدرسة .

وما كنت لاقول ذلك لو لا ما رأيته من تأسف كثير من أهل تونس على التاخير الهائل الموجود في نظام هذا الجامع .

وهذه مدرسة علكرا بالهند اكبر دليل على صدق هذه الدعوى . فان هذه الكلية تدرس فيها جميع العلوم . وقد بذل الاغنياء كل جهدهم في انشائها وتنظيم التعليم فيها كما فعل صاحب السمو امير الافغان في الكلية التي أنشأها في عاصمة بلاده . وقد ندد في خطبته حين وفد الى الهندوزار كلية علكرا على الذين يقولون أن تعليم العلوم العصرية يؤثر على العلوم الدينية .

وعسى ان يبلغ الرجاء مسامع أهل تونس وعلمائهم ويقع لديهم موقع القبول .

***

وتوجد بتونس مدرسة أخرى يقال لها المدرسة الخلدونية التي كان للسيد محمد البشير صفر رئيس جمعية الاوقاف اليد الطولى في تأسيسها وحالة التعليم فيها غير كافية لان يتخرج منها الناشئة الذين يؤدون للبلاد الخدمة المطلوبة من ابن الوطن لوطنه .

ويدرس بهذه المدرسة مثل العلوم الرياضية ومبادئ اللغة الفرنسوية وتلامذتها هم من بعض طلبة جامع الزيتونه ومن ضمن المدرسين فيها حضرة الفاضل البارع السيد محمد البشير صفر الذي يدرس فيها علم التاريخ وتقويم البلدان وهذان الدرسان لا يأخذ نقودا في مقابلة تدريسهما . وهذه خدمة منه لبني وطنه يشكر عليها زيادة عن الترقي المادي والادبي الذى ينتج من افكاره لهذه المدرسة .

أما الكتاتيب فهي مع قلتها لا تجدي نفعا اذ هي ككتاتيب الارياف في مصر قبل هذه النهضة التي نهضها المصريون لاصلاح شأن الكتاتيب .

***

والاهالي كلما عرضوا على الحكومة رغبتهم في انشاء مدارس دينية تأبى الا ان يتعهد الاهالي بدخول اللغة الفرنسوية ضمن العلوم التي تدرس في هذه المدارس . واذا عارضها الاهالي بان هذه مدارس دينية محضة فلا تعير اعتراضهم جانب الالتفات .

وبالجملة فأن حالة التعليم في تونس في تأخر هائل . وربما بعد عشرة سنوات ننتظر منهم تقدما باهرا .

والذي ينظر الى حالة الازهر في مصر والى جامع الزيتونة في تونس يأسف كل الاسف . إذ هما المدرستان الدينيتان في قارة افريقية وليس التعليم فيهما على الطريقة التي بها يستفيد المسلمون منها الفائدة المطلوبة . ولا يسع من يقف على حالة التعليم في تونس إلا أن يشكر نظارة المعارف المصرية قليلا لما تبديه من الاهتمام . وان كانت الشكوي عامة من المصريين بخصوص عدم الاهتمام بشأن اللغة العربية في المدارس الاميرية ويا حبذا لو اقتدى التونسيون بالمصريين في انشاء الكتاتيب والمدارس على نفقاتهم فانهم بذلك يصلون الى درجة في السعادة غير هذه الدرجة الآن .

﴿ الصحافة في تونس ﴾

كانت الصحافة في تونس قبل أن يتولي السفارة الفرنسوية فيها المسيو بيشون غير مطلقة الحرية علي قلة عدد المشتغلين بها فلما جاء الى تونس منحها

الحرية في القول وذلك يعد حسنة من حسنات هذا الرجل الذي له منزلة عظمي في قلوب اهل تونس . وحبذا لو كانت سياسة فرنسا في تونس موكولة الى رجال كالموسيو يشون في الذكاء وحسن الاخلاق وحب خدمة الانسانية . ولا يظن أحد أني بمدحي سياسة هذا الرجل هو مدح لسياسة فرنسا في هذه الايالة لان مدح فرد واحد لا يتناول كل الافراد المكونة منهم أمة واحدة لان المعاملة التي يعامل بها هذا الرجل أهل تونس هى من الامور المختصة بذات الشخص وبعلاقاته الذاتية مع الناس كلهم أما ما توحي به اليه دولته من الخطة التى يتبعها في تونس فانه ينفذها بقدر ما يمكنه من ضروب التلطف ومراعاة العواطف القومية .

***

لا توجد جرائد يومية عربية غير جريدة واحدة اسمها « الرشدية » صاحبها حضرة الفاضل السيد حسين عثمان . ولكنها تطبع بحروف غير واضحة لا تقرأ الا بكل صعوبة وهذا مما يلبس على القارىء من اهل تونس المعانى المقصودة فكيف بمن لا يتعود القراءة في الصحف المسطورة بالخط المغربي من غيرهم .

على أننا اذا قسنا تونس بغيرها من البلاد المتمدنة لرأينا انه يجب على أهل تونس أن ينشؤوا عدة جرائد يومية وفيهم الاغنياء والكتاب والعلماء فى العلوم العمرانية وغيرها .

وقد اتصل بى بعد مغادرة تونس انه اجتمع بعض اهل الفضل فيها ونشؤوا جريدة باللغة الفرنسوية لننظر فى مصالح الوطن وتدافع عن حقوقه ولكن هذه الجريدة اسبوعية وكان الاولى بهم جعلها يومية . وربما

تيسر ذلك لهم في المستقبل .

ويوجد غير هذه جرائد اسبوعية أصحابها من الافاضل والكتاب كجريدة الزهرة لمديرها حضرة السيد عبد الرحمن الصنادلي الذي كانت له اليد الطولي في إقناع الحكومة بشأن حادثة المسجونين التي سيأتي ذكرها

وجريدة الصواب لمديرها حضرة الفاضل السيد محمد الجعايبي . وجريدة الحاضرة لصاحبها حضرة علي افندي بشوشة وهي أول جريدة ظهرت في تونس . وجريدة اظهار الحق لمديرها حضرة الفاضل السيد احمد القبايلي وجريدة حبيب الامة لمديرها حضرة الفاضل عبد الرزاق افندي الذي حاز قسطا وافرا من العلوم العمرانية الحديثة . ويوجد غير ما ذكر جرائد اسبوعية عربية أنشئت حديثا اصحابها هذبهم العلم واحسن تربيتهم وانبتهم نباتاً حسناً .

ولكن البلاد في حاجة الي جرائد يومية لتنقل الاخبار الخارجية والتلغرافات وغير ذلك شأن كل امة أخذت نصيبا من المدنية .

فلو ان هؤلاء الافاضل اتحدوا وانشؤوا جريدة يومية لكانوا ادوا الى وطنهم خدمة أجل وانفع مما هم قائمون به الآن .

والحرية التي للصحافة في تونس تراقبها الحكومة مراقبة شديدة ويمكنها ان تحجب اي جريدة كانت لسبب صغير كالانتقاد على بعض اعمال الحكومة كما جري لحضرة صاحب جريدة الزهرة .

وكأني بمعترض يقول إذا كانت مراقبة الحكومة للجرائد هذه المراقبة فلا حرية اذن للصحافة في تونس . فجوابا على ذلك نقول ان من عرف حالة الصحافة قبل مجيء المسيو بيشون وقاسها بالحالة الحاضرة يعدها بمنزلة

الحرية اذ كانت الجرائد من قبل أقل منها الآن عددا ولم تكن تنقل غير بعض الاخبار التي لا تفيد الامة بشيء مطلقا

واني اقترح على حضرة الفاضل صاحب جريدة الرشدية أن يجعل حجم جريدته أكبر منه اليوم وأن يشترك في تلغرافات روتر وهافاس وأن يطبع الجريدة بحروف واضحة ونظن أن هذا لا يكلفه كبير عناء خصوصا مع وجود الموسرين هناك الذين يلبون دعوته اذا دعاهم الي تعضيده لان مثل هذا العمل هو في الحقيقة خدمة لبلادهم وهم يعلمون أن أحسن وجه ينفق فيه المال هو هذا الوجه الذي يخلد لهم ذكرا حسنا على صفحات التاريخ

سياسة فرنسا في تونس

كانت الدول ذات الحول والطول في العصر الاول اذا دخلت بلادا فاتحة حاملة راية النصر تستعمل القسوة وانواع العسف والفتك بالارواح واضطهاد الامة المغلوبة لتتوطد بذلك سلطتها وتثبت في النفوس هيبتها كقمبيز الفارسي حين دخوله مصر وكما فعل بختنصر البابلي في بيت المقدس والفراعنة حين امتداد ملكهم الى آسيا الكبري وكما فعل الحجاج وزياد في العراق ولو أردنا أن نورد الشواهد التاريخية لاتسع بنا المجال واحتجنا الى الوقت الطويل . ولكن في هذا العصر قد اتخذت الدول سياسة خلاف تلك السياسة في البلاد التي تدخلها فاتحة غالبة وهي سياسة حسن المعاملة والرفق بالاهالى وجلب مودتهم بأنواع العدل والمساواة والاصلاح وغير ذلك من الاشياء التي لا تنفر عنها الامم الخاضعة لها . ولكن

دولة فرنسا اتبعت تلك السياسة القديمة في تونس والجزائر فهي تعامل الاهالى معاملة الاذلال والضغط والمسلمين منهم على وجه أخص .
فالوظائف العالية كلها في يد الفرنسويين والامر والنهي بيدهم يفعلون كيف يشاؤون شأن الحاكم المستبد المطلق التصرف بغير رقيب عليه
وما يقال من وجود قوانين في الادارة وغيرها فانما هو أمر صوري فقط .

* * *

وفي هذا المقام يجمل بنا أن نورد المقارنة بين سياسة فرنسا في تونس والجزائر وبين سياسة انكلترا في مصر وبذلك يكون القياس على سياسة فرنسا كما سنذكره ولست أريد بايراد هذه المقارنة مدح سياسة الانكليز في مصر ولكن أذكرها من باب توضيح أن بعض الشر أهون من بعض

* * *

احتلت انكلترا مصر بدعوة من الخديوى السابق المغفور له توفيق باشا لتأييد مركز الخديوية فأخمدت نيران الثورة وبمجرد دخولها أخذت في بذر بذور الاصلاح فأصلحت دائرة الري والمالية ونظمت الجيش وهاهى قد بدأت توسع دائرة التعليم مع الاعتناء بلغة البلاد الرسمية حيث حضت الاهالى على انشاء الكتاتيب ومحت آثار الظلم والاستبداد وألغت السخرة والعونة وجعلت الموظفين سائرين على دستور يوقف كلا عند حده . وما شا كل ذلك من أنواع الاصلاح الذي نشاهد آثاره الآن بالعيان .

* * *

أما فرنسا فانها حين دخلت مصر استعملت أنواع الظلم والجور فقتلت كثيرا

من الاهالى ويتمت أطفالا وأيمت أرامل وأهانت أكابر المصريين بالقتل والنفى وعاثت في البلاد فسادا حتى اختلطت الانساب وذلك لا تفعله دولة متمدنة حتى إنها خرجت من البلاد مرغمة ولم تترك لها حسنة يذكرها لها المصريون .

والذى يقرأ تاريخ دخول فرنسا مصر في ذلك العهد يعلم كيف كانت سياسة هذه الدولة في معاملتها الاهالى إذ مكثت ثلاث سنوات كل أيامها مملوءة بالفظائع والحوادث التي تقشعر لها الابدان وترتعد منها الفرائص .

وقد اتخذت فرنسا هذه السياسة نفسها في تونس فهي تعامل المسلمين هناك معاملة الغلظة والقسوة واليك بعض الحوادث التى حدثت في تونس وسمعتها من أوثق المصادر

*
* *

أولا

اتهم اثنان من اهل تونس بارتكاب جريمة غير القتل فأودعا في السجن وكبلا بالقيود ولبثا فيه حينا من الدهر وهما يذوقان كل يوم انواع العذاب وصنوف الاهانة من السجانين حتى وصلت الحالة بهما الى أن مرضا مرضا شديدا وأشرفا على الهلاك وعجزا عن الحراك والنطق فلم يمكثا الا قليلا بعد أن دخلا في دور المرض حتى فارقا الحياة وذهبا ضحية قسوة السياسة الفرنسوية .

*
* *

ويشاع أنهما دفنا وروحاهما لم تفارق الحياة

وفي ذلك الوقت قامت جريدة الزهرة لصاحبها الغيور السيد عبد

الرحمن الصنادلى الآنف الذكر تدافع عن حقوق الانسانية وتنتقد عمل الحكومة فلم يرق في عينها إلا قفل هذه الجريدة وبعد سنة تقريبا عادت مرة ثانية بعد أن قدم احتجاجه بصورة قضية بينه وبين الحكومة يطالبها فيها بعدم قفل الجريدة لانه لم يذكر شيئا يعد جريمة شخصية او سياسية

(ثانيا)

كان أحد الجنود الفرنسويين الذي اسمه «ديك» متغيبا عن منزله فلما عاد إليه أخبرته زوجته أن احد الاهالي دخل عليها وهي في بيتها قاصدا سوأ فلم يكن من الجندي الا أن تناول مسدسه وخرج من البيت وركب البسكليت وسار في الطريق ولم يبعد عن داره قليلا حتى أبصر بعض الوطنيين الذي يدعى محمد عبد الله عمر مارا فناداه بالوقوف فذعر الوطني منه لانه ناداه نداء ارهاب فولي من أمامه فأخذ الجندي يعدو وراءه بسرعة سير الدراجة وقبل أن يلحقه رماه برصاصة من المسدس أصابته فوقع على الارض مضرجا بالدماء ولكنه لم يمت

وعلى أثر ذلك استدعي الجندي من حمل المضروب الي المستشفي ولما ضبطت الواقعة واخذ التحقيق مجراه استدعيت زوجة الجندي الى المستشفي وأمرها قاضي التحقيق أن تعين الرجل من بين المرضي فعينت رجلا آخر مضي عليه زمن لم يبرح المستشفى!

ولما سئل الجندى عن سبب إطلاق المسدس على رجل لم يتحقق أنه هو الفاعل اجاب بانه فعل ذلك على ظن منه انه هو الجاني الحقيقي.

وكأن المحكمة التي قضاتها من الفرنسويين رأت أن اظهار خطأ الجندى وبراءة الرجل الذي ضرب مما يحط من كرامة الجندى أو يلحق العار بدولة

فرنسا فاحتالت في اثبات التهمة على الرجل التونسي . وساعدها على ذلك أن له سابقة فحكمت عليه بسنة سجنا وعلى الجندى بستة أشهر !!!

ثالثا

اتهم القضاء احد الاهالى التونسيين فحكم عليه لاجلها بخمسة عشر سنة سجنا مع الاشغال الشاقة وبعد انقضاء هذه المدة ينفي من القطر التونسي عشرين سنة اخري !!!

رابعا

تعدي احد النزلاء الغربيين علي احد الاهالى من المسلمين وحرق أجرانه ويقال انه حرق اثنان بسبب ذلك من الاهالى وفي أثناء التحقيق ادعي الرجل الاوروبي أن المسلم كان بادئًا بالتعدي فحكمت المحكمة على الجانى بستة أشهر سجنا ولكن هل حبس الجانى ؟ لم يحبس . لان قانون سرسيا وهو قانون خاص بمحاكمة الاجانب يقضي بان لا يحبس الاوروبي بل يظل مطلق السراح باسم المحبوس . ولا يدخل السجن الا بعد أن يرتكب جناية اخرى في ظرف خمس سنوات تمضى من تاريخ وقوع الجناية . أما اذا مضت هذه المدة ولم يفعل ذنبا ثم ارتكب جناية اخري تعتبر الجناية الاولى كأنها لم تكن وقعت منه

خامسا

يقول الفرنساويون انهم اولى الامم محافظة على حرية الاديان ولكنهم مخالفون لهذه الدعوي كل المخالفة في تونس . مثل ذلك البدلية العسكرية يدفعها المسلم ثلاثمائة فرنكا وأما اليهودي فيدفع خمسمائة فقط . واذا دهسَ الترام مسلما فالغرامة التي تدفعها الشركة خمسمائة فرنك وأما اذا كان يهوديا

فثمانمائة .

سادسا

اذا اراد أحد الاهالى أن ينشيء مكتبا لتعليم الاطفال كالمكاتب الاسلامية التي يعلم فيها القرآن الشريف اجبرته الحكومة على ادخال اللغة الفرنساوية في بروجرام التعليم .

سابعا

حادثة القصرين

اذا كان حادث دنشواي شغل افكار العالم السياسي واقام الصحف واقعدها وردد صداه في انحاء العالم اجمع . فان حادث القصرين افظع واشنع لا بل هو النقطة السوداء في تاريخ فرنسا السياسي الاستعماري حيث مثلت فيه التوحش والقسوة اسوأ تمثيل وغرست بذور البغضاء في قلوب اهل تونس والجزائر .

***

وقعت مشاجرة بين بعض اهالى تونس وبعض الاوروبيين فأرجف الفرنسويون بأن هذا نتج عن تعصب ديني فالقت القبض على الوطنيين وجرت محاكمتهم فصدر الحكم بشنق وسجن ونفي الاشخاص الآتي بيان اسمائهم :

حكم بالاعدام على ثلاثة في مدينة سوسة وهم . محمد سعيد الوقاف ومحمد بلقاسم قميد ، وعمر على عبده . وبالاشغال الشاقة مدة عشر سنين على عمر عثمان والمنع من دخوله البلاد . اي نفيه بعد قضاء مدة السجن عشرين سنة . وبالاشغال الشاقة المؤبدة على المقدم على محمد صالح . وحراث

بالتمام على . وبالاشغال الشاقة لمدة عشرين سنة على تسعة اشخاص . وبها على خمسة لمدة عشرة اعوام . وستة لخمسة اعوام . وعلى ثلاثة لمدة خمس سنوات سجنا بسيطا . وسبعة لدامين كذلك . وعلى واحد بعشرين سنة بسجن الصبيان .

وعلى ثلاثة بالسجن مثله لخمسة اعوام وقد اتصل بي بعد عودتي الى القاهرة من بعض المعارف هنالك أن الحكومة اصدرت عفوها عن المحكوم عليهم بالاعدام وأن هذا العفو مسبب عن تذمر الاهالى لهذه الاحكام القاسية فلينظر الذين شاهدوا وعرفوا حادث دنشواى الى هذه الحادثة ايضا التي تذوب لها القلوب . بل الصخر الجامود وليضعوا هذه الدولة موضعها من المدنية أو التوحش .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر نذكر هنا على سبيل الاستطراد بعض ما فعله الفرنسيون في مصر حين احتلوها في عهد بونابارت ليعلم الجاهل بالتاريخ أن الذين يصفون الفرنسوي بالشفقة علي بني الانسان مخطئون خطأ بينا .

أول مادخل الفرنسويون مصر لم يحترموا الدين فجعلوا الازهر اسطبلا لخيولهم وأهانوا العلماء . وعاثوا في البلاد فسادا وانتهكوا الاعراض وداسوا بأقدامهم على الفضيلة فأختلطت الانساب . هذا فضلا عن الابرياء الذين شنقوا من الاهالى في حادثة مقتل كليبر حيث جاء احد السوريين من المسلمين واعتدي علي هذا القائد بقتله بحديقة الدار بالجيزة فحكم عليه وعلي الذين يعرفهم من الاهالى وطلبة العلم الشريف بالشنق ولم يشتركوا معه في الجناية .

ولقد بلغ استبداد دولة فرنسا في تونس الى درجة لم تكن تتوقع من دولة متمدنة لانها حظرت على الاهلى أن يقبلوا نزلا من اخوانهم المسلمين من اهل المدينة المنورة ومكة المشرفة بدعوى الاحتراس من الدسائس والفتن . فاذا قدم مكي او مدني ضيفا في منزل احدهم لم يسع صاحب المنزل الا اخطار الحكومة وقتيا . ولقد اخذ التونسيون والجزائريون يهاجرون من بلادهم بعد بيع جميع ممتلكاتهم تخلصا من سوء معاملة الحكومة لهم حتي إنه اشيع في العام الماضي أن سبعين رجلا هاجروا من تونس بعد ماباعوا كل ما يمتلكون من الاملاك والعقار .

*
* *

الى هنا نكتفي بايراد ما تقدم دليلا على أن دولة فرنسا ان ادعت أنها نصيرة الحرية وأنها تحترم الاديان وأنها أول الدول نجاحا في سياسة الاستعمار فانها دعوى عديمة البرهان فاسدة المقدمات . وما أتينا به شاهد عدل على ما نقول .

تمثال سياسي في تونس

ان الغاية المقصودة من عمل التماثيل هي احياء ذكر عظماء الرجال الذين أتوا من جلائل الاعمال ما يخلد لهم الذكر الحسن على مر الليالي وتعاقب الاجيال .

فهي إذن عبارة عن صحيفة تاريخية قام فيها التمثال مقام الكلمات والجمل فاذا وقفنا أمام تمثال « جاندارك » في فرنسا قرأنا بعين الذكري في هذه

الصورة المجسمة تاريخ حياة هذه المرأة التي فعلت فعل الابطال في خلاص فرنسا من مخالب الانكليز .

واذا وقفنا أمام تمثال محمد علي باشا وابراهيم باشا قرأنا ايضا مبدأ دخول مصر في عصر جديد بعد ان مرت عليها العصور التي قاست فيها أنواع الظلم التي لا تقدر يد كاتب على تدوينها لما فيها من الفظائع الوحشية التي ترتعد لها الفرائص وتقشعر الابدان وتصفر الانامل وهكذا الامر في كل تمثال على هذا المنوال .

ولا يخفى ما في هذا من الفائدة العائدة على الامة التي تنصب تماثيل عظماء رجالها . اذ يتذكرهم أعمال من نصب التمثال على صورته تنبعث فيهم الهمم الي الاقتداء به أو الافتخار بما فعله وهذا لا يكون الا في الامم الحية حياة ادبية . أما اذا كان الامر بالعكس فهو من قبيل إماتة النفوس وبذر بذور الجبن فيها .

وقد يجوز أن الامة التي يقام في ارضها تمثال يذكرها بما تتألم منه نفوسها فينتقل ضعفها الى قوة وتهور فتنزع الي محو هذا العار . فلو عمل تمثال يمثل فصل السودان عن مصر لم الفساد في البلاد بما يكون سببا في إثارة الاحقاد في النفوس وهياج الخواطر . واذا كانت الامة ترسف في قيود الاستكانة والذل فان الحقد يكمن في صدرها كمون النار في الحجر الصوان حتي تولد الايام حوادث تكون بمنزلة قدح الزناد .

ومما لا بأس من ذكره هنا على سبيل الاستشهاد في هذا النحو ما روي : أنه وقعت حرب بين الاوس والخزرج في موضع يقال له

بعاث كانت الغلبة فيها للاوس على الخزرج ثم تصالح الفريقان وزالت الاحقاد من الصدور واتفق أن بعض رجال من القبيلين كانوا جلوسا في مكان يتحادثون وهم في وفاق تام . فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فأراد أن يبث بينهم فتنا تنفرهم عن بعضهم فأرسل لهم رجلا يذكرهم بيوم بعاث وانشدهم بعض ما قيل فيه من الشعر فى هذا اليوم حينئذ هاج القوم وقالوا السلاح السلاح فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونهاهم عن فعل الجاهلية فرجعوا عما كانوا عزموا عليه وتصالحوا وعرفوا انها نزغة شيطانية وبسبب هذه الحادثة نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)

والذي يعلم مقدار ما كان عليه المسلمون في ذلك العهد من اتحاد الكلمة يعرف مقدار التأثير من ذكر الحوادث المؤلمة للعواطف المثيرة للاشجان علي اختلاف الاسباب الباعثة علي الذكري .

هذا واني حين قدومي الي تونس رأيت بالقرب من الميناء حديقة صغيرة فيها تماثيل خمسة اشخاص . وهي . رجل واقف وامامه امراة واقفة باسطة يديها اليه . ورجل آخر ينظر اليها نظر المنكر وبيده شيء يشبه الفاس او البلطة وبجانبهم غلامان ينظر احدهما في كتاب بيد الآخر لذي يشير بأصبعه فى الكتاب كانه يعلمه القراءة فيه . فسألت صاحبي عن هذه التماثيل وهذه الرموز فقال : اما الرجل الاول فانه يمثل دولة فرنسا واما المراة فتمثل تونس واما الرجل الآخر فانه ايطالى يمثل دولته التي كانت طامعة فى اخذ تونس قبل فرنسا وكانت ساعية جهدها في احتلالها ثم انعكس عليها الامر بفوز فرنسا عليها . فكان هذا الرجل الايطالى ينظر

الى تونس نظر المنكر المستغرب الى من وعده بشيء وعـدا أكيدا صادقا فحرمه منه ثم أعطاه لغـيره . وأما الغـلام الذي بيـده الـكتاب فهو شاب فرنسوي يعلم شابا تونسيا القراءة في هـذا الـكتاب اشارة الى أن فرنسا ستجعل للغتها شأنا عظيما في تونس كما فعلت في الجزائر . فلما أن سمعت منه ذلك لم أرغب أن أزيد عن سؤالي الاول كلمة في شأن سياسة فرنسا شأن القادم على بلد لم تطأه قدمه من قبل . ولم يعلم شيئا عن أحوال ساكنيه الاجتماعية .

ولم يكد يمضي عليّ أسبوع حتى شاهدت ذات ليلة موكبا حافلا بالجند وهم يحملون الاعلام والمصابيح والموسيقي تصدح أمامهم فلم أشـك في أنه أحد الاحتفالات الوطنية أو موكب زفاف عروس لاحد الامراء . ولما سألت قيل لي أنه احتفال بتذكار اليوم الذى دخلت فيه جنود فرنسا تونس ففي مثل هذا اليوم من كل أسبوع يعمل هـذا الاحتفال رسميا ويطوف الجند بهذا الشكل في شوارع المدينة الكبرى .

فلم أشأ أيضا ان أحكم على سـياسة فرنسا في تونس بحكم لاني لم أكن عرفت شيئا عنها . ولـكن بعد أن مكثت أياما عرفت فيها بعض ما جرى على يدها من شؤون البلاد التونسية فاذا تلك التماثيل والرموز لا معنى لهـا في الوجود وانما هي رموز وضعت لايهام الوافد الى تونس من الخارج بأن فرنسا قد احتلت هذه البلاد برضي من أهلها وأنهم راضون عما اجرته من الاصـلاح وأن هـذا الترحيب منهم دليل على رضاهم وأنها ردت عنهم مطامع ايطاليـا . وكذلك في الاحتفال الذي تقيمه في كل أسبوع تذكارا لدخول الجنود الفرنسوية عاصمة البلاد مع أن الامر خلاف ذلك .

وسياسة فرنسا في تونس هي سياسة المستبد ومعاملتها للاهالي هي معاملة القوي للضعيف يسام الخسف فلا يرثي له أحد ولا قدرة له على المطالبة بحقوقه المهضومة . واذا كان من القضايا المسلمة أن المرء لا يشكر غيره إلا إذا وصل إليه الخير من يديه . فان أفاضل التونسيين ينكرون اذا سئلوا عن هذه الرموز والتماثيل واذا لم ينكر أحد منهم فهو اما مضطر لدواع سياسية أو ممن يلبسون الحق بالباطل ولو تعمد المغالطة وخداع النفس

ولو قلنا أن فرنسا أصلحت وجابت مودة التونسيين حتى إنهم بالغوا في الشكر لها وأينا من جهة اخرى انه لم يسبق لدولة من الدول التي احتلت بلدا من البلاد بوالغ في احترامها وإكرامها بهذا المقدار الذي يوقف العاقل السياسي موقف الريب والشكوك .

وأيضا قضى الناموس الاجتماعي ان الدولة الاجنبية التي تحكم امة اخرى لا يمكنها أن تكتسب محبتها بوجه من الوجوه ولو جعلت أرض بلادها تنبت العسجد والنضار الا اذا منحتها الاستقلال التام . وفرنسا لم تعطها شبه استقلال ولا بعض شبه استقلال . فاذن لا معنى لهذه الرموز إلا ما ذكر .

وعلى هذا تكون فرنسا قد خالفت سنة الدول التي سارت سير العاقل الحكيم في حكم الامم الاجنبية عنها في الجنس والعقيدة من وجهين : أولا . اتباعها الخطة التي تنفر منها قلوب أهل تونس بتلك المعاملة الخشنة التي فصلتها في سياستها في هذه البلاد في الفصل السابق : ثانيا ابتداع بدعة لم تخطر على بال رجال السياسة في الماضي والحاضر ولن تخطر أبدا فيما بعد . وهي انها أجبرت الوطنيين بالاعتراف لها بالجميل واذا كان لدى القاري الكريم ريب في هذا فليقس معنا الامور على أشكالها حتى يظهر الصبح

لذى عينين . أترى لو كانت المانيا فعلت في الالزاس واللورين ما فعلته فرنسا في تونس أكان يصبر أهل هاتين المقاطعتين على هذه الاهانة من اقامة تمثال واحتفال مثل ما يجرى في تونس أسبوعيا أم يتذكرون اليوم الذي فيه وقفت فرنسا أمام المانيا موقف المغلوب المقهور وفي كل لحظة يشاهدون أنواع الظلم والقسوة ولا قدرة لهم على إزالتها

ولو وضعنا اصلاح فرنسا في تونس في كفة ميزان واصلاح انكلترا في مصر في الكفة الاخرى لكان لانكلترا مزية الارجحية فلماذا لا يوجد بمصر تمثال كالذي في تونس واحتفال كالذي تعمله فرنسا هناك أسبوعيا تقف فيه مصر موقف المرحب بانكلترا . ومجمل القول أن فرنسا اخطأت خطأ بينا في عملها هذا . فما كان أجدرها بعدم حرمان أهل تونس من خيرات بلادهم ومن التمتع بكل الحقوق الوطنية . وهي الدولة التي شهرت في العالم بدولة التمدن والحرية واحترام الاديان . هذا ما عنّ لي من الاقوال ذكرته والله ولي التوفيق .

المعمرون الفرنسويون في تونس

اذا كان الغربي يزاحم الشرقي في كل مرافق الحياة اما بالتجارة واما بتأسيس الشركات وغير ذلك فمن باب اولى اذا كان لدولته في بلاد الشرق نفوذ بطريق الحماية أو الاحتلال وهو في هذه الحالة اكثر طمعا وأشد مزاحمة ومضايقة للشرقي بل يقف في طريقه فلا يدعه يستثمر ويجنى من خيرات بلاده ما يقوم بواجبات حياته وقد يلجئه في كثير من الاحيان الى الهجرة من بلاده ومسقط رأسه الى بلاد اخري يلتمس فيها أسباب المعاش

وقد فعلت كل هذا دولة فرنسا في تونس لانها لما وضعت عليها حمايتها أخذ الفرنسويون يفدون اليها أفواجا فشغلوا الوظائف وزاحموا التجارة ولكنهم في ذلك لم يبلغوا في مضايقة الاهالى ما بلغوه في مضايقتهم في استغلال الارض لانهم يعلمون من هذه الوجهة ان امتلاك الارض بابخس الاثمان لتساهل الحكومة لهم في ذلك حتي اذا كانت الارض ملكاللاوقاف وهذا التساهل بمثابة أخذ الارض هبة بلا ثمن . وبهذه الكيفية أصبح الفلاح التونسي في أشد حالات الضنك والضيق في المعاش واذااسترحم الحكومة فانها لم تعره ادني التفات ولو مات جوعا على مرأي ومسمع منها . وكانت هذه المعاملة منها لهم داعية لمهاجرتهم من بلادهم وتشتتهم في البلاد على ان الارض الصالحة للزراعة في تونس تقل عن حاجات الاهالى من جهة القوت الضرورى .

تعلق اهل تونس بالخليفة الاعظم

ان تعلق المسلم بعرش الخلافة الاسلامية أمر طبيعي غرسه الدين في قلبه فلا غرابة في ذلك . ولكن الغريب هو التفاني في هذا التعلق الى درجة يسترخص فيها بذل الروح في سبيل الدفاع عن هذا المقام وهو ما وصل اليه أهل تونس والجزائر والسبب في ذلك هو ما يقاسونه من استبداد فرنسا بهم وسوء معاملتهم لهم .

ومن الغريب ان دولة فرنسا تدعى أنها اول دولة في العالم تحترم الاديان ولا تتعرض لحريتها وهى بخلاف ذلك في هاتين الولايتين .

فلو فرضنا أن التونسيين والجزائريين من المسيحيين وان الدولة الحاكمة

هى الدولة العلية وان هذا الاستبداد منسوب اليها أكانت تصبر اوروبا على ذلك أم كانت ترسل الاساطيل والجيوش في سبيل المحافظة علي المسيحيين ان جواب هذا السؤال سهل لا يحتاج الى ايضاح.

والاغرب من هذا كله ان اوروبا تتهم المسلمين بالتعصب الديني افتراء منها . فلو كان هناك تعصب حقيقي لما صبر مسلمو الروسيا وتونس والجزائر والجبل الاسود وبلاد الجاوا علي ما هم فيه من الظلم الفادح والمصائب التي يباشرونها في كل آن حتي بلغت الدرجة بالمسلمين في الروسيا انهم يكرهون على التنصر . وفي الجبل الاسود ينتزعون اموالهم من ايديهم . على ان فرنسا لا يبعد في يوم من الايام ما دامت سائرة علي هذا النهج في معاملة اهل تونس والجزائر ان ينقلب ظهر المجن عليها في هاتين الولايتين لان القلوب متى انتقلت من يدها فالاجسام تابعة لها .

ومما يدل على كثرة تعلقهم بعرش الخلافة انهم لم يكتفوا بالدعاء للخليفة الاعظم في يوم الجمعة على المنبر بل يدعون له في آخر كل صلاة دعاء مؤثرا يجرى العبرات من العيون . ومن هنا يعلم ان اكثر الدول استعمارا هي الدولة التي تعامل الامم الخاضعة لها بالرفق واللين وتمنحها من الحرية والاستقلال مايساعدها على التقدم والانتظام في سلك الامم الراقية.

هذه دولة اسبانيا لما اساءت معاملة أهل جزائر الفيليبين وجزيرة كوبا كان ذلك داعيا لاشتعال نيران الثورة الى عجزت اسبانيا عن اخمادها وكان من جرائها وقوع حرب هائلة بينها وبين الولايات المتحدة وخسرت بسببها من الرجال والاموال في البر والبحر خسارة كبري غير انتزاع هذه الجزائر منها وضمها الى املاك الولايات المتحدة بعد ان منحتها المجالس النيابية.

وقد دل التاريخ على أن الدولة التي تستبد في معاملة الامم الخاضعة لها لا بد وان ينعكس عليها الامر في يوم ما مهما بلغت من العظمة والجاه وقوة السلطان .

واني لم اعقد هذا الفصل الا رغبة في أن تعامل فرنسا أهل تونس والجزائر المعاملة التي تحببها اليهم وتعمل على ما فيه رقيهم المادي والادبي بنشر العلوم وتقدم الصناعة والزراعة والتجارة ومنحهم الاستقلال الذي هو شعار الامم الحية وبذلك يمكنها أن تفاخر الامم بهذا الاين اذ معاملة الظلم والقسوة لا يجديانها نفعا البتة .

زيارتي لسمو باي تونس

اردت زيارة صاحب السمو محمد باشا الناصر باى تونس الافخم فقصدت السراي المقيم فيها وهى في ضواحي مدينة تونس بمحل يقال له سيدي أبي سعيد بالمرسى وهو يبعد عن تونس بمقدار نصف ساعة والوصول اليها بطريق السكة الحديدية كما يذهب أحدنا من العاصمة الى المطرية عن طريق خطها الحديدى ولما وصلت الى السراي بعثت بكارت الى ديوان التشريفات وبعد قليل حضر إلى أحد معاوني الحضرة العلية كما يلقبونه بذلك في تونس ولما تقابلنا لقيني بكل حفاوة دلت على كرم أخلاقه وأدب نفسه وربما كانت هذه الحفاوة دليلا على كرم اخلاق سيده وبعد تبادل التحية أخبرته بأني أريد أن أتشرف بمقابلة سمو الباى فعرفنى أن ذلك غير ممكن لانه لايصرح للاغراب بأن يقابلوا سموه الا بعد أن يعرض الامر على الحكومة . فالذى يريد المقابلة من الاغراب يذهب اولا الى السفارة

الفرنسوية ويطلع السفير على الغرض الذي لاجله يريد مقابلة سمو الباي وحينئذ يكون للحكومة حق التصريح بالمقابلة أو منعها أما أهل تونس فانهم يقابلون سموه أني شاؤا بغير اذن من السفير ولا توضيح الاغراض التي يريدون محادثته فيها .

فأسفت جدا على هذه الحالة ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بيد امراء المسلمين في كل بقاع الارض . ولا داعي الى ذكر المعاين الذي أخبرني بذلك لانه يجوز ان تنتقم منه فرنسا . وبعد ذلك ذهبت من السراي وودعت هذا لرجل وقد عرفت رجلا فاضلا من الحاشية وهو السيد عثمان التركي أحد معايني الحضرة العلية كمثل سابقه.

زيارتي لجناب الموسيو بيشون

توجهت في يوم الى دار السفارة الفرنسوية لمقابلة جناب الموسيو بيشون سفير فرنسا في تونس سابقا ووزير خارجية فرنسا حالا فقابلني جنابه مقابلة حسنة اعرب فيها عن ادبه وكرم اخلاقه وتهذيب نفسه وبعد التعارف وتبادل عبارات التحية والترحيب دار بنا الحديث الآتي .

— انني حينما وفدت الى تونس رغبت في زيارة سمو الباي بصفتي مسلما وهو أمير مسلم ولما توجهت الى سراي سموه قابلني أحد المعاينين ولما عرضت عليه امر التشرف بمقابلة سيده اخبرني بانه لايجوز لاحد من غير التونسيين ان يزور سموه الا بعد إخطار (الحكومة) والتصريح منها الى الوزاره لاجل ان تعين وقتا للزيارة وحين ان سمعت منه ذلك قد أتيت

وتشرفت بمقابلة جنابكم لهذا الغرض .

— نعم ان ما قاله لك أحد لمانيين هو الواقع وان للحكومة العذر في مراقبتها وتخوفها من الاغراب الذين يفدون الى تونس لاسيما الذين يريدون زيارة سمو الباي لاسباب سياسية . وذلك أنه يفد اناس الى تونس بصفتهم سائحين وفى الحقيقة جواسيس ينقبون عن اسرار داخلية الحكومة فيبلغونها الى حكوماتهم او الاحزاب المنتمين اليها ولا يخفى ما يكون من نتائج هذا التجسس وجراء هذه السياسة .

وقد حدث في شهر مايو سنة ٩٠٤ أن أحد الالمان جاء الى تونس وطلب مقابلة سمو الباى السابق المغفور له محمد باشا الهادي فصرح لهوعين اليوم الذي تكون فيه المقابلة ولما قابل سموه اراد أن يطرق أبواب السياسة وتطرق الى الحديث فى مواضع لا داعي لذكرها في الوقت الذي كان فيه . فلما رأي سمو الباي انه خرج عن دائرة الغرض الذي قابله لاجله اشار بانتهاء قطع الكلام . وكان الالمانى قد مكث بحضرته عشرة دقائق مع ان الوقت الذى عين له أزيد من ذلك . ولما علمت الوزارة بذلك ارتابت في امر هذا الالمانى وبالبحث وجد أنه جاسوس جاء من جهة المانيا لاكتشاف أحوال السياسة الفرنسوية في تونس .

وكأنني بك تعترض وتقول : لاحظ لالمانيا في وجود جواسيس لها في هذا القطر مادام لفرنسا فيه حق الحماية فاقول لك إن المانيا لداعي صداقتها مع الدولة العلية تريد أن تقدم لها خدمة بمثل هذه الافعال . وهمة أنها بذلك تسعي في اعادة تونس الى حكم الدولة العثمانية لتزيد الرابطة بين تركيا وبينها . واذا كنا نراقب مثل المانيا وصداقتها لتركيا فكيف لا نراقب

المصريين التابعين للدولة العلية لا سيما من يحترفون بحرفة الصحافة منهم

— ان لى ملاحظة على كلام جنابكم وهي أن الدولة العلية اذا كانت تريد ان تبعث لها جواسيس في الايالة التونسية فليست في احتياج الى ان تتخذهم من الالمان لان لديها من الجواسيس اكثر من كل الدول . وهم من الامناء الصادقين في خدمتها العارفين بضروب السياسة وفنون التجسس فهي ابرع من المانيا وغيرها في هذا الباب

أما الرجل الالماني الذى تقولون انه حضر ليطلع على سياسة فرنسا فما هو الا آلة من قبل دولته لدس الدسائس وتنفير قلوب الاهالى من فرنسا . وما بين المانيا وفرنسا من العداوة التي تأسست منذ الحرب السبعينية اكبر دليل على هذه الدعوي .

وأما قول جنابكم إنكم تراقبون المصريين والصحافيين منهم على وجه الخصوص فانى أؤكد لجنابكم أني مصري عثمانى أرى أن اول واجب على في حياتي هو خدمة دولتي وأبناء وطني وديني بكل ما يمكن من الوسائل . ولو كنت اتيت الى تونس لهذا الغرض الذى تشيرون اليه لكنت أصنع كل الوسائل التي بها يخفى على الحكومة التونسية ما قدمت لاجله . وهذا شأن كل مخبر .

— الآن لا بأس من وجودك في تونس ولا من مقابلتك لسمو الباي وما عليك الا ان تنتظر اليوم الذي يكون فيه التشرف بالمقابلة

— انني شاكر لجنابكم عدولكم عن الفكر الاول وانى أؤكد لجنابكم انى لم أرغب في زيارة سمو الباي الا لكونه اميرا مسلما موصوفا بمكارم الاخلاق ولطف السجايا فاحببت ان يسعدني الزمن بساعة اقضيها في حضرته السنية للرابطة الدينية التى تربط كل مسلم بالآخر .

وبما أن الوقت غير كاف لان أنتظر ميعاد المقابلة فقد اكتفيت بما يذاع ويشاع عن حسن آداب هذا الامير العظيم وجليل سجاياه التي حببته الى الخاص والعام سواء في ذلك رعاياه التونسيين أو غيرهم .

ثم استطردنا الحديث الى ذكر الصحافة ومسائل اخرى فكان مما حدثني به الحديث الآتى

— انني كنت في بادىء امرى أميل كل الميل الى الصحافة وكنت اكثر مطالعة الجرائد الى درجة تفوق العادة ومن شغفي بها كنت اكتب مقالات كثيرة في جريدة (لاجوستيس) التي هي لسان حزب الاشتراكيين وما زلت كذلك ميالا الى الصحافة والخطابة في الشؤون السياسية الى سنة ١٨٨٥ وفي هذه السنة عينت في وظيفة تتعلق بنهر السين بفرنسا وبعد مدة عينت معتمدا سياسيا في احدى جمهوريات امريكا الجنوبية وفي سنة ١٨٩٥ عينت سفيرا في بكين عاصمة الصين وفي هذه المدة حدثت حوادث البوكسرو اشتعلت نيران الثورة ضد الاجانب في مملكة ابن السماء واشتركت الدول في اطفاء نيران هذه الثورة بعد ان ازهقت ارواح كثيرين من الاوربيين . ومكثت في بلاد الصين الى سنة ١٩٠١ حيث انتدبت من قبل دولتي سفيرا في تونس وذلك في شهر دسمبر من هذه السنة وبمجرد وصولى اليها سعيت جهدى في بث روح الاصلاح في الادارة وفي كل ما من شأنه ترقى البلاد ومن ضمن ماصنعته هو منح الحرية للجرائد والمطبوعات بعد أن كانت أقلامها مغلولة بقيود الضمان وغير ذلك مما لا حاجة الى ذكره الآن . والذي أنا ساع الآن جهدى في اخراجه من حيز التفكر الى دائرة العمل هو منح التونسيين حق النيابة في مجلس الشورى

الذى هو الان خاص بالفرنسويين ، وترقية الزراعة والصناعة واتساع دائرة التعليم وما أشبه ذلك من الاعمال النافعة التى يذكرني بها التونسيون الذكر الحسن والتى تكون لى نقطة بيضاء في تاريخ حياتي الذى قضيته في هذه البلاد . فشكرت له هذا الشعور وهذه العواطف الشريفة ، وبعد ذلك شرحت له ما يلاقيه التونسيون من ضغط الحكومة واتيت له بشواهد ثابتة على القسوة التي يعاملون بها وأنواع الضيق الذي هم فيه . وقلت حبذا لو نظرتم الى حالة الاهالى الآن بعين الحكمة كما هو المأمول في جنابكم .

فوعدني بالمقابلة مرة اخرى للمحادثة في كل أمر يخطر بالبال من هذا القبيل ، ولكن ظروف الاحوال لم تساعد على المقابلة مرة اخري .

تاريخ حياة سمو باي تونس

هو ذلك الامير سليل الامراء الفخام والاقيال العظام الذين نالوا المعالى كابرا عن كابر وافتخرت بمدحهم وتدوين مآثرهم بطون الدفاتر واهتزت طربا بالثناء عليهم المنابر . وسارت ذكراهم مسير الامثال في سائر الاجيال وشادت لهم الشعراء من صروح المجد في كل ناد . مالم يشده للنعمان شعر زياد ، كرم باذخ . ومجد شامخ ، وسير أكسبت الروض عبيره ، والشمس ضياءها والقمر نوره . فاذا جرى ذكر ملوك بني غسان ، او المناذرة بما فيهم النعمان . او اقيال نجران . اوصاحب قصر غمدان . او غيرهم من ملوك العرب الصيد . وامراء الاسلام الصناديد . الذين حفظ لهم التاريخ . مجداً أعلاهم فوق الثريا والمريخ . واوطأهم أديم الفرقدين . وحط رحلهم بين السماكين . فآل العائلة الحسينية هم واسطة هذا العقد الفريد . وهذا الامير فيهم بيت القصيد .

ذكر الانام لنا فكان قصيدة وهو البديع الفرد من ابياتها

فأكرم بنسب في المجد عريق . ومحتد بكل انواع المدائح خليق .

أما صفاته فيما يتعلق بذاته التي هي هيولى الشرف الطارف والتالد ومثال المحامد . فحدث عن البدر الزاهر . والبحر الزاخر . والروض الناضر .

ياسائلي عنه وعن أخلاقه ماشئت قل في رونق الروض الندي

كرم يزينه العفاف وهمة أحذت أخامصه أديم الفرقد

عفة نفس تمثل أمامه الشبهات كأنها كبرى الآثام وهمة لدي الازمات تكشف الغمة وتجلو الظلام . وذكاء قلب في المعضلات أمضا من غر الحسام . وإصابة رأى عند المشكلات . انفذ من السهام . وخضوع تقى يجمله الوقار . ومهابة تخشع لها الابصار .

ويرى التعاظم ان يرى متواضعا ويري التواضع ان يري متعاظما

حلم دونه ثبير وثهلان . وجبلا نعمان . وإقدام تذل له الخطوب . وطوارق الحدثان وحسن سياسة ملأت به عرش الرئاسة وخبرة بالايام والعصور ووقائع الدهور وطول ممارسة للامور الصعاب . أزالت بينه وبين الصواب كل ستر وحجاب وتقوي ونزاهة . وسرعة بداهة . كأنه ينظر الى الغيب من ستر شفاف . حيث يكاد يرى خفي الالطاف . فهو كما قال الشاعر و تعديي . وبه كل المهي تحدى .

له الرأى انجو السياسة خيمت حنادسه جلى وجوه الدياجر

أما فيما يتعلق بالرعية . فهو العادل في احكامه . يعاقب إذا كان العقاب أصلح . ويصفح اذا كان الصفح أنجح . ولا يغرس الجميل الا اذا صادف واذا زفت اليه عرائس المدائح جعل الجود لها مهرا . فهو ناصر الضعفاء

أكابهم الاقوياء . وملجأ البؤساء . لدى اللأواء وقبلة مرتاد الندى. اذا جاءت السنة الشهباء . ينظر في الشؤون جليلها وحقيرها . وكبيرها وصغيرها بعين اكتحلت بنور الحكمة والرشاد . والحزم وعزيمة الرأي والسداد . كنا نسمع بكسرى وعدله . وإياس وذكائه ونبله والمأمون وأدبه وفضله وابن عبد العزيز وتقواه وعفته وابن طاهر ونجابته وقيس وفراسته فاذا به قد جمع هذه الصفات . وأحيي تلك الرفات . والعظام الباليات . ومهما صنفت من قلائد الثناء الجميل . فلا اتعدى ما قيل

كأنك من كل النفوس مركب   فانت الي كل النفوس حبيب

***

هذا ولما كان ذكر تاريخ حياة هذا الامير بمنزلة أنموذج لكل انسان يحب المعالي ننشره الآن كما هو مدون ومأخوذ من أوثق المصادر وهاهو

هو محمد باشا الناصر بن محمد باي بن حسين باي بن محمود باي بن محمد باي ابن حسين باي بن علي التركي مؤسس العائلة الحسينية ولد هذا الامير بالمرسي في ٢٨ شوال سنة ١٢٧١ ه ولما ترعرع أقبل على مناهل العلم والادب فكانت باكورة اعماله حفظ شيء من القرآن الشريف ومبادي العلوم الاسلامية ولما ذاق لذتها تضاعفت فيه الهمة على بلوغ شأو بعيد في التحصيل فيها فزاول ما شاء الله أن يزاول على العالمين الجليلين حضرة العالم الفاضل والاستاذ الحكيم والرحالة الشهير الشيخ محمد بيرم وحضرة الفاضل القدوة الشيخ محمد السنوسي الشهير بعلو الكعب في الادب والعلوم الاسلامية وهذا الاخير لازم سموه ملازمة كلية ولم يبرح متعلقا به الى ان ادركته المنية منذ بضعة سنوات فصار صاحب الترجمة بارعا في اللغة والادب وحصل على

الملكة التي هي كيفية راسخة في النفس وهو والحالة كما ذكر أوسع العائلة الحسينية فكرا في لغة القرآن والادب الاسلامي ولا مبالغة اذا قلنا يفهم دقيق المعاني الواردة في القرآن الشريف

ولما احس بمسيس الحاجة لتعليم اللغات الاوروبية وكانت اللغة الفرنساوية اللغة الرسمية في قارة أوربا . ومن جهة اخرى ان قومها لهم علاقة وارتباط بالمملكة التونسية فرأي حفظه الله ان تعلمها امر ضروري خصوصا لامير مثله مترشح لعرش اجداده الكرام فاستعمل جميع حزمه ونشاطه في تعلمها والاخذ منها بكل ما يمكن وانتخب لذلك أحد مهرة المعلمين وابتدأ في مزاولتها من عام سنة ١٢٩٢ هـ وثابر على تعلمها حتى أخذ منها ما فيه الكفاية واردف ذلك بباقي العلوم العصرية على اختلاف انواعها ومسمياتها والخلاصة فهو عارف بعلوم دينه محصل اللغة الفرنساوية متنور في العلوم العصرية التي عليها مدار الترقي والمدنية .

وفي جميع هذه الاطوار لم يغادر قصره الملوكي ولم تبد عليه حركة ما تنافي شعار هذا البيت الكريم او عوائده .

وفي شهر ربيع اول سنة ١٣٢٠ هـ ارتقي سموه الى ولاية العهد في موكب مشهود حافل بالامراء والوزراء ورجال الدولة .

ولما قلد شعار ولاية العهد التي هي اكبر منصب بعد الامارة لم يغير عادته الاولى ومعاملته مع كافة الناس كما انه لم يتظاهر بما يخالف سيرته من حيث التباعد عن الظهور وبقي مثابرا على خطته المثلى الى ان منحته الاقدار سرير الملك الحسيني يوم السبت الموافق ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٤ هـ في موكب مشهود حضره رجال الدولتين التونسية والفرنساوية وسراة الامة

وعلمائها اطال الله عمره وابقاه كهفا لامته.

هذا تاريخ حياة ذلك الامير الجليل الذي خاف المغفور له محمد باشا الهادي حيث كان الاخير له منزلة عظمى في قلوب اهل تونس وان كان انتقل الى رحمة الله ولكن خلف من الولد الصالح ما يفتخر بمثلهما الدهر فهو أصل تفرعت عنه أطهر الفروع عنصرا واكرمها شرفا وازكاها منبتا احدهما سمو البرنس محمد الطاهر باي والثاني محمد البشير باي وهما صنوان في الزكاء والفطنة خدنان في حسن الاخلاق هذا شمس يعم سناها البادي والحاضر وذاك بحر يرتوي منه الوارد والصادر وكلاهما حاز المجد الطارف والتالد .فاكرم بهذه العائلة الحسينية المباركة ونسأله تعالى ان يديم عليهم نعمه الى مر الازمان وكر الليالي والعشي

السيد البشير صفر رئيس ديوان الاوقاف بتونس

هو وارث ارسططاليس . والاستاذ الرئيس . ادب وفضل . ومعرفة ونبل .درس العلوم فأحياها بعد الدروس . وتعهد غرس طلابها بسقيا حسن الافهام في اوقات الدروس وخلص كل التخليص ومحص التمحيص معني كل عويص . ادب نادر . وفضل باهر . وألمعية تكشف الالتباس وقريحة كانها من الذكاء مقياس . اليراع في يمينه اصدق انباء من الحسام . يأتي بالمعجز من الكلام . فهو رسول الوحي و الالهام . هو في الادب عبد الحميد . وفي النحو محمد بن يزيد . وفي الفلسفة الفارابي وابن رشد . اقسم لو رايته وهو يحادث السمار . بنوادر الاخبار . ورقيق الاشعار . لقلت

الاصمعي بل اظرف حكاية . واغرب رواية . ولو رأيته وهو يلقي على الطلاب قواعد الاعراب . لقلت سيبويه او الخليل . او علوم الدين . وتفسير الكتاب المبين . لقلت هذا ابن سيرين أو احد المجتهدين . ولو شاهدته وهو يقرر في الفلسفة والمنطق لما قلت « ان البلاء موكل بالمنطق » هو في كل علم علم على رأسه نار او شمس يعم ضوؤها كل الاقطار . أما أخلاقه فهي في رقة النسيم . او الخمر مزاجها من تسنيم . او عرف الياسمين بل عطر دارين . طهارة اعراق . ودماثة اخلاق تعاظم في خشوع . واناة في نزوع يكرم الناس من كل الاجناس . خصوصا اهل وطنه . وعلى الاخص علماء زمنه لاسيما من تجمعه بهم جامعة الدين من المسلمين على عفة وصلاح واريحية وسماح وكياسة وسياسة . وبعد نظر يصيب شاكلة الرمي وناهيك بالذكي الالمعي

من مخبر الاعراب اني بعدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ورأيت كل الفاضلين كانما جمع الاله نفوسهم والاعصرا

هو في تونس كالاستاذ الامام في مصر . في الفضل وكرم النفس والشبه بينهما ذو وجهين بلا ريب ولا مين حيث كلاهما حكيم في العلم والفلسفة . وكمال الدراية والمعرفة وهذا هو الوجه الاول وحيث كلاهما لم ير المجد في مجرد الاتصاف بالعلم ومزية الفضل . بل يرى الفخر في خدمة الاوطان بآثار ما احرزه من العلوم والمعارف والغنى في حسن الاحدوثة افضل من الغني التالد والطارف فذاك اسس الجمعية الخيرية وهذا اسس المدرسة الخلدونية وايد العلوم العصرية وحث على الاعمال الخيرية واحيي ذكر الوطنية وهذا هو الوجه الثاني الافضل الذي عليه المعول

اذا مات منا سيد قام سيد　　قؤول لما قال الكرام فعول

وبما أن هذا السيد الاورع والفاضل الابرع والهمام السميدع يجدر بنا ان نفخر بمثله نذكر ملخص تاريخ حياته الذي نقلناه من اوثق المصادر

* * *

هو محمد البشير بن المنعم امير اللواء مصطفى صفر اصله من الترك الذين استوطنوا تونس على عهد حسين بن علي مؤسس العائلة الحسينية

* * *

ولد هذا الشهم عام ١٢٨٠ ه فرباه والده وأحسن تربيته . ولما ترعرع أدخل المدرسة الصادقية في بدأ تأسيسها فظهرت عليه دلائل النجابة . وتوقد القريحة فعين في طالعة الارسالية التي ذهبت إلى باريس عاصمة فرنسا . لتكميل نصاب التحصيل على نفقة المدرسة الصادقية ثم عاد الى تونس في أواخر سنة ١٣٠٠ ه فأخذ يتقلب في الوظائف السامية فعين مترجما في الوزارة الخارجية ثم ألغيت الوزارة المذكورة وتعين محتسبا بالادارة العامة فأخذ يتدرج إلى أن صار رئيس قلم المحاسبة مع انضمام ادارة المدرسة الفرعية التي كانت قرب بطحاء رمضان بأي . ثم كلف بالمراقبة على جمعية الاوقاف . فأدخل فيها من الاصلاحات ما شاء الله أن يدخل . ثم صدر له الأمر العالي برئاسة الادارة المذكورة وهي اليوم سائرة بحسن أفكاره وثبات عزيمته حتى اشبهت أعظم الادارات الأوربية . أما خدمته الوطنية التي هي بيت القصيد من كتابة هذه العجالة فقد بلغ فيها مبلغا عظيما حتى لقد يدعى بين مواطنيه بالناصح الغيور . وكادت النهضة الموجودة الآن في تونس تنحصر فيه . فهو الذي سعى في تأسيس المدرسة الخلدونية وجاهد في سبيل حياتها جهاد

الابطال . وهو الذى قام بمشروع المستعمرة الفلاحية باعانة نخبة من أبناء الوطن الساعين في سعادته . وهو ذو المآثر التي لايحيط بوصفها القلم . ولا يقدر على تعدادها اللسان . وبالجملة فالرجل يتيمة الدهر . ونادرة العصر . وقد أجمع التونسيون على حبه واحترامه نظرا لشهامته وغيرته . حتى انك ترى الناس يفسحون له الطريق اثناء مروره ويقفون اجلالا وتعظيما له . ومع هذا فهو متواضع كريم الاخلاق طاهر القلب صادق العزيمة ذو حزم ونشاط بالغا حد النهاية في كل الاخلاق التي تسمو بالرجال . الى أوج الكمال .

هذه نبذة صغيرة في ترجمة حياته أوردناها هنا كي تكون مثالا للذى تركناه أكثر الله من امثاله في الامة الاسلامية بمنه وكرمه

أدباء تونس

إن للصناعة الادبية في تونس شأنا يذكر بالنسبة الى حالة التعليم فيها ففيها من الكتاب والشعراء المجيدين ما تفخر بهم هذه الحاضرة كما تفخر مصر بكثير من شعرائها وأدبائها والذين حازوا قصب السبق في ميدان الادب وكانوا كالاقمار بين النجوم هم حضرات الافاضل السيد البشير صفر السالف الذكر والسيد محمد الجعايبي صاحب جريدة الصواب والسيد عبد الرحمن الصنادلي مدير جريدة الزهرة وعبد الرازق أفندى الغطاس صاحب جريدة حبيب الامة وعلي أفندي بشوشه صاحب جريدة الحاضرة والسيد حسين عثمان صاحب جريدة الرشدية والسيد أحمد القبايلي صاحب جريدة اظهار الحق وغير هؤلاء الافاضل الادباء الذين تفخر بهم البلاد ويتعطر بذكرهم وذكر أدبهم كل ناد

ومن الذين عرفوا بالاجادة في قرض الشعر من ادباء تونس وشعرائها المجيدين الفصحاء المقتدرين . السيد محمد علي الزربي الذي نظم قصيدة غراء يعارض بها قصيدة شاعر النيل حافظ افندي ابراهيم الذى نظمها في الفتاة اليابانية . نسطرها هنا تنويها بفضل ناظمها الفاضل . وهي

*
* *

لا تلوموا باكيا منتحبا ... حركته غيرة فاضطربا

كيف لا والدين قد حاطت به ... بدع والعلم قد أمسى هبا

وأناس فشلت قواهمو ... ولباس العز منهم سلبا

وتردوا برداء الذل مذ ... أمطر الجهل عليهم سحبا

هجروا قرآنهم من بعد ما ... تركوا نهج النبي المجتبي

وعتوا عما نهوا عنه ولم ... يجدوا الا الشقا والتعبا

كيف لا يشقي أناس فرقت ... في الوري آراؤهم أيدي سبا

شربوا من خمرة الخسران في ... حانة الزيغ فساؤوا مشربا

وتمادوا في العمى والغي مع ... بث افكار تسمي كذبا

فلذا قد أهلكوا انفسهم ... واضلوا حزبهم واعجبا *

أي خير يرتجي منهم وقد ... تخذوا الدين الحنيف لعبا

يا بني من تونس الناس بما ... واهب الحسن لها قد وهبا

ما لكم عفتم جميعا امكم ... منذ صارت تشتكي العطبا

* . وفعلتم كل شر يتقى ... واليكم كل خبث نسبا

ان من يغرس اشجار الاذى ... في بقاع البغي يجنى النوبا

يابني الاسلام هل يرضيكمو ... أن نور العلم عنكم حجبا

مالكم صرتم حياري كلكم ... وعليكم كل أمر صعبا
أرضيتم أن تكونوا بين من ... نسبوا للعلم مثل الغربا
أم رضيتم بالملاهي موردا ... وطنتم وردها مستعذبا
ما لكم قلتم إذا مالمتمو ... هكذا الله علينا كتبا
لاينيل القصد تفريط امرئ ... إنما الحزم بنيل المأربا
والذي يقطع بحر العلم في ... مركب الجد يجد ما طلبا
وإذا ما عقلكم خامره ... بعض شك والدليل احتجبا
فاسألوا المشرق عن يابانه ... هل بغير العلم فاق المغربا
واسألوا عن حال اسلاف لنا ... أنهم بالعلم نالوا الرتبا
يابني الاوطان هل من نهضة ... علها تبعد عنا الكربا
ما لكم فرطمو فيما به ... عيشكم يبقى هنيئا طيبا
لاتظنوا الخير يأتيكم بلا ... بذل جهد في التعاطي السببا
ليس للانسان الا ما سعى ... والذي يسعى ينال المطلبا
ان أردتم أن تنالوا عزكم ... والذي من فخركم قد ذهبا
وتعيشوا سعدا بين الورى ... وتنالوا في المعالي منصبا *
فابذلوا في العلم أقصى جهدكم ... واخدموا الدين وكونوا نجبا

*
* *

ومنهم حضرة الشاعر الاديب السيد الصالح سويسي الشريف من نيغا متخرجي جامع الزيتونة الذي قال قصيدة وطنية دلت على كمال أدبه وصدق وطنيته

وهي مطولة نقتطف منها ما وقع عليه الاختيار وان كانت كلها غرر

ودررا قال في مطلعها

***

الى متى أمة الاسلام في كرب وقد احاط بها جيش من النوب
والفكر أضحى من التأخير في تعب والغير في الجد أما نحن في لعب
ما آن أن تنهضي يا أمة العرب

يا أمة لعظيم النصح ما سمعت اسلافها استيقظوا لكنها رقدت
وفي نوادي الهوى واللعب قد رتعت وما أفاد لسان الوعظ والخطب
ما آن أن تنهضي ياأمة العرب

يا أمة عامل الاغراض فرقها والعين قد شاهدت حزنا فأرقها
ناديت والنفس حسن الصبر فارقها ان دام هذا العنا ياموت فاقترب
ما آن أن تنهضي يا أمة العرب

هذى المفاسد قد راجت بضائعها كذا الفواحش قد عمت وقائعها
والخمر قد ساد بين الناس بائعها والفكر عن كل نفع صار في حجب
ما آن أن تنهضي يا أمة العرب

أين المعالي التي كانت لأمتنا أين التعاضد من يدعو لرفعتنا
اسلافنا شيدوا فخرا لملتنا والضد من بأسهم في غاية الرهب
ما آن أن تنهضي يا أمة العرب

اسلافنا فعلوا الخيرات واجتهدوا وجل أعدائهم بالحق قد شهدوا
قوم بأفعالهم في الكون قد سعدوا قد شيدوا وهدمنا كل منتصب
ما آن أن تنهضي يا أمة العرب

أسلافنا رفعوا للدين ما رفعوا لله درهمو بالعلم قد نفعوا

قوم بعزم وحزم للعلى اندفعوا هذا وذكرهم في الصحف والكتب

ما آن أن تنهضي يا أمة العرب

وهي على هذا النمط البديع والاسلوب الحسن المستظرف .

القيام من تونس

غادرت تونس وركبت باخرة من بواخر الشركة الايطاليـة ووجهتي بلاد الشمس المشرقة . وكان العزم أن نسافر من طريق بوغاز جبل طارق فسواحل أفريقية لاجل أن نقف على أحوال سكان هـذه البلاد . ولكن رأينا المسافة بعيدة جدا فعدلنا عن هذا العزم الى السفر عن طريق مرسيليا ثم على الخط الحديدى من هناك فرأينا كذلك المسافة بعيدة فضلا عن كثرة المصاريف . وأخيرا عقدنا العزيمة على السفر من طريق بوغاز السويس حيث الطريق منه أقرب وأسهل والمصاريف أقل . وفعلا قطعنا النذاكر الى عدن ونزلنا في الباخرة فاذا هي حاوية من الركاب نحو الثلاثمائة ما بين الدرجة الاولى والثانية والثالثة . وبينما أنا ورفيقي نطالع في بعض كتب العلوم الدينية وذلك في صالون الباخرة الذى هو أشبه شيء بناد عمومي للركاب . واذا برجل فرنسوي يدعى المسيو (بيرتو) اقترب منا ورغب في التعرف بنا فبعد التحية دار بيننا الحديث الآتي وكانت المخاطبة بيني وبينه فقال

— اني أظنكما مسلمين ومن أهل العلم

— اجل

— والى أي البلاد أنتما ذاهبان

— الى بلاد اليابان للتبشير بالدين الاسلامى

— حسنا فعلتما . واني على ذكر الاسلام أريد أن أسأل على شيء

طالما وددت ان اجتمع بمثلكما ليجيبني عنه والآن أحمد الله على الاجتماع بكما

— وما السؤال الذي تريد الجواب عنه

— انني قبل كل شيء أوكد لكما بأني لم أقصد بسؤالي الا الاهتداء الى الحقيقة والعلم بالمجهول . وما كنت لاقول هذا لولا خشية اتهامي بالتحامل على الاسلام والمسلمين . اني اطلعت على تاريخ الاسلام من عهد نشأته الى هذا العهد قد هشت جدا للفرق العظيم الذي بين حالته الاولى وحالته الحاضرة

فان الاسلام ظهر في جزيرة العرب ومن قلب آسيا ولم يمض عليه قليل من الزمن حتى انتشر في بقاع المعمورة فلم يبق صقع من الاصقاع الا ودخله الاسلام . وان انتشاره هذا لم يكن بواسطة المبشرين ولا غيرهم بل هو لاجل ملاءمته لكل جنس وكل عادة من عادات الامم كما يعرف ذلك من احواله وقواعده ومبادئه . وكان المسلمون في تلك العصور في أعلى درجات التقدم من حيث العلوم والمعارف حتي ان الامم كانت تخشى سطوة الاسلام وتنظر الى مقام الخلافة نظر الاحترام والاعتبار

وذلك بخلاف ما عليه المسلمون الآن من الانحطاط المادي والادبي حتى انهم اصبحوا محكومين لامم مخالفة لهم في الدين والعوائد . والقدر الذي يستظل بظل الخلافة منهم اليوم لا يوازي جزاء من مئة من مجموع عدد المسلمين الآن

— اعلم ياجناب الموسيو بيرتو أن الاسلام هو دين الفطرة والعدل والمدنية والحرية واذا بحثت في اصوله وقواعده ومبادئه وتعاليمه تكون أول من يرد كل افتراء يفتريه غير المسلمين على هذا الدين والا لما انتشر هذا الانتشار

الهائل في سائر أنحاء الارض في مدة وجيزة وذلك التقدم الذى تقدمه المسلمون في العصر الاول ما هو الا نتيجة سير المسلمين على قواعده والعمل بما جاء فيه من الاوامر والنواهى الي غير ذلك من المعاملات مع أهل الاديان الاخرى واذا قرأت سيرة الخلفاء الامويين والعباسيين تعرف مقدار ماكان يبذله هؤلاء في سبيل اعزاز كلمته وتأييد سلطته من اقامة الحدود في مقاطعها وتولية الاحكام لمن هم كفوؤ لها والذود عن حمي الاسلام من ان تعبث به أيدي أهل الضلال وينال من كرامته أعداؤه هذا فضلا عن اكرامهم لاهل العلم وتعزيزهم لاهل الفضل .

فاذا نظرت يامسيو بيرتو الى احكام القرآن ثم نظرت الي قوانين وشرائع سائر الدول تجد ان الشريعة الاسلامية هي الكفيلة بكل ضروب العدل سواء ذلك في الحقوق الجنائية التي يتساوى فيها لمسلم وغير المسلم في كل الشؤون السياسية والدينية لانه جمع انواع ما به سعادة من يدين به وكان القاضي الشرعى يحكم في كل الدعاوي المدنية والجنائية على مقتضي القواعد الدينية وكل العقوبات التى حدتها الشريعة الاسلامية اذا تأملت فيها وجدتها وحدها الكفيلة بردع الناس عن ارتكاب الجرائم كما انك اذا تأملت في أركان الاسلام تجده جامعا لمعني المدنية الحقيقية .

فالمسلمون في العصر الاول كانوا آخذين بأوامر الدين ونواهيه سائرين على كل ما رسمه لهم في كل احوالهم الاجتماعية أما الآن وقد نبذوا الدين ظهريا وجعلوه نسيا منسيا لا تآلف بينهم ولا اتحاد يعزز جامعتهم والبلية العظمى انهم استعاضوا بالقانون الوضعي عن القانون السماوى فالقاضى الشرعى لايحكم الآن الا في الاحوال الشخصية . هذا مع انكماش علماء الدين فلاهم

يعملون علي اقامة البدع وتنبيه الحاكم الي المفاسد المنتشرة بين المسلمين فكثر الفساد وانتهكت حرمات الدين وآدابه ولم لا يعمل بها الا الذين يتخذونها حبالة للتقرب من الملوك والامراء فهي غش ورياء وزد على ذلك الجهل السائد بين كل الطبقات فتري الاغنياء يصرفون اموالهم في اقتناء الزخارف من أنواع البناء الفاخر وكل مظاهر الغنى ولم يأخذ المسلمون من مدينة الغرب الا ما يضرهم في دينهم ودنياهم على ان المدينة الغربية مستمدة من التمدن الاسلامى اذ الاسلام لم يأمر بالعبادات فقط بل يأمر بأن يعمل المسلم لدنياه كانه يعيش ابدا ولدينه كأنه يموت غدا فلو سعى المسلمون سعى الغربيين من حيث الاكتشافات والاختراعات فهم يعملون بقول الله تعالى (وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) حتى ان الحكمة التى أودعها الشرع الشريف في الصلاة والصوم والزكاة والحج هى نفس المدنية الحقيقية التى بها ترتقي الامم الي أوج السعادة فالصلاة والصوم يبعدان النفس عن ارتكاب الدنايا والفحش . والزكاة تمنع السرقات لانك اذا بحثت عن جنايات السرقة والسلب والنهب تجد السبب فيها هو الفقر . والحج يؤلف بين قلوب المسلمين المنتشرين في سائر انحاء الكرة الارضية فيكونون يدا واحدة يشعر كل فرد بما يشعر به الآخر على بعد ما بينهما من المسافة . وأما مايرمى به الجاهلون هذا الدين القويم من أنه دين التعصب ضد غيره من الاديان الاخري خصوصا المسيحية فكله وهم باطل والا لما عاش المسلمون واليهود والنصارى كل هذه المدة من عهد بدء الاسلام الي اليوم وهم متمتعون بالحرية التامة فى مرافق حياتهم يتبادلون فيما بينهم المنافع والفوائد المتعلقة بحياتهم الاجتماعية . ومن العجب أن أوربا تتهم المسلمين

زورا بانهم متعصبون اذا بدت منهم بوادر الالفة والاتحاد والتضامن في كل مايهمهم دنيا واخري ٠

وهذا تاريخ الاسلام من أوله الى آخره لا تجد في أي زمن من الازمان ان المسلمين هاجوا ضد النصاري أو اليهود ٠ بل الحروب الصليبية كلها لم تحركها الا يد اوربا التى تريد ان تمحو الاسلام عن العيون ٠

وعلى وجه الاجمال أقول لك ياجناب المسيو بيرتو ان المسلمين اذا عملوا بدينهم في احوالهم السياسية والدينية والاجتماعية ونبذوا كل ما يخالف شريعتهم وعملوا بما هو واجب عليهم لكانوا يسترجعوا مجدهم السالف . وكان مركز الخلافة يصير مرهوب الجانب في سائر الامم ٠

وانى اراك يا مسيو بيرتو قد عرفت حقيقة السبب في تقدم المسلمين في العصر الاول وتأخرهم في العصر الحاضر ٠

ـ الآن قد وقفت على الحقيقة وزال عنى الارتياب في معرفة الاسباب واني اشكرك شكرا جزيلا حيث افدتنى فائدة طالما تعذر على الاهتداء اليها . ثم اخذنا نتجاذب أطراف الحديث في مسائل اخرى لا داعي لذكرها الآن ٠

المرور من السويس

بعد ان قطعنا المسافة الطويلة من تونس الى السويس ومررنا فى الطريق على البلدان المتقدمة ذكرها ولا داعي لوصفها الآن . كما لا داعي بوصف السويس وتاريخها حيث أنه معلوم لدى كل انسان ٠ ولما وصلنا الى السويس تغيرت الباخرة وركبنا باخرة اخري من بواخر شركة المساجري

وكان الجو صافيا والبحر هادئا . ولم نكد نقضي نحو اليوم والليلة حتى هبت الرياح الهوج فزاد اضطراب الامواج وسارت الباخرة في صعود وهبوط وميل على الجنبين الامر الذى اقلق خواطر الركاب . فلبث كل في مكانه لا يتحرك . هذا من الدوار . وذاك من الخوف والاضطراب . وكان كل ناحي من نجى نوحا ومن معه في الفلك بلسان الحال وينشد قول الشاعر

لما ركبنا ببحر * وكاد من خاف يتلف

على الكريم اعتمدنا * حاشاه ان يتخلف

وكان بعض الركاب يستعمل شراب الليمون والبعض الآخر يتعاطى بعض الادوية التي استحضرها لهذا الغرض ومكثت هذه الحال نحو السبع ساعات والبحر هائج مائج ثم قلل من حدته وخفض من اضطرابه كأنه الغضبان استعطف والحليم آب الى رشده بعد الحدة . وأول مدينة رست عليها الباخرة من المدن التي على ساحل البحر الاحمر مدينة ينبع

مدينة ينبع

هذه المدينة ليست كبيرة من حيث عدد السكان وليس بها من التنظيم ما لسواها من المدن التى على سواحل البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط . بل هي ضيقة الشوارع التى تتراكم في جنوبها الاقذار والاتربة وماؤها آسن غير صالح للشرب مجلبة للامراض لونه ازرق يجلب من المستنقعات الرديئة الرائحة ومن العجب ان اهل هذه المدينة يشربون من ماء هذه المستنقعات من غير مبالاة . وقد اخبرت ان الحكومة العثمانية عازمة على الاعتناء بأمر الصحة في هذه المدينة لا سيما الماء الذي منه حياة كل

شيء . اذ عزمت على ردم هذه المستنقعات وانشاء آبار ارتوازية .

وبهذه المدينة نوع من البعوض لسعه يقرب من لسع الزنابير والسبب في وجود هـذه المستنقعات . اما حالة التجارة في هذه المدينة فليست ذات اهمية تذكر اذ بها بعض الحوانيت لبيع بعض البضائع الضرورية لمعاش الاهالى

***

وقد دخل الاسلام هذه المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلاق المسلمون في فتحها عناء لان اهلها اسلموا وسلموا طوعا واختيارا ورغبة في الاسلام لاخوفا من السيف والى هذه المدينة ينسب ابو عبد الله حرملة المدلجي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقطن في هذه المدينة عرب قبيلة جهينة وهم اصحاب النفوذ دون سائر سكانها ثم اقلعت الباخرة من هذه المدينة قاصدة جدة ولم تمكث الباخرة فيها سوي ساعتين .

﴿ مدينة جدة ﴾

هذه المدينة قديمة العهد وبعض المؤرخين قال انها كانت مستعمرة للفرس الذين جاؤا الى بلاد اليمن وطردوا الحبشة منها وأقروا سيف بن ذى يزن على ملك التبابعة أجداده كما ثبت ذلك من التواريخ الصحيحة . والعامة تقول جدة بفتح الجيم والصواب ضمها.

وهي تبعد عن مكة بنحو خمسة وستين ميلا وبجوارها سلسلة جبال منخفضة خالية من الاشجار والنبات وكانت هذه المدينة في العصر الأول

محاطة بأسوار وبروج حصينة ومحيط بها خندق وكان لها ستة أبواب مفتوحة من السور ولكل باب طريق موصل الى البحر ولم تزل آثار السور والابواب والخندق موجودة الى الآن وأول ما وصلت الباخرة الى مدخل الميناء أخذت تسير ببطء حذرا من أن تصدم ببعض الشعاب الحجرية الكثيرة التي في مدخل الميناء . وقيل ان هذه الصخور هي أشجار المرجان النابتة في قاع البحر وهذه الميناء هي أحسن ميناء على البحر الاحمر من حيث هي أول بلد يدخلها الحاج بعد ينبع في بلاد جزيرة العرب

وبهذه المدينة تجار من الاوربيين والهنود لهم حوانيت كثيرة مما جعل لها أهمية تجارية اكثر من ينبع . وشوارعها متسعة لطيفة ومن أهم شوارعها من حيث رونق البناء هو الشارع الممتد من البحر فالشارع المسمى باسم امنا حواء وفيه قبرها وهو ذو ثلاث قباب والى هذه المدينة ينسب رجال من أكابر العلماء مثل عبد الملك بن ابراهيم الجدي وعلى بن محمد بن علي بن أبي نصير وأبو الحسن أحمد بن محمد الفينقي . وابو بكر محمد بن عبد الرحمن القطان لذي روى عنه العلم والحديث عبد الله بن السمرقندى الشهير

وقد اختبرت من اخلاق أهل جدة مادلني على أنهم أهل كرم وسخاء خصوصا مع الغريب عنهم البعيد منهم ولم تكن على نصيب من العلوم لان الذين يعرفون القراءة والكتابة منهم قليلون جدا .

وقد اسعدني الحظ بمعرفة رجل فاضل غذته العلوم والاداب بلبانها وحنكته التجارب حتى إنه يعد من رجال السياسة الخبيرين بأحوال الأمم الاجتماعية على أدب فيه وكمال ظرف وهو حضرة الفاضل الحاج اسماعيل الليثي من قبيلة تدعى بهذا الاسم وقد مكثت زمنا قليلا وأنا احادثه في كثير

من الشؤون السياسية والاحوال الإجتماعية ونحو ذلك من الفنون الادبية فكان في كل موضع من مواضع الحديث يجيد ويفيد حتى عرفت منه مالم أكن أعرفه من أحوال بلاد جزيرة العرب التي تنقلها الجرائد محرفة عن الحقيقة ٠

وبهذه المدينة مسجد شهير يسمى مسجد الابنوس وغيره من المساجد التي أقل منه في الدرجة ٠

*
* *

ومنازل كبراء هذه المدينة تبنى من الحجر الصخري وأعظم ابنيتها دار الرسومات ومنزل الوالي ثم اقلعت الباخرة قاصدة مدينة عدن ٠

﴿ مدينة عدن ﴾

هي واقعة في الشمال الشرقي من الجبل على بحر عمان تجاه جزيرة (سيرة) وكانت في العصور الأول مركزا تجاريا بين الهند والبحر الاحمر وفي سنة ٥٢٥ ميلادية دخلت في حكم الحبشة الذين جاؤوا من قبل الامبراطور « شزتين » لأجل أن ينتقم من بعض المسيحيين ٠ وبعد خمسين سنة دارت الدائرة على الاحباش وطردهم العجم . وفي القرن الأول من التاريخ الاسلامي دخلها المسلمون وصارت مركزا تجاريا مهما رغم الثورات الداخلية وفي سنة ١٥١٣ ميلادية حاصرها الابوكيرت وهم من الهند مدة أربعة أيام ولم ينجحوا ٠ وفي سنة ١٥٣٨ ميلادية استولى عليها السلطان سليمان ووضع الاتراك فيها الحماية . وفي سنة ١٥٥١ حصلت ثورة داخلية كانت داعية لخروج الاتراك وضمها الى البرتغال موقتا وفي سنة ١٦٣٠ استولى على هذه المدينة جملة من رؤساء البلاد وكان الاهالي يعاملون تجار الانكليز والهولانديين اسوأ معاملة

وفي سنة ١٨٠٢ عقد (السير بوفان) الشهير معاهدة تجارية بين الهند وأمير عدن المدعو (لاهاتش) وفي سنة ١٨٣٨ نهبت مركب انكليزية تجارية فكانت هذه الحادثة سببا في استيلاء الانكليز على عدن. وعينت لهذا الامير مرتبا شهريا . وقد حاول هذا الامير أخذ هذه المدينة من الانكليز فلم ينجح . وفي سنة ١٨٦٨ ضم الى هذه المدينة الجزائر المجاورة لها وهي الآن تحت حكم الانكليز .

وعدن أول موضع ظهرت فيه دعوة العلويين بالخلافة وتخرج منها أكابر من العلماء الافاضل منهم أبو بكر أحمد بن محمد السعيدي الشاعر الذى يقول في عدن ويصفها أيام كانت زاهرة بالعلوم في عهد شباب الاسلام

حياك يا عدن الحيا حياك ... وجرى رضاب لماه فوق لماك

ولقد خصصت بسر فضل أصبحت ... فيه القلوب وهن من أسراك

يسرى بها شغف المحب وانما ... للشوق جشمها الهوى مسراك

الى أن قال في وصف نسائها

فتانة اللحظات تصطاد النهى ... ألحاظها قنصا بلا اشراك

ثم قال في مدح أميرها وهو الختام

وعلام أستسقى الحيا من بعد ما ... ضمن المكرم بالندى سقياك

وصلنا هذه المدينة بعد أربعة أيام من مرورنا من قنال السويس وهي الآن في عداد المدن التي دخلتها المدنية الغربية فحيثما حللت فيها تجد العمارات التي بنيت على الطراز الاوروبي وشوارعها متسعة منظمة معتنى بنظافتها . وناهيك باعتناء أبناء التاميز اذا دخلوا بلدا ووضعوها تحت حمايتهم

أو أدخلوها في ممتلكاتهم وقد توجد بهذه المدينة معامل كثيرة للفحم الحجري تمد بالمشرات وهي قريبة من البحر هذا فضلا عن رواج سوق التجارة فيها رواجا يذكر . وبهذه البلدة حدائق كثيرة تتخلل شوارعها وبذلك يعلم أن الصحة فيها متوفرة.وبجوار البحر ساحة كبرى قد غرست بها الاشجار وبجوارها دار للتمثيل خاص بالانكليز دون سواهم . وبعد أن مكثنا بعض ساعات في عدن غادرناها قاصدين بروم

القيام من عدن

بعدأن مكثت الباخرة بعض ساعات في عدن أقلعت منها قاصدة بومباى وقد مررنا في طريقنا على عدة أماكن لم تقف بها الباخرة وقتا كافيا لان أدون عنها شيئا من احوال سكانها الاجتماعية كبروم وغيرها وغاية الامر أن السفينة وقفت في ميناء قصير نحو الساعتين ونصف وقد شاهدت الاهالي يأكلون الذرة وهى حب لم يطحن ولم يخبز فعلمت أن المعيشة فيها هي معيشة الشظف . على أن الارض هناك زراعية خصبة قابلة لان يشتغل بها الاهالى ما يجعلهم في دائرة الثروة والغنى لو اعتنوا بأمر الزراعة والسواد الاعظم هناك يحتطبون ويبيعون ما يحتطبونه ولا يوجد بهذه البلدة من معاهد العلم إلا قليل من الكتاتيب التي هى أحط من كتاتيب أرياف مصر . أما حكومتهم وسياسة احوالهم الاجتماعية وقضاياهم بأنواعها فوكول أمرها الى مشايخ منهم وهم الحكام الفاصلون في القضايا بين الاهالى

والحال أنهم في نهاية الجهل أميون يحكمون بما توحيه اليهم ارادتهم وأغراضهم.والاستبداد موجود في بلادهم بمعناه الحقيقي .وهم يسخرون

لاهالي في جميع الاعمال واغلبهم بلا مقابل شأن المستبد المطلق التصرف
لولا أن الباخرة لم تمكث فيها الا زمنا قليلا لكنت كتبت ما هو أوضح
اكثر بيانا ثم قمنا منها قاصدين بومباى

مدينة بومباى

يري القاريء فيما تقدم أنني ذكرت مجمل تاريخ بعض المدن التى مررت بها لزيادة الفائدة ولكن في هذا الفصل رأيت أن أتكلم عن هذه المدينة بأقل من الاختصار لانها احدي عواصم الهند الكبري وتاريخها يشغل جزأ عظيما من هذه الرحلة لو كان مجملا فكيف به اذا كان مفصلا وعلى هذا أقول

هذه المدينة فتحها المسلمون في أواخر القرن الخامس عشر بعد المسيح وفي سنة ١٥٣٠ ميلادية استولى عليها البرتغاليون ثم بقيت تدخل في حكم الدول والملوك الوطنيين ومرت عليها حقب واجيال وحوادث كثيرة فيها كثير من العبر لمن اعتبر حتى دخلت اخيرا في حكم الانكليز ولم تزل الى الآن ويرى القادم من جهة البحر على هذه المدينة أن شكلها مربعا تربيعا هندسيا ويري الابنية مشيدة على قواصر عالية مبالغ في اتقانها وتنسيقها وبداخل بومباي سور في داخلها كثير من القصور الفاخرة التى يسكنها الاغنياء. أما بيوت السوقة فيها فهي تبني من الخشب والآجر

أما حركة التجارة فيها فقل ما شئت من رواج وبضائع ثمينة هندية وغير هندية وبالجلة فان المدنية فيها متوفرة الاسباب خصوصا بعد استيلاء الانكليز على الهند. والمسافة بين عدن وبومباى خمسة ايام ثم قمنا من بومباي قاصدين مدينة كولمبو. على باخرة من بواخر الشركة الانكليزية وكانت قاصدة

مدينة هنغ كونغ وهى آخر محطة تقف فيها الباخرة

***

مدينة كولمبو

هذه المدينة بينها وبين بومباي مسافة يومين ونصف بسير الباخرة وهى عاصمة جزيرة سيلان التى نفي اليها أحمد عرابي « باشا » رئيس الثورة العرابية. ويقال ان اسمها كان في العصور الخالية « سرنديب » التي يقول فيها الشاعر

أمطري لؤلؤا جبال سرند ... يب وفيضي آبار تكرور تبرا

أنا ان عشت لست أعدم قوتا ... واذا مت لست اعدم قبرا

همتي همة الكرام ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفرا

واذا ما رضيت بالعيش قوتي ... فلماذا أزور زيدا وعمرا

وهذه المدينة جرى عليها من حكم الزمان ماجري على غيرها من المدن التى لها ذكر يحفل به في التاريخ ودخلت وخرجت في حكم الدول مرات عديدة بحيث يطول بنا المقام إذا شئنا التكلم عنها من هذه الوجهة وقد دخلت تحت سلطة انكلترا سنة ١٧٩٦ ميلاديه وهي باقية تحت سلطتها الى الآن. أما حركة التجارة في هذه المدينة فهي سائرة على نهج التقدم. وأما موقعها الجغرافي فهو قد أكسبها مزية جودة الهواء واعتدال الطقس. وقد فرشت طرقاتها وشوارعها بالاسفلت والرخام. والمنازل مبنية على الطراز الاوروبي ودار الحكومة وثكنات العساكر والمستشفيات مقامة بجوار البحر مما جعل منظرها جميلا في نظر القادم اليها من البحر

وفي عهد الرومانيين كانت هذه المدينة محطا لرجال الكاثوليك من

الرومان وكثير بها أشياع هذا المذهب ولكنها الآن قد حل بها محل أولئك أشياع المذهب البروتستانتي . وبها مدارس للأكليروس أشهرها مدرسة (ولسلي) و « أندستريل » و « مدكل » والاخيرتان أسستا سنة ١٨٧٠ ميلاديه وبها جمعية كبرى ملحقة بجمعية المساعي الملوكانية بانكلترا .

ولا يكاد يخلو شارع أو طريق فيها من عربات النقل والركوب لاهمية الحركة التجارية . والحيوانات التي تستخدم في جر هذه العربات بدنية ذات قوى عظيمة . ولون أغلب الخيول فيها مائل الى الصفرة .

والمحلات العمومية يكثر فيها شرب الشاي الجيد. والكأس منه يساوي صوردى والصوردي يعادل أربعة أعشار القرش المصرى . واذا أضيف اليه شيء من اللبن والبسكويت فيساوى صوردين ونصف أي قرشاصاغامصريا والذى يتناول هذا المقدار يمكنه أن يستغنى به عن الغداء أو العشاء لاسيما شاي أو تيل « البستنابز »

ويوجد بهذه البلدة جمعية كبري مسيحية للتبشير بالدين المسيحي ولها موارد للصرف عليها يجمع منها أموال طائلة في كل سنة . على ان الدين الاسلامى قدم الي الشرق الاقصى وامتد فيه بسرعة فلو وجد من المسلمين من يناظر مثل هذه الجمعية أو غيرها في بث التعاليم الدينية الاسلامية لكانوا ادوا واجبا عليهم اذ هم احق بأن يشدوا أزر الدين في هذه الاصقاع ثم غادرنا هذه المدينة قاصدين سنجافورة

مدينة سنجافورة

ويقال لها سنغابور يعني مدينة الاسد وكانت العرب تسميها سنغافور

هذه المدينة دخلت في ادوار شتي واطوار متعددة ومرت عليها حوادث كثيرة لها شأن يذكر في التاريخ . وكانت في القرن الثاني عشر عاصمة مملكة ماليذية التي تفرقت في الشرق الاقصي وقامت بها في هـذه المدة ثورات داخلية لا داعي لذكرها الآن . وفي القرن الثالث عشر استولى عليها بعض ملوك الجاوه وبعد قليل من الزمن نقلت العاصمة منها الى ملقا فاضمحلت واخذت في الانحطاط شأن المدن التي تكون قاعدة للممالك ثم ينقل منها رونق الملك وبهاء السلطان الى غيرها .

وفي عام سنة ١٨٤٤ تداخل الانكليز في شؤون هذه الجزيرة وكان سلطانها في ذلك الوقت يدعى السلطان جوهر فطمعه الانكليز بأموال واعطوه في بادىء الامر اثنى عشر الف جنيه دفعة واحدة ورتبوا له اربعة آلاف وثمانمائة جنيه سنويا ثم تنازل عن السلطة اليهم من هـذه الجزيرة والجزر المجاورة لها وهكذا يكون شأن البلاد التي يقضي عليها المقدور بالاخذ في اسباب الموت الادبي. وهذه الجزيرة واقعة بقرب الطرف الجنوبي في شبه جزيرة « ملاي » ويفصلها عنها بوغاز سنجافوره وهواؤها معتدل لكن اغلب ارضها غير صالحة للزراعة

ويقال انه يوجد حيوان مفترس من فصيلة النمر لا يكاد يمضي أسبوع حتي يفترس واحدا من الاهالى الذين لاقدرة لهم على مطاردته أو صيده . وبهذه البلدة تجار من الهنود يجلبون اليها البضائع من الهند . ولهولاندة تداخل في سياسة هذه البلاد . والمسلمون هناك أمرهم عجيب . متمسكون بآداب الدين . من جهة العبادة فقط . ولكن في الشؤون الاخري التي عليها قوام حياة الامم والشعوب لاهم عندهم ولا غيرة تحركهم الى الاخذ في اسباب

النهوض . فلذلك ينظر اليهم الهولانديون نظر الاحتقار . وربما يتجاوزا في اضطهادهم الحد فيثلمون كرامة اعراضهم. وفي الاشارة ما يغني عن التصريح. وبهذه البلدة منتزه جميل للغاية يوجد فيه كل نباتات المنطقة الحارة وبها قلعة كبيرة محصنة على تل مرتفع بجوار المساكن التي يسكنها الصينيون واهل هذه البلدة هم اهل وراعة ولطف يعدون من الطبقة العالية ممن تهذبوا وتنوروا بنور العلم أو الذين نشؤا في العائلات ذات الحسب والنسب . وفيها بضائع جميلة تحمل اليها من الجهات . وهي بهذه المزية تعد من أمهات بلاد الشرق الاقصي عمرانا ومدنية ثم اقلعت الباخرة قاصدة هنغ كنغ

القيام من سنجا فورة
إلى هنغ كونغ

وصلنا الى هنغ كونغ بعد ستة أيام وقد مررنا في الطريق على مدينة سيجون وطوران ونري أن الافاضة في وصف هاتين المدينتين غير لائق في هذا المقام اذ غاية ما يصل اليه الواصف هو انهما من المدن التي لها حظ من العمران . وقد امتاز أهل سيجون بدماثة الاخلاق ولطف السجايا وحسن معاملة الاجانب . رأيت منهم هذه الاخلاق الفاضلة فتمثلت بقول الشاعر

لسان الفتي نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

أما هنغ كونغ فهي واقعة في جزيرة من جزر الصين على مصب نهر كانتون . وقد حفظ التاريخ لهذه المدينة حوادث عظمى في القرون الخالية وتقلبت في أطوار شتى حتي استولى عليها الانكليز من سنة ١٨٤٢ ميلادية . وهي عامرة بانواع المتاجر الفاخرة والعمائر الضخمة وحسن انتظام طرقاتها

ومسالكها . وماذا عسي أقول في وصف مدينة لم يقع نظري على شيء فيها الا شاقه وأعجبه • وقد يخيل للقادم عليها أنها بنيت على جبل أو هضبة لارتفاع منازلها • واني أري أن المقام يسمح لي بان اذكر بعض شيء عن احوال الصين الاجتماعية خصوصا فيما يتعلق بالمسلمين فى هذه المملكة . وذلك مما عرفته من محادثة جرت بيني وبين بعض فضلاء الصينيين . وهو حضرة الفاضل السيد سليمان الصيني الذي رافقني الى اليابان.

أما المسلمون في الصين فليس لهم شعار مخصوص يميزهم عن باقي الاهالى من اهل الاديان الاخري كالبوذيين والبراهمة فلا تكاد تعرف الواحد منهم حتي يعرفك هو بنفسه أنه مسلم أو مسيحي أو بوذي • وهم متحدون فى الكلمة يحب بعضهم بعضا ويسعون في المنافع المتبادلة بينهم كما أنهم يد واحدة في كل مايهمهم من امور الدنيا والدين • وهم أبعد اهل الصين عن الفتن والقلاقل المخلة بالامن العام . واذا اختلفوا في أمر ديني فرجعهم الى العلماء والفقهاء منهم . واذا اختلفوا في أمر دنيوى فالحكومة هي التي تفصل بينهم في قضاياهم في هذا الخصوص .

وهم يعدون أنفسهم أشرف اهل الصين ويفخرون بأنهم من الذين انعم الله عليهم بنعمة الايمان والتوحيد • ولذلك لا تجد احدا منهم يأمن في المعاملة والمعاشرة الا لابناء دينه • ولا يخالط احدا من اهل الاديان الاخري الا المسيحي الكاثوليكي • ومع كثرة عددهم فهم متشتتون في انحاء المملكة • ويوجد منهم عدد عظيم في بكين عاصمة الصين • وبهذه الحالة يصعب عليهم ان يؤلفوا لهم جمهورية او مملكة مستقلة . ومع هذه الحالة فهم يحترمون الحكومة أيما احترام ويسيرون في كل احوالهم الاجتماعية

على مقتضى القوانين التي سنتها لهم حكومتهم من غير مخالفة لها وحياد عنها غير ناظرين الى ان الحاكم ليس من اهل دينهم . وإنما جل مرغوبهم ان يعيشوا في هناء وصفاء . وقد يسومهم العداء ويما كسهم في عباداتهم كثيرون من الارتودكس . والبروتوستانت . والبوذيين من اهل الصين للعداوة المتأصلة في نفوسهم ضد الاسلام والمسلمين . كما أنهم يعتقدون مسلمي الصين ليسوا من الجنس الصيني والا لما اعتنقوا دين الاسلام والمسلمون كلما رأوا منهم اهانة لهم أو مماكسة ينادونهم بقولهم « هوى . هوى » وقد سألت حضرة السيد سليمان عن معني هذه الجملة فقال لى ليس لها معنى في لغة اهل الصين الاصلية . وانما المعني المصطلح عليه عند المسلمين هو «ارجعوا ارجعو» والمراد ارجعوا عن هذه المشاكل واتبعو الاسلام .

والمسلمون في الصين هم أهل صناعة وصناعتهم هي أحسن ما تفخر به الصين قديما وحديثا ويحمل منها إلى سائر انحاء الكرة الارضية . وأشهرها في مصنوعات الصوف والحرير . ولذلك فهم لا يميلون إلى الاستخدام في دوائر الحكومة بخلاف غيرهم . وهذه فضيلة من الفضائل التي يغبطون عليها .

وقد رأيت أهل الصين على اختلاف المذهب والدين متفقين أغلبهم على ارسال شعر الرأس مضفورا ضفيرة واحدة وشواربهم ملوية إلى لاسفل مع طولها ولذلك لا تمييز بين المسلم وغيره لاتفاق الكل في الزي والهندام . وإذا سمع العوام من الصينيين غير المسلمين كلمة « هوى . هوى » يجيبونهم بقولهم « تسي » ومعنى هذه الكلمة اللص . ولكن المسلمين يسخرون منهم ولا يلتفتون إلى قولهم هذا ويعتبرونه من القول الهراء الذي لا معنى له ولا

تأثير . ولو عامل مسلمو الصين هؤلاء بمثل ما يعاملونهم به لأصبحت أرض الصين مرسحا تمثل عليه أفظع روايات الحوادث الفظيعة . وقد سبق في الزمن الغابر أن المسلمين ضاقوا ذرعا بما يفعله البوذيون فجرت حوادث اقامت الصين واقعدتها وجرت فيها الدماء أنهارا وخربت لأجلها مدائن فمنها ثورة في « كشوفر » وهي المشهورة عندهم التي حدثت سنة ١٨٢٨ ميلادية . ومنها الثورة التي كانت سببا في خراب مقاطعة يونان التي ابتدأت من سنة ١٨٥٥ وانتهت في سنة ١٨٧٣ . والثورة التي حدثت في (كانس) وأخمدت نيرانها في سنة ١٨٨٢ ومن عظم خطب هذه الثورات التي ارتجت لها الارض وزلزلت زلزالها وتوقعت أوروبا وقوع حرب عامة صليبية ولم تزل الى الآن آثار هذه الثورات في بلاد الصين . وعلى الخصوص في مدينة (أنشى) التي دمرت في ذلك الحين . وأصبحت خاوية على عروشها . ولم يبق منها الا اطلال بالية

ولما حصلت هذه الثورات حظرت الحكومة على المسلمين الخروج من بيوتهم لئلا حذرا من زيادة الاضطراب فلم يقبل المسلمون ذلك .

وكأن المذهب الكاثوليكي أخرج المتدينين به عن دائرة كل مسيحي يعادي المسلم فهم يميلون الى المسلمين كل الميل . والذي قوى روابط هذا الوداد بينهم هو أنه لما حدثت حوادث سنة ١٩٠٠ وهي حوادث البوكسر التي اشتركت الدول في اخمادها أظهر المسلمون انعطافهم نحو البوكسر من غير أن ينضموا اليهم أو يساعدوهم في الثورة . حتى أنهم لما رأوا هذا الانعطاف منهم طمعوا في أن يساعدوهم فأبى المسلمون أن يجيبوهم الى رغبتهم . بل كانت مساعدتهم لهم هو نفس الانعطاف الذي أظهروه نحوهم ومن العجيب المدهش ان أوروبا تتهم المسلمين بالتعصب تهمة لادليل عليها ولا نصيب لها من

الصحة فلو كان المسلمون متعصبين حقيقة لما ظهر مسلمو الصين بمثل هذا المظهر نحو المسيحيين هناك . ونعود ونقول انه لما حدثت الحوادث المتقدمة الذكر بين المسلمين والوثنيين توجه أكابر المسلمين الى رؤساء الديانة المسيحية الكاثوليكية وأخبروهم بأنهم يختارون علامة مخصوصة لابناء طائفتهم تميزهم عن غيرهم خوفا من الالتباس الذي يتسبب عنه اصابتهم بمثل ما أصيب به الوثنيون . فلينظر القارئ المنصف الى هذه الافعال هل تصدر من متعصب أم من امة دينها يأمرها بعدم أذى من يخلص لها المعاملة .

ان الدين الاسلامي هو دين السلم دين حسن المعاملة مع غير المتدينين به دين الحرية دين العدالة التي هي اصل كل خير وفلاح . دين المساواة بين الناس إذ يستوي فيه الغني والفقير والحقير والامير (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) واذا كانت عواطف مسلمي الصين هذه العواطف نحو المسيحيين فكيف اذن تكون عواطفهم مع بعضهم بل كيف تكون عواطفهم نحو اخوانهم المسلمين المتفرقين في سائر اقطار الارض واذا كان هذا شعورهم نحو بعضهم ونحو اخوانهم وهم لم يباشروا المناسك الدينية التي من مقتضاها توثيق عرى الرابطة الدينية بين المسلمين كالحج الذي يجتمع فيه المسلمون من كل اطراف المعمورة فلو كان الطريق سهلا وأسباب السفر تيسرت لهم وحج منهم أناس عديدون في كل سنة لكنا نرى منهم من الاحساس والشعور الديني اضعاف ما نراه منهم الآن

وإذا كانت اوربا تتوقع من حين لآخر خطرا أصفر يتهددها من الشرق بسبب هذه الحركة الخفيفة التي أظهرها الشرقيون في سبيل الرقى فكيف بها اذا أخذ المسلمون الصينيون في اسباب التآلف بواسطة هذه

العلاقات المذهبية والتعاليم الدينية وهنا نقول ان اوروبا محقة في تخوفها هذا وغير محقة في اتهام المسلمين بالتعصب

هذا وبعد حوادث سنة ١٩٠٠ رأى مولانا الخليفة الاعظم أن يبعث وفدا الى بلاد الصين لينظر حالة المسلمين هناك وليقوى العلائق بينهم وبين مركز الخلافة الاسلامية فأرسل حفظه الله وفدا مؤلفا من نخبة رجال الدولة الامناء من علماء وكتاب وغيرهم وكان الرئيس على هذا الوفد هو سعادة «انور باشا» فسافر في شهر دسمبر سنة ١٩٠٠ وكان سفر سعادته سرا من غير أن يعلم به احد حتى نفس رجال المابين

والذين على قلوبهم غشاوة من الجهل والحمق والغباوة لما اتصل بهم نبأ هذا الوفد أشاعوا وأذاعوا أنه لم يفد شيئا ولم يثمر الثمرة المطلوبة من ارساله والحقيقة أن هذا الوفد لما قام من الاستانة مباشرة ووصل الى هاتيك البقاع أخذ يتجول في البلاد حتى وصل الى شنغاى وفي أثناء تجوله ظهر له أنه ليس في الصين من يعرف اللغة العربية التي هي لغة القرآن ولا اللغة التركية فخابر بذلك الباب العالى وبمجرد علمه بذلك ارسل حفظه الله رجلا عالما فاضلا متضلعا في علوم الدين وله معرفة تامة باللغة العربية والتركية والفرنسوية كما كانت له معرفة ببعض الصينيين القاطنين في غرب المملكة الصينية من «كانسو» على أن الوفد نفسه أخذ في تجوله يلقي بعض مباديء اللغة العربية على الصينيين ويعلمهم حقيقة الديانة الاسلامية وكيف يحفظون كتاب الله تعالى ويعملون بما جاء فيه مع فهم المعاني لانهم يحفظون بعض آيات القرآن الشريف ولكنهم لا يعرفون ما تضمنته هذه الآيات الشريفة من العظات البالغة والحكم النافعة وقد عاد الوفد مكللا بأكاليل النجاح وترك له أثرا حميدا

في نفوس أهل الصين

*
* *

واحتفال المسلمين هناك بالعيدين بالغ حد الاعتناء فهم لا يدعون مظهرا من مظاهر الفرح والسرور الا فعلوه إذا جاء وقت هذين الموسمين الدينيين واذا جاء شهر رمضان المعظم لا تكاد تجد واحدا منهم مفطرا ويبتعدون عن كل شيء يمس بكرامة الدين حتى نفس الشبهات . وشهر رمضان يسمونه « باتشاى » على أنهم في هذه الحالة من التمسك بقواعد الشرع الشريف عندهم بعض بدع وذلك أن أحدهم اذا ارتقى الى منصب من مناصب الحكومة مع عدم ميلهم الى ذلك يذهب الى معبود هناك يتقرب اليه البوذيون ويتقرب اليه كما يفعل هؤلاء ولا أدرى ما هو السبب الحامل لهم على التقرب سوي أنه يكون واسطة في اعطائهم المعونة على القيام بالوظيفة خير قيام وهذا المعبود يسمي عندهم (كونفوشيوس) .

ومن الاسف الشديد الذى لا أسف بعده أن نحو الخمسين مليونا من المسلمين في الصين لا يوجد بينهم علماء من الطبقة العالية ينفروهم عن هذه الخرافات والبدع وان من التقصير الفاحش أن العلماء من المسلمين يعلمون بمثل هذه الاحوال ولا يؤلفون الوفود منهم للذهاب الى الصين وبث العقائد الصحيحة الدينية هناك .

واول من يلام على هذا التقصير هم علماء الازهر الشريف الذي ينظر اليه العالم الاسلامي بأجمعه نظر الاعتبار والاحترام لان الازهر في نظر كل مسلم في العالم .

ولو أقام الوفد الذى أرسله جلالة الخليفة في بلاد الصين زمنا طويلا

لاتي بنتائج حسنة ولكنه لم يمكث الزمن الكافي لمعرفة هذه البدع والخرافات حتى كان يسعى في ازالتها .

وأيضا ان الذين يعرفون حقيقة الدين الاسلامي من اهل الصين يعدون على الأنامل ولا يتجاوزون حركات العوامل ومن هؤلاء حضرة العلامة السيد سليمان الصيني الذي صحبني الى اليابان .

سألت هذا الفاضل لم تسافر الى اليابان لنشر لواء الاسلام مع ان بلادك أحوج اليك لنشر تعاليم هـذا الدين . فما كان جوابه الا أن قال ان اليابان أحوج من الصين لان الدين الاسلامي سيقدم اليها من جديد بخلاف بلاد الصين وكوني اهدى وثنيا الى الاسلام خير من ان اعرف مسلما حقيقة الدين. وقد اكد لي انه عند عودته الى بلاد الصين سيسعى جهده في ازالة هذه المعتقدات الفاسدة من اذهان المسلمين . فشكرت له هـذه الاريحية ودعوت له بالنجاح في كل أعماله واكدت له انه بعمله هذا يكون قد خدم الدين والمسلمين اجل واعظم خدمة.

ولاهل الصين اعتناء زائد بامر الزراعة والفلاحة حتى أنه لا يوجد نوع من انواع البقول او الفواكه أو غير ذلك من المزروعات الموجودة في العالم الا عندهم خبرة بزراعته. ومن كثرة اعتنائهم بفلاح الارض واهتمامهم بشأن الزراعة يعملون احتفالا باهرا في كل سنة يحضر فيه نفس الامبراطور ويمسك بيده المحراث ويحرث قطعة من الارض . وفي ذلك معنى جليل وهو ان الاهالي يجب عليهم أن يقتدوا به في امر الزراعة ولا يأنفون من مسك المحراث . ومن شدة شغفهم بالزراعة وعدم وجود الارض الكافية الصالحة للزراعة يصنعون ألواحا من الخشب ويضعونها على الانهر بعد تغطيتها بالطين

ويبذرون فيها البذر فتكون هذه الالواح بمنزلة الارض العامرة الجيدة التربة والحيوانات التي يستخدمونها في الزراعة كالبقر والجاموس قل ان يوجد مثلها في جميع بلاد العالم من حيث ضخامة الجسم والقوى .

***

واهل الصين يغلب عليهم طبيعة الكسل والفتور وذلك لان أكل الافيون عندهم ضروري . وهو داعية الكسل والخمول ولما عرف ذلك الامبراطور أصدر أمرا عاليا في هذه السنة بمنع زراعته . وهذا فعل حسن جدا إذ في ذلك من الفائدة الصحية والادبية مالا يخفى .

***

على أن أهل الصين لو دأبوا على هذا النهج الذي هم ناهجونه الآن من الإخذ باسباب لرقى مع ما وجد فيهم طبيعة . من الاستعداد لكانوا أمة حية كما فعل اليابانيون وهم أقرب اليهم من جهة الشبه في الجنس والموطن.

القيام من هنغ كونغ

غادرنا مدينة هنغ كونغ ووجهتنا مدينة يوكوهاما . وبينما أنا ورفيقاي نطالع في بعض الكتب على معزل من الركاب واذا برجل من كندا بأمريكا اقترب منا ورغب في الحديث معنا لاسيما بعد أن عرف اني مصري . وفعلا قرب منا وبدأنا بالتحية فرددناها عليه بأحسن منها ثم وجه الي الخطاب وقال إني لما كنت في الصين وصل الي خبر حادثة دنشواى ولكن الروايات التي كنت اسمعها كانت تختلف كثيرا فأريد ان أعرف حقيقة هذه الحادثة حيث انك مصرى فأجبته بالايجاب وأخذت اشرح له هذه الحادثة بالتفصيل

وبينت له تاريخ وجود المحكمة المخصوصة والسبب في وجودها فكنت أرى في وجه الرجل علامات التأثر الشديد ثم استطردنا الحديث في مواضيع أخرى في الشؤون السياسية المتعلقة بمصر واحوالها الحاضرة ولا داعي لذكره الآن.

وبعد تسعة أيام وصلنا الي ثغر يوكوهاما وكانت الباخرة تسير ببطء وهي داخلة في ميناء هذا الثغر وقد مررنا في الطريق على جزر كثيرة لا داعي الى ان نصرف وقتا في الكلام عليها

يوكوهاما

هي كائنة في مقاطعة (موزاسي) من جزيرة «نبين» على الشاطيء الشمالي الغربي لخليج طوكيو . وهذه المدينة قاعدة مقاطعة (كنديكاناكاوا) وكانت في سالف العصر آهلة بالسكان الذين اغلبهم كانوا صيادين ثم أخذت تتقدم شيئا فشيئا من سنة ١٨٥٩ نظرا لموقعها التجاري الحربي حتى أنها حلت محل (كنديكانافاكا) وقد مرت عليها حوادث زمنية كثيرة اشهرها الحادثة التي احرقت فيها وذلك سنة ١٨٦٦ ثم جدد بناؤها مرة ثانية وسكانها خليط من الاهالي الوطنيين والصينيين والاوروبيين . وكل فريق يسكن أهله في جهة مخصوصة على حسب الرابطة الجنسية وبها كنائس كثيرة للكاثوليك ومعابد للبروتوستانت ومستشفيات كثيرة . وهي أول مدينة في اليابان مد فيها الخط التلغرافي في ٢٥ دسمبر سنة ١٨٦٩ وفي سنه ١٨٧٠ مد التلغراف بينها وبين طوكيو وفي سنة ١٨٧٢ مد منها خط سكة حديدية الى طوكيو .

***

ولما القت الباخرة المراسي بها حمدنا الله سبحانه وتعالى على وصولنا

بالسلامة وهناك وجدنا في انتظارنا حضرة الفاضل الحاج مخلص محمود الروسي وكان بعث اليه حضرة المولوى السيد سليمان الصيني بخطاب يخبره فيه بقدومه الى اليابان ويعرفه فيه بانتظاره في يوكوهاما وبعد التعارف به بواسطة السيد سليمان رأيت منه رجلا فاضلا عاقلا كاملا مهذبا حاويا لكل الصفات التي تحبب المرء الى النفوس وتحله منها محل الاعتبار وقد نزلنا في فندق بجوار الادارة البحرية ومكثنا يومين ريثما اخذنا لانفسنا الراحة من عناء السفر

وقد اخذت هذه المدينة زخرفها من المدنية ودلائل الحضارة الى درجة راقية خصوصا الانوار الكهربائية التي تسطع فيها اذا توارت الشمس بالحجاب. وشوارعها متسعة مفروشة بالبلاط ولقد لاقينا من البرد فيها مالا يطيقه الا من أقام كثيرا في هذه الاصقاع واعتاد جسمه على احتمال بردها القارص . ثم بعد يومين غادرناها على قطار السكة الحديدية قاصدين (طوكيو)

﴿ طوكيو ﴾

ركبنا قطار السكة الحديدية وقصدنا مدينة طوكيو عاصمة اليابان وهى تبعد عن يوكوهاما بمقدار تسعة وعشرين كيلومترا أي بنصف ساعة تقريبا بسير الوابور وهذه المدينة كائنة في جزيرة (نيبن) وهى حديثة العهد بجعلها عاصمة للمملكة اليابانية . وقد حدثت بها حوادث كثيرة مما لا يكاد يحصيها المؤرخ فكيف بمن يضع سفرا كهذه الرحلة فلذلك أقتصر على ذكر القليل الاهم منها مما لا يخلو من فائدة على القاريء الكريم ففى سنة ١٤٥٦ جاء بعض القواد القائمين الذي يدعي (قطه دوكسم) وبني بطوكيو قلعة حصينة

وكانت طوكيو ليست عاصمة للملكة باجمها بل كانت مدينة (كيوتو) مقرا للملك وطوكيو عاصمة لعائلة الشجن الذين كانوا ينازعون الامبراطور في الملك وهذه العائلة كانت تحكم باسم الميكادو وبذلك كان لليابان عاصمتان . احداهما شرقية وهى كيوتو عاصمة الميكادو والثانية غربية وهى طوكيو عاصمة الشجن وهذا الاسم حديث لها فانها كانت في ذلك العهد تدعي (ييدو) فلما صارت للمملكة بأجمها سميت طوكيو ومعنى هذا الاسم (عاصمة الشرق) وقد حدثت بها عدة حرائق وجدد بناؤها عدة مرار . وكانت الزلازل متتابعة فيها ، وحصل بها زلزال دمر فيها نحو مائة ألف منزل وأمات كثيرا من النفوس . أما الآثار فيها فكثيرة جدا وبناء هذه الآثار فاخر يدل على مهارة قدماء اليابانيين في البناء كما كان المصريون القدماء كذلك . حيث في وسط المدينة قنطرة عملت من الابنوس وتسمي بالشمس المشرقة أما قصر الملك فبالغ النهاية في أبهة الملك وعظمة السلطان . وبالقرب منه توجد قصور الديديوس وهم عائلة من العائلات التي كانت مشهورة بالشجاعة والآن قد حولت هذه القصور الى دواوين للحكومة . وغير هذه القصور توجد آثار للمعابد والهياكل القديمة . ومن هذه المعابد معبد يدعى « فتنزون » ومعبد (وكارفهاش) ومعبد (ادراجوندور) ومعبد (سنتنويست شوكونشا) ومعبد (شيبه) وهذا المعبد فيه مقابر عائلة الشجن المتقدم ذكرهم وهذه العائلة أهلها من عائلة (توكوجاوا) ويوجد هنالك قصر بديع يدعى (ازيكوان) وكان هذا القصر قديما مصيفا لبعض أكابر الشجن ويوجد بها كثير من الآثار القديمة . ومنازل طوكيو اغلبها يسقف بالخيزران ولها ضواحى ومتنزهات يقطنها الكبراء كالمطرية والقبة قد أخذت قسطها في المدينة

والحضارة مثل (بتشى) وهي في الشمال الجنوبي الغربي لطوكيو. ثم بلدة (سيروا) وبهذه البلدة جملة من الآثار القديمة. ولو نظرنا الى الترقي نجد أنه كان اللائق بامة كهذه الامة أن تكون لها كتبخانة عامرة بالكتب شأن كل بلد متمدنة وأمة راقية . ولكن لاتوجد الا مكتبة واحدة بها نحو المائتين ألف مجلد فقط

*
* *

ولما وصلنا الى طوكيو كان في صحبتنا السيد سليمان الصيني والحاج مخلص محمود الروسي الذي أفادنا كثيرا حيث كان له المام تام بعوائد القوم ومعرفة أخلاقهم مما لم نكن نعرف منه شيئاً.

وقد نزلنا في فندق في شارع يقال له (باليستيو) ولم نكد نستقر في هذا الفندق حتى أحس كل واحد منا بضعف في عضلات الجسم وذلك كله ناتج عن المشاق والمتاعب التي عانيناها في السفر خصوصا دوار البحر الذى كان له التأثير الاعظم

ومكثنا ليلة كل منا لايفارق مخدعه من الاعياء . وفي اليوم الثالث خرجنا للتجول في أنحاء المدينة

وما داعي أقول أو أشرح ما رأيته في عاصمة بلاد الشمس المشرقة زيادة عن المتقدم . بل ماذا يمكنني اصف المدنية وحركة التجارة وكثرة البضائع وانتظام الشوارع . وغاية ما يقوله الواصف أن هذه العاصمة المدنية فيها في ريعان شبابها ولولا شدة البرد فيها لكانت تعد جنة الشرق منظرا وبهاء . اما سكان هـذه المدينة فيبلغون مليونا وثلاثة ارباع المليون نسمة تقريبا وقد شاهدت السائحين فيها من الاوربيين والامريكان والهنود والصينيين

وغيرهم وهم في ازدياد كل سنة

وقد كان عددهم في سنة ١٧٠٢(٧٧٠٩) وفى سنة١٩٠٣ (٧٧٦٥) وفي سنة ١٩٠٤(٩٢٥٦) وفى سنة ١٩٠٥ (١٦٥٣٠) وفي السنة الماضية بلغ عددهم (٢٤٧٢٣) ولسوف يفد كثير من الاوربيين الى هذه البلاد كما وفدت اليها مدنيتهم . ولكنهم لايجدون فيها من مصادر الرزق والثروة ما يجدونه في مصر وغيرها . لان اليابانيين اخذوا الصالح من مدنية الغرب وعملوا به فعرفوا كيف يكونون امة حية لاتدع غيرها يستأثر بمنافع بلادها .

شذرة من تاريخ اليابان

اختلفوا المؤرخون حتى الذين هم من العنصر الياباني في تاريخ هذه البلاد والاصل الذي تنتمي اليه هـذه الامة . فقال بعضهم كالترك . وأن عائلة كبرى مغولية وفدت الى هـذه البلاد فاستوطنتها وتناسلت حتى الفت منها أمة . وقال البعض الآخر انهم من نسل المالتريين الذين أغاروا على الجزر اليابانية قديماً واستوطنوها . وبعضهم قال إنهم من العنصر الصيني وبني هذا على اتحاد الياباني والصيني في اللون والبشرة . ولكن الحقيقة خلاف ذلك . بل هم عنصر قائم بنفسه ونوع من أنواع جنس الانسان .

واليابانيون انفسهم يقولون اننا لسنا من الجنس البشري ترفعا . بل ينسبون انفسهم الى السماء . كأن الانسان الذى شرفه الله وكرمه دون سائر المخلوقات أقل منهم درجة . وأن سائر الجنس البشرى أوجدته القوى الطبيعية . ويعتقدون ان أول من نزل منهم الى الارض وطئت قدمه جزيرة (كيوشيو) وطرد الأمم المتوحشة مثل قبائل (أينوس)واستمرت الحروب

بين اليابانيين وهذه الامم نحو السبع قرون . وأخيراً خضعت لليابان . ومع اعتقاد اليابانيين انهم ليسوا من بني الانسان فانهم يعتقدون أيضا أن عائلة الامبراطور (متسوهيتو) الحالي أشرف منهم عنصراً ولذلك كان الميكادو عندهم بمنزلة المعبود

وكانت اليابانيون على حالة البساطة في المعيشة الى القرن الثالث عشر بعد الميلاد . وبعد ذلك أخذت تدرج فى الحضارة والتفنن في انواع المآكل والملابس بعد ان كانوا لا يعرفون غير الأرز والسمك من افضل الاطعمة واللباس البسيط . وهم يحبون السمك والارز الى الآن حباً جماً وكانت مساكنهم في تلك العصور من اخشاب الغابات . فأصبحوا الآن فى رفاهية المدنية الحاضرة يرتعون .

وفى القرن الثامن عشر للميلاد بدأت الحكومة فى ارسال الارساليات العلمية الى اوربا . ومن هذا يمكن ان يقال ان النهضة الادبية بدئت من منذ نصف قرن فى اليابان .

***

وكانت فى الاعصر السالفة يتولى الاحكام ارباب العائلات الكبري مثل عائلة (الشجن) المتقدمة فكانوا يفصلون فى القضايا المدنيـة والجنائية بحسب ما يصل اليه علمهم . اما الآن فقد وجدت فى اليابان الحكومة الدستورية النيابية شأن الامم الراقية .

والذي ينظر الى الجزائر اليابانية فى الشرق الاقصى لآسيا ثم الى الجزائر البريطانية فى شمال اوربا . لا يفرق بين هذه وتلك في الشكل والوضع الا قليلا . وكأن هذا الاتفاق في المناخ كان سببا في محالفة الدولتين

تاريخ حياة الميكادو

هو الامبراطور (متسوهيتو) الرابع والعشرون من ملوك العائلة الحاكمة ولد هذا الامبراطور الجليل في ٣ فبراير سنة ١٨٥٢ م فهو الآن يحبو الى الستين . ولما بلغ السادسة من سنه أحضر له والده الامبراطور (كومي تنو) من المعلمين الخصوصيين فكان في كل أدوار التعليم يظهر نجابة باهرة وذكاء مفرطاً ولما بلغ الخامسة عشر من عمره ارتقى الى عرش اجداده حيث توفي والده وذلك سنة ١٨٦٧ م وكان في هذا السن حائزاً على كثير من العلوم والفنون التي ثقفت عقله وهذبت نفسه ونشأ كامل العقل وافر الفضل . والذى زاد في تهذيبه هو أن والده كان وكل به من المؤدبين من كانوا يرافقونه في غدواته وروحاته فتشرب عقله بمزايا عقول هؤلاء الرجال

فلما استلم زمام الملك أظهر حزماً وعزماً وشدة عارضة بهرت عقول أكابر السواس من اليابانيين فاستبشروا به وأملوا فيه خيراً .

وأول ما بدأ منه وعرف من اخلاقه الفاضلة انه أظهر التطافه الزائد نحو رعيته فغرس بذلك حبه في نفوسهم . فاصبح الصغير والكبير فيهم يحبه محبة لم تسمع في الامم السالفة نحو الملوك والسلاطين الذين حكموا هذه البلاد في الزمن السالف . وفي الحقيقة ان اول عهد تقدمت فيه اليابان في سبيل الترقي والمدنية هو اليوم الذي ارتقى فيه هذا الامبراطور عرش المملكة . لانه نظر الى مدنية أوربا نظر الحكيم البصير والى احوال سياسة الدول الغربية حيال رعاياها فبادر بمنح أمته الدستور والمجلس النيابي . وفي الوقت نفسه التفت الى نشر العلوم في بلاده وحث الامة على تأسيس معاهد العلم وكانت البلاد حينئذ هادئة لا حروب خارجية ولا ثورات

داخلية تعوق سير الترقي في الامة .

وقد ساعد على سرعة نشر العلوم في اليابان استعداد الامة الطبيعي لان الياباني امتاز بالذكاء والفطنة وحب المعالي .

وقد خالف الميكادو سنة الملوك قديما وحديثا فهو لايتعاطي من خزينة حكومته النفقات الطائلة لانه لايميل الى الترف ولا يزدهيه عزة السلطان لان كل ما يأخذه من الاموال هو المقدار الذي يكفي لحاجاته وحاجات حاشيته الضرورية.

أما أخلاقه الشخصية فحدث عن الروض ولا حرج . كرم وذكاء وفطنة ونجابة وتواضع في مهابة وبعد نظر في المسائل السياسية العويصة الحل . وبالجملة هو كسري في عدله . وعمر بن الخطاب في شدة العارضة وإباء النفس . وعمر بن عبد العزيز في عفته .

ولم يتكل على أن بلاده سائرة على مقتضي الدستور والحكومة النيابية. بل هو يراقب أحوال الحكام بالحكمة والسداد وينظر في شؤون الرعية جليلها وحقيرها نظر الاب الشفيق في أحوال أبنائه الامناء المخلصين .

ومما امتاز به أنه إذا حضر مجلسه أحد خرج وهو يتغني بمدحه علي لطف حديثه والبشر الذي يلاقي به زائريه لانه يحادث كل انسان فيما يتعلق بوظيفته في الهيئة الاجتماعية . فهو تاجر مع التجار وزارع مع الفلاحين وسياسي مع السياسيين وهلم جرا .

ومن هذه الاوجه يصح أن يقال ان الميكادو فرد جمع الله فيه العالم .

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فهكذا تكون الملوك لان الملك لايملأ العرش الا إذا كان عقله يوازي

عقل أمته بأجمعها .

***

وأما أخلاقه فيما يتعلق برعيته فهو كما قلت كالاب البار بالابناء الامناء المخلصين . ولم يجعل بينه وبين أحد حجاباً اذا عرض عليه شكوى او رفع اقامة دعوى . فان وجد لذلك مخلصا أسعفه في الحال بالانصاف والا فهو يعده وعد الوفي بالنظر في أمره عند سنوح الفرصة .

وهو شديد الكلف بتعهد أحوال حاشيته في قصره لا فرق بين الصغير والكبير فيهم . واذا مرض احدهم فلا يهدأ له بال حتي يراه ويوصي الحكماء بالاعتناء في مداواته كما يوصيهم على أقرب الاقرباء لديه. وقد ضرب اليابانيون المثل في حبه فقالوا (فضيلة الياباني حب الميكادو) وهم كما يفخرون به فكذلك هو يحبهم ويفخر بهم . وقد اعلن هذا الفخر رسميا في الملأ حيث اصدر منشوراً عاما هذا معناه .

(أيتها الامة الحية الراقية انك كما تفخرين بي فاني كذلك افخر بك على سائر الامم الراقية . واني لا أدخر وسعا من عمل كل ما يرقيك ماديا وادبيا لاني وقفت كل قواي على هذا السبيل . واني لأرفض نصح ناصح في كل امر فيه نفع للوطن . فان كانت النصيحة في محلها قبلتها وان حصل سوء تفاهم بينت السبب الداعي الى عدم القبول . فان رضيتم فبها ونعمت وان أبيتم فبيني وبينكم شريعة (كونوفوشيوس) وهو معبود في اليابان . فاعينوني على تدبير المملكة بالطاعة والعمل على ما يجعل اليابان ارقى الامم واسعدها واني كفيل برد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم)

هذا وسيأتي الكلام في غير هذا المحل باهتمام الميكادو بجنوده في زمن

الحرب الروسية . ومنه يعلم مقدار اعتناء هذا الامبراطور بشؤون رعيته .
وان ملكا هذه اوصافه وهذه سيرته لجدير أن تحالفه دولة انكلترا .
وبالجملة فان الامبراطور (متسوهيتو) هو أفضل الملوك عقلا وابعدهم نظراً
وأحبهم الى رعاياهم بعد مولانا السلطان .

الاتفاق مع المبشرين المسلمين

لما وفدنا الى اليابان ووصلنا طوكيو شاع خبر وصولنا . بين المبشرين
المسلمين والمسيحيين . وكان في طوكيو احد علماء وفضلاء مسلمي الهند
يدعي السيد حسين عبد المنعم وهو شريف النسب . فجاء الينا وأظهر لنا
بشراً زائداً وارتياحا من حضورنا الى اليابان . وأخبرنا أنه قدم الى هذه
البلاد على نفقة بعض افاضل مسلمي الهند للتبشير بالاسلام وأن له نحو
الخمسة شهور وهو متشوق الى من يعضده ويساعده من المسلمين في نشر
لواء الاسلام ولم يجد أحداً ولذلك كان يقاسي متاعب شتى شأن المنفرد في
عمل جليل يحتاج الى معين . فاتفقنا جميعا على أن نكون يداً واحدة وأن
نؤلف جمعية . وفعلا تم الاتفاق وصار هو الخامس لنا .

وبعد هذا الاتحاد والاتفاق قررنا أن نستأجر محلا لسكنانا اولا .
وليكون محلا للجمعية ثانيا . ثم بعد ذلك أخذنا نبحث على المحل الموافق وفي
أثناء البحث حصل التعارف بين حضرة السيد حسين عبد المنعم وبين رجل
ياباني من مشاهير التجار بطوكيو يدعى المسيو (جازنيف) وهو على جانب
عظيم من الفطنة والذكاء وطيب النفس وكرم الاخلاق .

وصادف أنه سأل حضرة السيد حسين عن الغرض من أخذ المنزل

فعرفه بأننا مسلمون ونريد أن نأخذ منزلا للسكنى وللجمعية فما كان من هذا الرجل الاريحي الا أن طلب من حضرة السيد حسين أن يقابله معنا .
ولما حضر معه قابلنا بالترحيب ولما استقر به المقام طلب منا أن نشرح له قواعد الاسلام ونبين له أمر تفضيله على سائر الاديان . فكان حضرة السيد حسين يترجم باللغة الانكليزية ما تقرره جمعيتنا . فلما وقف هذا الياباني على حقيقة الدين الاسلامي وذاق حلاوته في قلبه فلم يلبث الاريثما أن قال لنا اعتبروني من الآن في عداد المسلمين . فلقناه الشهادة وهنأناه على خروجه من الظلمات الى نور الايمان وبذلك حصل لنا كلنا السرور التام واستبشرنا بنجاح الآمال . وبعد أن أسلم قال لنا اني في استعداد تام الى كل ما تكلفونني به من المصالح كما أني تبرعت لكم ولجمعيتكم بمنزل هو ملك لي لا أطلب منكم أجرته ما دمتم هنا وهذا كله اكرام لهذا الدين الذي باعتناقي اياه أصبحت أسعد السعداء

فقابلناه بالشكر على كرمه الحاتمي ودعونا له بالتوفيق وصار هذا الرجل كلفا بنا لا يفارقنا الا في الاوقات التي يضطر فيها الى مفارقتنا . ثم قام في الحال وأعد لنا المنزل وأحضر لنا خادما من النزلاء الامريكانيين .
أما المنزل فهو دور واحد ولكنه مزخرف البناء وكله مفروش بأفخر الفراش وبه صالون فسيح جعلناه محل انعقاد الجمعية والمنزل في شارع (باليستيو) فاقمنا فيه طول المدة التي أقمناها في بلاد اليابان .

كيفية التبشير بالدين الاسلامي

لما تم الاتفاق بيني وبين حضرات من ذكروا على عقد الجمعية

لم نقبل ان ننتقل في البلاد كما يفعل غيرنا من المبشرين بل عزمنا ان لا نغادر العاصمة والتبشير يكون في المنزل المتقدم وأن يكون الدخول مباحا لكل انسان من أي جنس كان ومن أي مذهب كان . وانعقاد الجمعية كان ليلا. واول انعقاد لها كان قاصراً على القاء خطبة بينا الغرض الذي لاجله قدمنا الى اليابان . فرتبنا الخطبة باتفاقنا وترجمها حضرة السيد حسين عبد المنعم باللغة الانكليزية وأعطيت الى المسيو (جازنيف) لاجل ترجمتها باللغة اليابانية والقائها نائبا عنا . وكنا قد عرفناه اليوم الذي تعقد فيه اول جلسة من الجمعية . فما جاء الميعاد حتى أقبل الناس زمراً يتلوا بعضهم بعضا حتى غص بهم المكان وبعد أن أخذ كل مكانه وقف حضرة المسيو (جازنيف) والقى الخطبة وهذا نصها.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (وبعد) فان حضورنا الى بلاد اليابان وتحملنا المشاق العديدة المتنوعة في طريقنا . لم يكن لاجل دنيا نصيبها أو فائدة مادية او ادبية سوى هدايتكم يا أهل اليابان الى الدين الصحيح ونزع الاعتقادات الفاسدة من قلوبكم ليحل محلها الايمان بالله وحده لا شريك له في ملكه . وانكم لو عرفتم حقيقة الدين الاسلامي لعددتم مجيئنا هذا منة كبرى من الله بها عليكم ليخرجكم من الظلمات الى النور . ولعددتموها لنا حسنة من الحسنات التي لا تقاوم بشكران.

ان الدين الاسلامي سنبينه لكم هو الدين الوحيد الذى لم يزل ينتشر في الارض ولم يحدث فيه تغيير ولا تبديل من يوم ظهوره الى الآن يعني ثلاثة عشر قرنا وربعا . مع أنه لم يوجد بين المسلمين من قام بالتبشير بهذا الدين لا في

هذه السنين ولا في السنين الغابرة والسر في ذلك هو أنه دين العقل . والعقل متي ماوضح لديه البرهان . قبل النتيجة المستفادة من القضية الصحيحة المقدمات . وحسبنا شاهدا على ذلك أن أغلب المتدينين بالدين المسيحي يقرون ويعترفون بان دين الاسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها من أمور الدنيا . فهو اذن دين المدنية والعدل والمساواة بحيث لو وضعنا أمامنا كل القوانين الوضعية وتاملنا الى ماتضمنه من المواد في جميع الامور المتعلقة بنظام الشعوب من جهة الحقوق المدنية والجنائية . ثم نظرنا الى أحكام دين الاسلام . لألفيناه القانون الوحيد الذي حوي كل أنواع العدالة به تباينت المشارب والعادات بخلاف القوانين الاخري فانها في الغالب تكون على مقتضي الاخلاق والعوائد المخصوصة ولذلك يجرى عليه أهل الدين المسيحي في تقسيم المواريث .

ولو تأملنا في الحكمة المودعة في كل ركن من أركانه مثل الشهادة واقام الصلاة وإيتاء الذكاء والصوم والحج لرأينا أن السعادة الدنيوية والاخروية متوقفة على العمل بهذه الاركان كما سنبينه لكم في الجلسات القادمة.

واننا نوردهنا نبذة لاحد الفرنسويين قالها في هذا الدين لتعلموا انه دين المدنية وهذا الفرنسوي يسمى المسيو (هوذا) قال مامعناه .

لايوجد الآن إحصاء قطعي يعين مقدار عدد المسلمين المنتشرين في الكرة الارضية ومع ذلك فانهم قدروا ان عدد المسلمين يناهز الثلاثمائة مليونا من النفوس على وجه التقريب من جهة القلة لا من جهة الكثرة . مع أن الاسلام ظهر في آسيا وانتشر منها في انحاء المعمورة بسرعة فائقة فدخل افريقية وضرب اطنابه فيها ثم دخل آسيا الكبرى ومازال كذلك حتى دخل

بلاداً كثيرة في مدة وجيزة . وانا اذا تصفحنا التاريخ لوجدنا أن هذا الدين هو الكفيل الوحيد لترقى الامم وسعادتهم وعليه فيحق لنا نحن الغربيين أن نعترف عن غير رياء ولا مراء بأن أهل هذاالدين هم أرقى الامم وأحسنهم حالا من جهة الاعتقادات الدينية هذا كلام المسيو (هوذا) وان شاء الله سنبين لكم اعظم من ذلك في الجلسات الآتية .

﴿ جلسات جمعيتنا ﴾

لما عقدنا أول جلسة وألقى الخطبة جناب المسيو (جازنيف) أردفناها ببعض البيانات الواضحة عن قواعد الديانة الاسلامية وعرفنا الحضور معنى الاسلام والفرض الذي ترمى اليه مبادئه بالاجمال بصورة سهلة التناول على الافهام وبعد انفضاض الوقت المحدد لانعقاد الجلسة عينا الليلة التي تنعقد فيها الجلسة الثانية بها . ولما جاء الميعاد رأينا ازدحاما شديدا عن ذى قبل حتى لم يعد يوجد قيد شبر في المكان . ولما جاء الوقت لافتتاح الجلسة أعلنا بافتتاحها وأخذ المسيو (جازنيف) يلقي عليهم مارتبناه من البيانات والايضاحات وهذه مأخوذة من الكتاب والسنة واجماع الائمة بحيث لم نتعمق في الايضاح بل كان كل مارتبناه من الادلة والبراهين والاستشهادات لا يخرج عن الامور العقلية . وهذه البيانات كانت تترجم باللغة الفرنسوية والانكليزية وكان المسيو (جازنيف) يلقى التى باللغة الانكليزية على الحضور فمن عرف من اليابانيين احدى هاتين اللغتين كفى ومن لم يعرف الا اليابانية تترجم له بلغته بواسطة المسيو (جازنيف) الذي أتقن اللغة الانكليزية اتقانا تاما . وكل من وردت عليه شبهة في موضع كان يرسلها الينا كتابة

وكنا نجيب عنها كتابة ايضا .

وبواسطة هذه الطريقة تمكنا من تفهيم معني الدين الاسلامي ولولا هذه الطريقة لم يعتنق الدين الاسلامي احد من اليابانيين لا سيما واننا كنا نفرغ جهدنا في اختراع اسهل الطرق وأقربها الى الفهم حتى انهم كانوا يدخلون في الديانة الاسلامية بكثرة مادحين تعاليمها .

وهكذا كنا نفعل فى كل جلسة . وكلما زدناهم معرفة بالدين الاسلامى زاد عددالذين يعتنقونهمنهم . وبذلكانتشر صيت جمعيتنا في المدينة انتشارا عجيبا .

وكنا نسمع الثناء على الاسلام من الذين اعتنقوه لانه دلهم على الاله الحق واخرجهم من الظلمة الى النور وأوضح لهم النهج القويم . وان تلك الشبهوتلك الاجوبة عنها لو اجتمع كل المبشرين من الدين المسيحي وفرض أنها كانت فيه لما قدروا على ان يردوا شبهة واحـدة منها . لا سيما الطريقة السهلة التيتوخيناها في ايضاح المبهم وحل المعضل وزوال الالتباس ونفي الريب .

وليس الفضل لنا في اختيار الطريقة السهلة التي استعملناها في تقرير قواعد الاسلام . بلالفضل للسلف الصالح من المسلمين جزاهم الله عن الاسلام خير الجزاء .

والذى سهل ايضا علينا هداية القوم الى ديننا القويم ان حالة اليابانيين الطبيعية ساعدت كثيرا على اعتناق الاسلام لانهم قوم عندهم استعداد طبيعى لقبول كل ما يوافق العقل ونفي كل مايخالفه مهماأثبتوه بجميع أوجه السفسطة والمواربة .

واول دليل على أنهم في استعداد كاف لقبول الاوصاف الصحيحة حبهم لوطنهم هذا الحب النادر المثال لان من كان هذا الشعور فيه طبيعيا فهو أقرب الى الهدي من الضلال والرشد من الغي .

فلو كان المسلمون ارسلوا وفودهم الى اليابان قبل هذا الاوان واستعملوا هذه الطريقة التي استعملناها لكان المسلمون منهم الآن يعدون بالملايين لا بالالوف

***

أما الذين اعتنقوا الاسلام على أيدينا فبلغ عددهم نحو الاثني عشر الف رجل . فلو كان المبشرون المسلمون وفدوا الى اليابان من زمن مديد كما بينت لكان عدد المسلمين أضعاف هذا العدد بكثير . ومن الذين اسلموا على يدنا كثير من الحكام والتجار المتبحرين وذوي الحيثيات وكثير من الوسط في الامة . وأول من اسلم على يدنا جناب المسيو (جازنيف) ثم (أترالكيبو) و (انساتليزيو) و (كورفاري) وغيرهم من العظماء الذين لو كتبنا اسماءهم لاحتجنا الى مجلد ضخم . ومنهم لم يرد تغيير اسمه الاصلي ولا تغيير إسم عائلته فعرفناهم ان هذا لا ضرر فيه . والذين لهم زوجات تدين بالدين المسيحي لم يردن أن يغيرنه . فعرفناهم ايضا ان هذا جائز في الاسلام . والذين لهم زوجات باقيات علي الاعتقادات الفاسدة عرفناهم ان الاسلام يأبي ذلك كل الاباء . مع أننا وطدنا الامل بان المسيحيات وغيرهن سيعتنقن الدين الاسلامي قريبا حيث هن مطيعات محبات لبعولهن

هذا وقد عقدنا جلسات جمعيتنا نحو الثمانية عشر مرة وكل مرة كان يعتنق الاسلام الخلق الكثير كما بينا . ولما عزمنا على السفر رغب حضرتا

الفاضلين الحاج مخاص محمود . والسيد سليمان الصيني في البقاء هناك حتي يبذلا الجهد في التبشير بالدين الاسلامي وعرفا انهما سيمكثان نحو الستة اشهر والذي يعرف أخلاق وعوائد الامة اليابانية ومقدار ما هم عليه من ذكاء القلب ونور البصيرة يجزم بانه لا يأتي زمن قريب حتى يرى منهم المسلمون اضعاف المسيحيين وسنة التدريج أيضا تقضي بذلك

﴿ الاسلام ﴾

لما اخذنا نوقف اليابانيين في جلسات جمعيتنا على حقيقة الدين الاسلامي وما يرمي اليه وكنا في هذه الحالة لا نخرج بهم الى التطويل بل كل ما بيناه لهم هو باختصار بالغ النهاية . وأول شيء عرفوه هو الاسلام بطريقة سهلة وما هو معناه بالاجمال . ان هذا الدين الذى بعث به النبي محمد صلى الله عليه وسلم جاء ناسخا لكل الشرائع المتقدمة التى بعث بها الانبياء والمرسلون من قبل وقد حوي هذا الدين كل ما فيه مصلحة الخلق في حياتهم ومعادهم وسعادتهم وارشادهم الى سبيل الخيرات والعقائد الصحيحة والتهذيب للنفوس والاخلاق الفاضلة كما في قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدي ودين الحق)

ولما كان هذا الدين ناسخا لكل دين تقدمه وكان لم يزل من الناس من هو متدين بدين غيره أقام الله الحجة عليهم بقوله (ان الدين عند الله الاسلام) اي ان كل من لم يتبع الاسلام فهو كافر بالله ورسوله وبالكتاب الذي أنزل من عنده . وقد شدد الله الوعيد لمن حاد عنه وتدين بغيره وأنذره بالخسران المبين يوم القيامة اذ يقول تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام

دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون) أما من أسلم طوعا اى انقاد الى التصديق بهذا الدين طائعا فهو الذى وهب العقل والادراك ومنح من نور البصيرة فعرف أنه الدين الصحيح ولم يرتب في شيء منه فآمن بالله واليوم الآخر وصدق الرسول الذى جاء به والقرآن المنزل بأحكامه . وأما من أسلم كرها فهو الذي ارتاب فيه ثم جاءت الادلة والبراهين قاطعة بحجة دامغة لكل ارتياب في قلبه حتي انقاد مقهورا بالحجة الى الاعتراف بأنه الدين الصحيح وأنه لرسول المرسل به من عند الله حقا وأن القرآن هو كلام الله صدقا . وقد أنكر الله تعالى على الذين لم يتبعوه لاطوعا ولا كرها حيث قد أسلم وآمن به الذين لم يرتابوا فيه طوعا بلا جدال والذين ارتابوا اولا ثم قهروا بالحجة بعد الجدال منهم فاعترفوا وصدقوا . ومن كان يجد في نفسه منهم مقاومة للحق فان ذلك لا يتجاوز الصدر ولا تنطق به الشفتان . ولما كان الدين هو عبارة عن طاعة الله تعالى والعمل بأوامره والابتعاد عن كل ما نهى عنه فقد حث الله جل شأنه على الاستمساك بعروته الوثقى كل نبي ورسول وذلك كما جاء في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسي وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والذي وصي به الله تعالى هؤلاء الانبياء والمرسلين أولى العزم هو عبادته وتوحيده والوقوف عند كل حد رسمه لهم الدين الذى جاء به كل نبي منهم . وقد ذكر الله ذلك في غير هذا الموضع من القرآن الكريم حيث قال وهو أصدق القائلين

(وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)
وكما أنه تعالى ارتضى هذا الدين ولم يرض غيره أنذر كل من سعي في العبث به والتفرقة فيه وعطل حدوده وأمر بالتبرئة منه وشدد عقابه في الآخرة حيث يقول (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)

وقد أخبر الله تعالى في التوراة والانجيل بانه سيأتي رسول في آخر الزمن بدين الاسلام ولكن الذين تدينوا بالمسيحية والذين حرفوا الانجيل والتوراة حذفوا منه هذا النبأ لئلا يفسد عليهم ما نزعوا اليه من الضلال والتضليل مثل ما فعلوا في كثير من المواضع التي حرفوا فيها الكلام عن مواضعه وذلك كما جاء في قوله تعالى (والذين يحرفون الكلم عن مواضعه)

الاسلام دين الفطرة .

خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالعقل الذي يميز به الاشياء ويعرف الضار من النافع ويهتدي به الى ما عساه يشكل عليه أمره من حقائق هذه الموجودات . فاذن العقل هو لدي الانسان بمنزلة الميزان أو بعبارة أخرى بمنزلة حجر الصائغ الذي يميز به المعادن فيعرف الذهب من النحاس والفضة من الرصاص .

فاذا عرفنا هذا يمكننا أن نقول انه لا يوجد انسان في الوجود ينكر أن لهذه العالم خالقا خلقه وصوره من هذه الصورة . فبهذه الصفة يكون كل الناس متفقين على وجوب وجود الخالق اذ لا يعقل ان هذه الكائنات وجدته نفسها بنفسها لما يترتب على ذلك من فساد الفضيلة لان التغيرات في

الاشياء والموجودات لابد لها من مؤثر وعلى هـذا رتبت القضية المنطقية التى استدل بها على وجوب وجود الخالق وهي : العالم متغير وكل متغير حادث . فالنتيجة ان العالم حادث : واذا كان كل حادث لابد له من محدث فالعالم لابد له من محدث . فهذه القضـية هى التى سلم بها كل ذى عقل كما تقدم .

ولما كانت ذات الله تعالى منزهة عن الزمان والمكان بعيدة عن مرامي الادراكات والتصورات وقفت كل العقول حيال معرفتها موقف المندهش الحائر . وهي مع هـذه الحيرة متفاوتة في الدرجات من جهة الكمال . فمن الناس من يقول ان الخالق لهذا الكون هو ذلك الكوكب الليلى ونعني به القمر لما رآه من عظم جرمه وعجيب سيره وتنقله من حاله الى أخري ونوره الذى يملأ ما بين الخافقين . ومنهم من يقول ان الخالق هو ذلك الكوكب النهاري ويعنى به الشمس لما رآه فيها من كبر جرمها على سائر الكواكب وعن القمر في شعاعها الساطع ومن منافعها في الاجسام النامية الحية وغير النامية الحية . ومنهم من يقول ان الخالق هو النار لما رآه فيها من الخاصية التى تؤثر في كل شيء وهو الاحراق . ولما رآه فيها من المنافع الشاملة لضروريات الحياة . ومنهم من يقول ان الخالق هو ذلك الصنم الذى يصطنع من الحجر مثلا . وهـذا الفريق ومن على شاكلته ممن يعبـدون ماتصنعه أيديهم حكمهم حكم الحيوانات العجم وهكذا كل فريق عين خالقا مخصوصا والذي دعا الناس الى هـذا الاختلاف في تعـين الخالق هو حب النفس وميلها الطبيعي الى الوقوف على حقيقة الاشياء المعروفة لديها من الذهن الغائبة عن العيان خصوصا اذا كانت هـذه الاشياء من المستغربات ولا شك أن

قدرة الموجد لكل هذه العوالم والمخرج لها من العدم الى الوجود غريب لدى العقول فتندفع بميلها الطبيعي المذكور الى الوقوف على حقيقته . ولما كان الوقوف على حقيقته محالا بالغ العجز والاعياء بهذا العقول مبلغا عظيما طلبت الراحة بتعيينه بأي كيفية كانت فهذا هو سبب الاختلاف .

***

قلنا ان العقول بهذا الاعتبار وهو الاختلاف في تعيين الخالق تنقلات في الكمال . فالذي يعبد القمر أرقي في التصور والادراك من الذى يعبد الصنم لان الاول رأي شيئاً غريبا من الخلقة فقال هذا ربي . أما الآخر فهو داخل في حكم الحيوانات العجم كما قدمنا لانه عبد ما صنعت يداه . وهذه وقاحة وحمق : وأرق هذا العقول في التصور هو العقل الذي يهتدي الى معرفة الحقيقة بمقتضي القضايا التي يستنتج منها النتائج الصحيحة بفضل ما أوتى من العقل الصحيح .

***

وقضية سيدنا ابراهيم عليه السلام شاهدة على ذلك فانه لما وجد هذين الكوكبين غير حائزين لكمال الاله الحقيقي . وعدم الكمال هو الافول الذى يقضي بالتغيير والانتقال والحدوث . لم يؤمن بهما . ولما كان اعتقاده بوجوب وجود الاله كان آخر ماوصل اليه عقله لان الاله الحقيقي لا تراه العيون فآمن به واعتقد وجوده .

فعلى كل ماتقدم يمكننا أن نقول لو سألنا كل من يدين بغير دين الاسلام عن الاسباب التى أجبرته ودعته الى هذا الاعتقاد لذهب بك كل مذهب في اقامة الدليل والحجة حتى يبرمك ويضجرك وأخيرا لاتجد نتيجة يحسن بها

الاقناع . وهذا الدين المسيحي مثال على مانقول . فانك اذا أردت أن تعرف حقيقة هذه الديانة وعن الدليل الذي استدل به المسيحيون على ألوهية المسيح . وسألت أعلمهم بدينهم وكان أفصح الناس لسانا لوقفت معه موقف الحيرة من التناقض وتضارب القضايا حتي تبلغ الروح التراقي.أما اذاسألت المسلم عن حقيقة دينه وأصل معتقده فيكفي في ذلك انه يشير بسبابته . وفي هذه الاشارة معني التوحيد الذي هو أصل الايمان .

والخلاصة أن الانسان اذا خلق ونشأ في أرض بعيدة عن بني نوعه مع وجود العقل الكامل فيه فهو ولا شك يعتقد بفطرته انه لابد من وجود خالق لهذه العوالم وهذه الكائنات مغاير لها كل المغايرة . وهذا هو منبع الاسلام وأصل دينه .

ووجد من الناس من هداه عقله الى هذا الاعتقاد في غابر الزمان وهم الفلاسفة المشهورين كافلاطون وسقراط وغيرهما والذين أسلموا من الافرنج وهم أرقي الامم من حيث العلوم الآن وبحثهم فيها . ولو لم يجدوا هذه المزية في الاسلام ما كانوا اعتنقوه .

وهنا دليل آخر وهو أن المسلم العامي في امكانه أن يعبر عن حقيقة دينه بتلك الاشارة أو مايقوم مقامها من العبارة . أما غير المسلم فانه يوقفك موقف الحيرة ولو كان فصيحا كما قدمنا .

القرآن

هو كتاب الله الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفيه أصول دينه وفروعه وفضلا عن هذا فقد حوى من الحجج الدامغة على كل من

ارتاب في صحة الاسلام وأخبر عن سيرة المتقدمين وأخبار الامم السالفة مما فيه ذكرى وعبرة لقوم يعقلون . كما أخبر عن كل ما في الوجود من عناصر ومعادن إما تفصيلا . وإما ضمنا وذكر المواعظ الحسنة والارشادات النافعة الى خيري الدنيا والآخرة ووصف الدنيا وصفاً ممثلا لحقيقتها ووصف الآخرة وما أعد فيها من النعيم المقيم لمن آمن بهذا القرآن وما فيها من العذاب الاليم لمن لم يصدقه وكفر به . وكل ما نراه الآن من آثار الحضارة والمدنية المحمودة هو بعض ما تضمنه هذا القرآن في كثير من الآيات ولو جمعنا المتشرعين في كل أمة من يوم خلق الله العالم الى هذا اليوم وكلفناهم بوضع قانون يسير عليه الناس في كل أحوالهم الاجتماعية ويكفل لهم كل انواع السعادات . لو عملوا به لوقفوا عند حد العجز عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها كما قال تعالى (وما فرطنا في الكتاب من شيء) وكل ما جاء في القرآن مرجعه الى ثلاثة أقسام التوحيد والتذكير والاحكام فالتوحيد داخل فيه كل الآيات التي تضمنت معنى ثبوت الالوهية والوحدانية وغير ذلك مما يتعلق بذاته جل وعلا وصفاته وكل ما يختص بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام . والتذكير داخل فيه انذار العصاة وتبشير الطائعين وهذا يدخل فيه ما جاء من المواعظ الحسنة وضرب الامثال والحكم في جوامع الكلم وذكرى أهل العصور السالفة والتهديد والوعيد والزواجر والتبشير بالجنة ووصف ما فيها من الخيرات التي أعدت للذين يعملون الصالحات

والاحكام داخل فيها كل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات وكل ما تقتضيه الحقوق من كل أنواع القضايا التي نراها الآن.

﴿ كيفية نزول القرآن ﴾

لما كان القرآن هو كلام الله تعالى المخاطب به رسوله صلى الله عليه وسلم كان الرسول الأمين على ألفاظه ومعانيه سيدنا جبريل وهو الملك الخاص بالوحي الى الانبياء ، وكان ينزل ليبلغ الآية أو السورة الى هذا النبي في ظروف أحوال ذات حوادث ووقائع تنزل فيها وفي شأنها الآية سواء كان هذا الشأن أمراً دينياً أو دنيوياً . ولذلك أنزل القرآن مفرقاً على حسب الحوادث والوقائع لهذا السبب . ولسبب آخر وهو التثبت في هداية الامم الى الايمان وعدم خبرة القواد حيال هذا الحكم والاحكام التي تناولت كل شيء لان تلقي كل هذه الحكم والاحكام دفعة واحدة مع ما حوته من السر العجيب في المدلولات وهي حسن التركيب وجمال الاساليب التي تقف بالعقل عند حد الحيرة . وفي هذا تعليم للخلق بأن يأخذوا كل أمورهم بالحزم وعدم الاندفاع عند مبادرة الخواطر . لان الترتيب في العمل من مصائد الفلاح

وكان أول آية نزلت منه في شهر رمضان المعظم في ليلة القدر وسميت بذلك تشريفاً لها على جميع ليالي هذا الشهر والشهور كلها . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى عن ربه بواسطة سيدنا جبريل هذا القرآن ويتلوه على أصحابه الذين خصصوا اناساً لحفظه وتدوينه فكتبوه كما أنزل . وقد بالغوا في الاعتناء بحفظه وتدوينه كل المبالغة ولذلك لم يحرف منه حرف الى الآن ولن يزال كذلك كما أنزل حتى تقوم الساعة بدليل قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وأول ما أنزل منه قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الاية) وآخر ما أنزل منه قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

﴿ إعجاز القرآن ﴾

لما أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان من العنصر العربي والعرب خصوا بفصاحة اللسان وحسن البيان مما لا يوجد في أمة سواهم . كان القرآن من أعظم المعجزات التي بهرت عقولهم . ففي أول الامر نظروا الى بلاغته فقالوا هذا قول شاعر لعلمهم أن الشعراء منهم هم المالكون أزمة البلاغة . فحاجهم الله بقوله (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وليست بلاغة القرآن في جمال تركيبه ومعانيه واتيانه بالايجاز في موضعه والاطناب في مواطنه . واحكام مواضع الفصل والوصل مما لا يمكن لأفصح الناس الاتيان بمثله . بل إعجازه أيضاً من جهة أنه يقرأه ويتلوه الانسان ألف مرة وهو لا يزداد الا حلاوة في السمع بخلاف كل كلام غيره مهما كانت درجته في البلاغة فانه اذا أعيد ملته الاسماع ونفرت منه الطباع .

وقد أقام الله الحجة على الذين لم يصدقوا أنه كلام الله القديم وقالوا انه من كلام البشر بقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وهذا اكبر دليل على عجزهم

ومن إعجازه ايضاً انه اخبر عن الامم السابقة وحوادثهم بأوجز عبارة مما لم يكن معروفاً لدى علماء ذلك العصر مع اجتهادهم في الوقوف على حقيقته . ومن إعجازه اتيانه بالاحكام التي لو اجتمع كل أهل الشرائع لما

قدروا على وضع مثلها مما يلائم ويوافق حالة كل أمة من الامم جمعا .
هذا فضلا عن الحجج الدامغة في تقرير الوحدانية له تعالى في كثير من
المواضع . وكل الفصحاء والكتاب والشعراء من أهل الأديان الأخرى
يقتبسون منه في إنشائهم ما به يحسنونها ويفضلونه على كلام العرب الذين هم
أفصح الامم منطقا

رسالة سيدنا محمد ﷺ

ان نسب هذا الرسول الكريم يتصل بسيدنا اسماعيل ابن سيدنا
ابراهيم وهو من أشرف قبيلة فى العرب وقد أخبر ببعثه الرهاب والكهان
قبل أن يولد كما أخبر بهذا المسيح في الانجيل كما ورد في القرآن حكاية عن
ذلك في قوله تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل أنى رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدي اسمه
أحمد) ولكن الذين حرفوا التوراة والانجيل حذفوا هذا النبأ منه .

ولد هذا الرسول وربى يتيما حيث مات أبوه وهو صغير فتكفل به بعض
أقربائه . وقد ظهرت عند ولادته آيات وعجائب لم تتفق لغيره . فمن ذلك
خمود بيوت النيران في أرض فارس اذ كانت تعبد دون الله تعالى وتكسير
الاصنام من فوق الكعبة اذ كان العرب يتخذونها وسيلة الى الله تعالى . كما
أن كسري ملك الفرس رأي ليلة مولده رؤيا هالته فقصها على الكهان فأخبروه
بان رسول آخر الزمن قد ولد . ومن ذلك انه لما كان يشتغل بالتجارة وكان
ذاهبا الى الشام كانت تظلله غمامة دون سائر [illegible]ـه من التجار ولما رآه

الراهب بحيرا عرفه اذ كانت له علامات دالة على أنه النبي المنتظر .

وكانت اخلاقه في عهد شبيبته لاتعاد لها أخلاق أكمل الناس عقلا .

وبما أن الله اختاره لرسالته طهره من سفاح الجاهلية . فلم يفعل ما كان يفعله العرب من الافعال التى نهي عنها القرآن كشرب الخمر وشرب الدم ولعب الميسر وغير ذلك . بل نشأ على عبادة ربه وانعكف في غار حري يتعبد على ملة أبيه ابراهيم عليه السلام حتى جاءه الامر من عند الله بدعوة الخلق الى الاسلام وذلك في بلوغه الاربعين سنة فجاءه الملك وهو سيدنا جبريل بأمر ربه اذ قال له (ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر الآية) ولما بعث رسولا أيده الله بالآيات البينات مما يطول شرحه . فمن الآيات انشقاق القمر وتفجر الماء من بين أصابعه ورد العين المفقوءة صحيحة وكلام الضب والجمل واتيان الجذع يسعي اليه . ومن هذه الآيات القرآن الذى أعجز فصحاء العرب والعجم عن الاتيان بمثله أوبعضه . وهو الكتاب الذي جاء به حاويا لكل أصول الدين الاسلامي وفروعه وقد بين الله مقدار فضله ومنزلته عنده ومحبته له في كثير من الآيات القرآنية وبشر الذين يتبعونه ومدحهم وانذر الذين يخالفونه وذمهم وذلك في قوله تعالي (وانك لعلى خلق عظيم) وقوله (محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وقوله تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله الآية) وقوله عزوجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فكل هذه الآيات القرآنية بينت فضله صلى الله عليه وسلم وفضل الذين يتبعونه ويتدينون بدينه . واول من أمر بابلاغهم الدعوة الى الاسلام هم أهله وعشيرته حيث يقول الله تعالى

له (وأنذر عشيرتك الأقربين) فكانوا له اعوانا في الدعوة الى الاسلام ومن هذه اشارة خفية الى أن أهل الانسان أولى الناس بايصال الخير اليهم للحمة القرابة : وما زال صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام ويجاهد في هذا السبيل وهو محفوف بمعونة النصر والغلبة على الكفار حتى قبض وهو في الثالثة والستين من عمره الشريف على اصح الروايات صلى الله عليه وسلم .

﴿ جلسة من ضمن جلسات جمعيتنا ﴾

لما اثبتنا للقوم بالبراهين العقيلة صحة الدين الاسلامى وانه دين الفطرة والمدنية شرعنا نبين لهم الاسرار والفوائد الجمة المتعلقة بحياة المرء الدنيوية والأخروية المودعة في احكام العبادات والمعاملات التي جاء بها الدين مما لا يوجد في تعاليم أيّ مذهب ودين من الاديان سوي الدين الاسلامى وكنا نكتب ذلك لهم ببيان واف وسهولة تقرب فهم كل ما نذكره على العقول وكل شي نقرره كان يترجم باللغة الانكليزية والفرنسوية كما تقدم وكانت الصورة الانكليزية تعطي للمسيو (جازنيف) لاجل ترجمتها الى اللغة اليابانية ويلقيها على القوم فكانوا يكتبون في مذكراتهم لديهم وأول مابدأنا ببيانه في هذا الباب هو الصلاة . ونذكرهنا مجمل ما بيناه من فوائدها تخفيفا على القارئ واحترازا من الاسهاب في غير موضعه .

وأول ماقررناه هو الفائدة في جعلها خمسا في اليوم والليلة وذلك أن اداء الصلاة في أوقاتها الخمس يدعو النفس الى نبذ الكسل والخمول وحثها على القيام بعمل الواجب في أوقاته وإعلامها ان التسويف في أدائه أو تأخيره عن أوانه فيه خسران عظيم وضرر بمصلحته . ويدعوها أيضا الى مراقبة جانب الله اذ يقف المرء بين يديه جل شأنه خمس مرات في اليوم

والليلة خاضعا خاشعا متطلبا عفوا وغفرانا لذنوبه مستمدا معونته . وفي ذلك من تهذيب نفسه ونفورها من المعاصي ما لا يخفي

اما السر في تفضيل صلاة الجمعة على صلاة المنفرد فلما في الثانية من معني الانفراد وهو ضد الاتحاد ولما في الاولي من معني الاتحاد الذي هو اساس النجاح في كل الاعمال . وفيها أيضا معنى المساواة والعدل اذ يقف الغني الحسن البزة بجانب الفقير الرث النتن كتفا لكتف وهذا منه إشارة ناطقة بأن المسلم لا يفضل اخاه المسلم بالغنى والجاه وإنما يفضله بالتقوي وهذا نهاية العدل . ومنه ايضا اشارة الي أن اطاعة الرؤساء والاقتداء بهم من الصفات الجميلة التي يتحلي بها العقلاء .

ولما كانت صلاة الجماعة في هذه الاوقات تكون في الغالب قاصرة على اهل البيت الواحد أو الحارة الواحدة جعل الشارع الحكيم يوم الجمعة عاما لاهل البلد اذ يجتمعون في مسجد واحد فهذا يكون ابلغ في الاتحاد . وقد ارتقى الشارع في هذا الصدد فجعل صلاة العيدين وهى اعم من صلاة الجمعة . اذ يجتمع فيه اهل البلد والبلدين في ساعة واحدة في وقت واحد . واشتراط الخضوع والخشوع والسكينة والتؤدة في الحركات البدنية والقولية فيه اشارة الي ان التأني في العمل وعدم التسرع من اقوي اسباب الفلاح والنجاح واشارة ايضا الى التأدب أمام من هو فوقك منزلة وصرف النفس عن الكبر المهلك لها بالانحناء ووضع الجبهة على الارض وفوق التراب الذى هو اخس الاشياء تذليلا لجماحها وكسرا من شوكتها والتنزه عن النجاسة فيها اشارة الي تدريب النفس علي النظافة ليكون المرء بعيدا عما تشمئز منه النفس من الأوساخ والادران ولان نظافة الظاهر اذا اجتمعت مع نظافة الباطن كان

ذلك ادعي الي ميل القلوب اليه . وفي هذا فائدة لايعرف مقدارها الاذو اللب السليم .

وفي تحديد الاوقات وترتيب الصفوف اشارة الي أن الواجب على العاقل ان يجعل لكل عمل وقتا محدودا وان يسير على نظام مخصوص يضمن له النجاح والفلاح بخلاف ما اذا لم يرتب لأعماله اوقات ونظامات بل يجعلها فوضي : فان ذلك تعطيل لها وضياع الأوقات بلا جدوي .

﴿ الاصول الاسلامية التي اخذتها اليابان ﴾

ذكرت في خطبة هذه الرحلة وفي غير موضع منها ما يفيد أنه ليس من موضوعها أن نأتي بنص جميع الخطب التي كنا نلقيها في جلسات جميتنا . لان هذا يخرج بنا عن موضوع كتابة رحلة الي موضوع تأليف كتاب ديني.

ولكن اقول اننا كنا نشرح للقوم معني كل قاعدة من قواعد الدين وآدابه الشرح الوافي ونبين لهم الحكمة التي ارادها الشارع من هذه القواعد . كما كنا نتكلم عن القرآن وكيفية نزوله وبيان درجة بلاغته كما تقدم في محله وأنه قانون سماوي اتي بما يلائم احوال كل امة في كل زمان ومكان وغير ذلك .

وقد افضنا الشرح في قواعد الاسلام الخمس وان الاسلام دين الفطرة. واعجاز القرآن وكيفية انزاله واثبات الوحدانية لله تعالى وكل ذلك تقدم تلخيصه في هذه الرحلة .

وكنا نبين لهم أن الله واحد لا شريك له في ملكه وانه ليس بذات مجسمة وليس له جهة تحده وأنه قادر على كل شيء الخ والدليل على وحدانيته انه لو كان له شريك لفسدت الارض لما تقتضيه الشركة من وقوع الخلاف بين الشريكين في كثير من المسائل ومع هذا فلا بد من حصول الشقاق

والشقاق يفضي الى غلبة احدهما على الآخر وهذا يفضي على المغلوب بالضعف وهو مناف لصفات الربوبية وهكذا من قواعد علم التوحيد .

الصلاة

وفي الصلاة كنا نبين لهم الحكمة في الوضوء وكل افعال الصلاة واحوالها كما تقدم ذلك في موضع آخر وكنا نقول لهم ما معناه · ان الانسان ان كان يريد مقابلة احد الملوك فلا بدّ له أولاً من ازالة ما بجسمه من الاوساخ والادران وما أشبهها . فكيف لا يفعل هذا و هو ذاهب الى المسجد ليقف أمام الملوك وأحكم الحاكمين . كما أن الانسان يقف امام من هو اكبر منه وقوف الادب والاحترام والسكينة فكذلك يقف أمام مولاه الاكبر واضعاً إحدى يديه على الاخرى. أو مرسلا إياهما خاضعاً خاشعاً يحنو برأسه احتراماً ويضع جبهته التي هي أشرف عضو في جسمه على أخس شيء وهو التراب في السجود وتذللا له مظهراً نهاية الذل والخضوع ليكون راضياً عنه سائلاً اياه أن يغفر له ذنوبه و يتجاوز عن سيئاته .

صلاة الجماعة

وان الحكمة في صلاة الجماعة وتفضيلها علي صلاة المنفرد هي الاشارة. الى الحث علي الاتحاد واجتماع الكلمة وان في وقوف الفقير بجانب الغني إشارة الي أن التفاضل بين المسلم واخيه ليس بحسن الزى والهندام ولا بالغني بل بالتقوي (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وفيه ايضا اشارة الى المساواة بين المسلم واخيه فى كل الحقوق . وفي استقامة الصفوف · اشارة الى الانتظام المطلوب في كل الاعمال .وفي توجيه الوجوه الى القبلة اشارة الى أنه من اهل

هذا الدين . ومن بعد المسافات وقربها بين كل صلاة واخري اشارة الى أن الاعمال تؤدى في الاوقات المناسبة لها لان الوقت ما بين صلاة الفجر والظهر هو وقت اشتغال المرء بأمور المعاش . فاذا قضى نحو الست ساعات وهو يشتغل بالكسب . كان هذا الوقت كافيا لهذا الغرض فيصلى الظهر . وقرب المسافة ما بين صلاة الظهر والعصر وما بين هذه وصلاة المغرب اشارة الي ان هذه الاوقات يقل فيها عمل الانسان للكسب فيمكنه ان يؤدى الفرض . واشارة الى انه كما افتتح النهار بصلاة الصبح كذلك يختمه بصلاة المغرب . وفي بعد المسافة ما بين صلاة العشاء وصلاة الصبح اشارة الي أن هذا الوقت هو وقت النوم وأخذ النفس قسطها من الراحة كما قال الله تعالى (وجعلنا الليل لباساً والنهار معاشاً)

وكنا نبين لهم الغرض الذي يريده الشارع من فريضة صلاة الجمعة والعيدين والاذان والامامة .

﴿ صلاة الجمعة ﴾

في صلاة الجمعة عرفناهم ما مجمله . ان صلاة الجماعة رآها الشارع غير كافية بالمراد من اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم فجعل يوم الجمعة يوما يجتمع فيه المسلمون القاطنون في البلدة الواحدة في المسجد لسماع المواعظ الحسنة من جميع ما يتعلق بحياتهم الاجتماعية وما يتعلق بأمور الآخرة . فيخطب الخطيب منهم مبينا لهم أنواع البدع المستهجنة والمفاسد التى تضر بالاخلاق والآداب ويحثهم على التعاضد وترك المعاصي والاقبال على خير الاعمال واقامة الشعائر الدينية وهلم جرا .

ولا شك أن اجتماع المسلمين في كل أسبوع لسماع هذه المواعظ مما يشد ويقوى رابطة الأخاء والاتحاد بينهم ويجعلهم يدا واحدة في كل مايهمهم أمره. دنيا وأخري لو كانوا يعملون بمضمون مايلقي عليهم من الحكم والمواعظ والاوامر والنواهى

*
* *

وقد ارتقى الشارع في الدعوة الى الاتحاد الى درجة ارقي حيث أمرهم بصلاة العيدين ليتفرغ المسلمون في هذا اليوم من كل شغل ويتبادلون فيما بينهم المودة والائتلاف مصافحة وتهنئة بمرور العام وهم في أتم وفاق والتآم . فيصافح الغريب فى البلدة أهلها مصافحة الاخ أخاه كانه من عائلته أوأحد أقربائه . ويكون المسلمون في هذا اليوم فرحين مستبشرين يلبسون أحسن اللباس ويبذلون فيه مايقدرون على بذله من الاموال مواساة للفقراء حتي يكون الكل فرحا مسرورا .

ولما كانت صلاة عيد الفطر لايجتمع فيها الاأهل البلدة الواحدة تقريبا فرض الشارع صلاة عيد الاضحى ليجتمع المسلمون في الاماكن المقدسة من كل بلد وكل قطر يتبادلون المودة أيضا فيكونون جميعهم على اختلاف أجناسهم وبعد بلادهم عن بعضهم كأنهم أفراد عائلة كما قلنا في باب الحكمة المرادة من فريضة الحج .

{ الاذان }

أما الاذان فحكمته عظيمة جداً لان الناس لداعي اشتغالهم بأمر المعاش قد ينسون وقت أداء الفريضة . فجعل الاذان لاعلامهم بحلول الوقت

فيتركون الاشغال ويقبلون على الصلاة . وفى لفظ الاذان اشارة الى أن الصلاة خير الاعمال حيث يقول المؤذن (حي على الصلاة حي على الفلاح) ومعني هذه العبارة أقبلوا على الصلاة التى هي فلاح لكم ولا شيء أفضل من اجتماع المسلمين لاداء الفريضة المتضمنة للحكم التي شرحناها وهى الفلاح بعينه .

ولاجل هذا الغرض لم يجعل الشارع شيئاً غير الاذان لهذه الصلاة لاجل اعلام المسلمين بحلول وقت الصلاة . والا لناب عنه الناقوس أوأى شيء ينبيه الناس الي حلول الوقت . ولو كان الامر كذلك لاكتفى مسلمو مصر والهند مثلا بمدفع نصف النهار الذى يضرب في وقت صلاة الظهر .

{ الامامة }

وفي الامامة اشارة الي أن الانسان يجب عليه أن يقتدي بأهل الدين والعقلاء في كل اعمالهم وزيادة على هذا فان الامام نائب عن الخليفة الذي هو نائب عن النبي صلى الله عليه وسلم . فاذا اقتدي المسلمون بالامام فانما هم في الحقيقة مقتدون بالرسول ولذلك اشترط في الامام شروط يدل مجموعها على انه يجب أن يكون الامام عالما تقيا وربما كان سالما من كل العيوب التي تشين الرجال وتزري بهم .

ومثال ذلك اذا اجتمع المسلمون للصلاة اختاروا أكبرهم واصلحهم . واذا تساووا اختاروا أكبرهم سنا لانه يكون فطنا من جهة العقل والادراك .

ولما كان الامام ممتازاً لهذه الصفات الكاملة امرنا الشارع بأن لا يقتدى الحر بالعبد وهكذا من المميزات الاخري .

الزكاة

وفي الزكاة كنا نبين لهم ان الانسان اذا كان الواجب عليه أن يتفقد اقاربه وأهله ويواسيهم ويسأل عن الفقير فيهم فيساعده على المعاش ببذل الاموال والجاه فكذلك المسلمون جعلهم الدين كأهل العائلة الواحدة فيجب على الغني أن يجود على الفقير صونا لماء وجهه من ذل السؤال . ومن هذا فوائد جمة منها انها تقوى رابطة الجامعة الاسلامية لما يكون من المودة والمحبة المتبادلة بين المسلمين بسبب جود الغني على الفقير . ومنها انها سبب لحصول الأمن العام في البلاد فتمتنع السرقة لان أكثر وقوعها يكون من الفقراء الذين يندفعون اليها بعامل الفقر . ومنها نفي التحاسد الذي هو من اكبر عوامل فساد البلاد والعائلات . ومنها تطهير للمال فتحصل البركة وهي النماء والزيادة . ومنها الحث على الكرم وهو ملاك الفضائل والتنفير من البخل وهو اكبر الرذائل . ومنها الغلبة على النفس لانها تضن بالشيء العزيز لديها وهكذا من كل الوجوه التي تضمنها الزكاة

الصوم

هو الامساك عن الغذاء وما في حكمه مما يسد الرمق وعن الجماع . وكأن الله سبحانه وتعالى يشير الى ان اذلال النفس منعها عن أهم شيء مقوم للحياة وهو الغذاء لكي يبعدها عن الشر ويدربها على احتمال الحيلولة بينهما وبين شهواتها . وفيه اشارة ايضا الى ان الجوع القليل مفيد للصحة . لان الشهوة في الغالب لا تتفق الا عند امتلاء البطن واكتظاظها بالاكل . وفي هذا من الضرر ما لا يخفى .

وقد فرض الصوم في شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وفي الصوم في هـذا الشهر فوائد عظمى اذ يترك فيـه المسلمون ما كانوا يباشرونه من انواع المعاصي فيصلي تارك الصلاة ويحرم الكأس شارب الخمر ويخرج الصدقة البخيل ويطعم الطعام المسكين واليتيم والاسير وهلم جرا وهو احد اركان الاسلام الخمس

وقد اراد الشارع في الصوم حكمة اخرى · وهي حث المسلمين على أداء الامانة لاهلها . وكـذلك ان المسلم اذا حبس نفسه عن الطعام اطاعـة لامر الله تعالى كان ذلك بمنزلة ايداع الامانة. فاذا وجد المسلم في بيته منفردا وعنده الغذاء ومنع نفسه عن تناوله مع انه لو تناول منـه لا يعلم به احـدا كان ذلك بمنزلة حفظ الامانة في وقت لو لم يحفظها لما عرفه احد ولما اثبت عليه احد اختلاسها . وفي هذا ايضاً مخالفة للشيطان لانه اكثر وسوسة للانسان بفعل المنكر اذا اختلى المرء بنفسه وآمن من اطلاع احد عليه فانه في هذه الحالة يجتهد في الوسوسة والاغراء . فمخالفته مخالفة للنفس الامارة بالسوء فهذه الفضائل كلها يحث عليها الصوم ولا غني للمرء بالتحلي بها .

﴿ الحج ﴾

أما الحج فقد أفضنا فيـه الكلام أزيد من غـيره . وكـنا نرى القوم معجبين بفضيلة الحج أكثر من غيره . لاننا بينا لهـم أن الشارع لمـا وجد المسلمين الذين تجمعهـم جامعة الدين هم كافراد العائلة الواحدة كما قال تعـالى (انمـا المؤمنون اخوة) وكما قال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وكان من شأن أفراد العائلة أن يتزاوروا ويتعهد بعضهم بعضا

فرض الحج ليجتمع المسلمون من كل جنس في مكان واحد فيتعارف التركي بالصيني والهندي بالرومي والعربي بالافرنجي والمصري بالسوري والمغربي باليمني وهلم جرا . ويتبادلون فيما بينهم التعارف والتوادد ويسأل كل واحد الآخر عن أحوال بلاده وما فيها من انواع الحضارة والمدنية والتجارة والزراعة وغير ذلك . وبهذا يكون المسلمون كلهم كأنهم مجموعون في هذا المحل اذ كل واحد يمثل أمته وبلاده .

وفيما كنا نبين لهم ان الحج هو من أقوى الاسباب لتأييد الجامعة الاسلامية التي تتخوف منها اوربا . وكذلك كنا نشرح لهم الحكم المودعة في المناسك كالطواف والفداء والوقوف بعرفة والنزول من منى وغير ذلك.

وفيما عدا كل هذا كنا نتكلم باسهاب عن الرسالة زيادة عما تقدم وكيف بدأت الدعوة الاسلامية وكيف ان هذا الرسول الامي يجيء بكتاب هو جامع لكل سعادة الامم في الدنيا والدين

وأيضاً كنا نشرح لهم الآداب الدينية في التحية والسلام والمعاملات بين الناس . وما في الحدود الشرعية من القود كالقتل والجلد والقطع الى غير ذلك من النصائح والمواعظ التي جاء بها القرآن الكريم .

والذي اراه ان اليابانيين لو كانوا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة ما كانوا يحتاجون في اسلامهم الى مبشرين او مندوبين بل كانوا يعتنقون الدين الاسلامي بمجرد اطلاعهم على الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

﴿ السبب في انعقاد المؤتمر ﴾

كأن الحرب الروسية اليابانية كانت بمنزلة المرآة لدى اليابانيين نظروا

فيها الى هيآتهم الاجتماعيـة فرأوا فيها المجد والفخار وسائر الصفات التي تسمو بالرجال الى أعلى مراتب العزة والمنعة ولكنهم رأوا فيها شيأ لم يرضوه لانفسهم الا وهو الدين . رأوا معتقداتهـم الاصـلية التي اتبعوا فيها آباءهم واجدادهم ليست منطبقة على العقل فانفوا من أن يكونوا مع هـذا الفخر الباهر غير متدينين بدين يوافق رقيهم المادي والادبي

ولذلك اجتمع الكبراء والوزراء والعلماء منهم وتباحثوا في شأن اتخاذ دين من الاديان يقبله العقل ويكون دينها الرسمي فكان ممن حضر هـذا الاجتماع البارون (سوتانعو) وزير الداخلية سابقاً فوافق على هذا الاقتراح وقال ان أمة متمدنة مثلنا يجب عليها ان تتخذ لهـا ديناً مبنياً على قواعد صحيحة وأصول لا تدع في النفوس ريبا . ولكن ادع الى غـيري اختيار الطريقـة التي بهـا نصل الى المرغوب . فقال الكونت (كاتسورة) رئيس الوزراء سابقا ان الرأي عنـدي هو اننا نرسل الى الدول المتمدنة خطابات رسمية ليرسلوا الينا العلماء والفلاسفة من المتشرعين في دياناتهم ومتى وصلوا الينا عقدنا مؤتمراً دينيا تدور فيـه المناقشة والمباحثـة في فلسفة الاديان ويشرح كل أهل دين قواعده ومتى اهتـدينا الى الدين الصحيح اعتنقناه وجعلناه ديننا الرسمي . فصادق على هـذا الرأي الكونت (جرافوش) وصرح بأنه هو الرأي الذي كان يدور بخلده من قبل ان يفتح باب الكلام في هذا الموضوع

ومما قاله الكونت (جرافوش) ان رجلا من اهل الصين المسلمين يدعي (حسان نيوس) حضر الى اليابان في شهر اغسطس سنة ١٩٠٥ ومعه كتاب في الديانة الاسلامية ألفه وفيه بيانات كافيـة وادلة منصفة حتي اني

استحسنت هذه الديانة ولكن ظروف الاحوال حالت دون ان يسمح لهذا الرجل بنشر كتابه اذ الامة اليابانية لم تكن فى هذا الوقت بحثت عن دين تعتنقه . اما الآن وقد عزمتم على عقد مؤتمر ديني يكون جامعا لعلماء وفلاسفة كل دين فانى اوافق على هذا كل الموافقة كما اني اري ان الامة متى رأتكم شرعتم فى امر كهذا فهى تابعة لرأيكم .

وبما ان حرية الاديان مطلقة فكل انسان منا يعتنق الدين الذي يرتضيه وهذا هو رأيي الخصوصي في هذا الموضوع .

ولم يكد يفرغ المستر (جرافوش) من كلامه حتى أقر جميع من حضروا هذا الاجتماع على وجوب ارسال الخطابات الرسمية الي الدول لاجل انعقاد المؤتمر وفي مقدمة الذين صادقوا على هذا الاقتراح جناب الكونت (هيجيكان) والبارون (سون) والاول من اصدقاء الميكادو ويعول عليه في كل الامور الهامة ذات البال. والثاني هو وزير الماليه سابقا ولا يقل عنه في الثقة لدي الميكادو والاثنان قد بلغا في الآداب والحكمة ومعرفة ضروب السياسة مبلغا عظيما بين سائر اكابر الامة اليابانية . وبعد هذه المداولة والمفاوضة عرض الامر على جلالة الميكادو فوافقهم على ذلك واصدر امره الرسمي بارسال الخطابات الي الدول العظمى وكان في مقدمة الدول دولتنا العلية ودولة فرنسا وانكلترا فايطاليا فالولايات المتحدة فالمانيا ولما ابلغت هذه الدول امر الميكادو ارسلت الوفود من رؤساء كل مذهب ودين وان كانت كل هذه الدول عدا دولتنا العلية تجتمع في الدين المسيحي ولكن السبب في ابلاغ كل دولة على حدتها هو اختلافها في نفس الدين المسيحى من خصوص المذهب لان منهم كاثوليك

وارتوذكس وبروتوستنت .

ولما حضر الوفود قوبلوا بكل حفاوة واجلال واول جلسة عقدت من المؤتمر كانت في اول شهر مارس سنة ١٩٠٦

(الاعضاء المندوبون في المؤتمر)

لما حضر الاعضاء المندوبون من قبل دولهم لحضور المؤتمر على حسب رغبة الميكادو الذي اصدر امره الرسمي بانعقاده . استقبلوا أحسن استقبال واعد لهم محال للسكنى لائقة بكرامتهم وكرامة الدول المرسلة لهم . واعدلهم كل ما يلزم لكل وفد الا الاطعمة فانها لم تكن على مصاريف الحكومة اليابانية كغيره والسبب في هذا ليس البخل او الاقتصاد ولكن لعدم معرفة ما يوافق كل وفد من أنواع المآكل فلذلك جعلوا لهم حرية اختيار الاطعمة

ولم يكد يستقر قدم هؤلاء الوفود حتى حدثت ضجة كبري بين المبشرين المسيحيين واضطربت أفكارهم أيما اضطراب سواء في ذلك الكاثوليك منهم والارتوذكس والبروتستنت وقد اجتمع بعض اعضاء هذه الوفود من غير المسلمين بالمبشرين وسألوهم عن نتيجة أعمالهم من التبشير واخذوا فكرهم من جهة الدين الذي يميل اليه اليابانيون اكثر من سواه من الاديان الاخرى . فاجابهم المبشرون بما معناه

اننا لا يمكننا ان نجزم جزما حقيقيا او نرى رأيا صائبا من خصوص الدين الذي هو اكثر موافقة لليابانيين . وذلك أن منهم من اعتنق الدين المسيحي وبعد ان أوضحنا لهم قواعده وتعاليمه وعنينا في ذلك ما عانيناه من المشاق رأيناهم رفضوا كل ما القي اليها رفضا تاما ولم نعلم السبب الذي الجأهم

الى هذا الرفض حتى كنا نجتهد في ازالة ما علق باذهانهم .

ومنهم من دخل في الديانة المسيحية ومكث مدة يتعبد ثم خالفها واتبع شريعة (كونفوشيوس) ويدعون ان هذه الشريعة من مبادئها ان تؤلف بين القلوب على اننا اذا تصفحنا تعاليمها نجدها كلها خرافات واوهام باطلة واعتقادات فاسدة . ومهما كان فلا بد من وجود سبب دعاهم الي مخالفة الدين المسيحي بعد ان اعتنقوه .

ولو كان رفضهم مبنيا على ان الدين المسيحي غير مؤلف بين القلوب فهذه ايضا دعوى منقوضة لان الدين المسيحي الذي يأمر بالاحسان الى المسيء والصفح عنه لا يصح ان يقال فيه انه غير مؤلف بين القلوب .

واذا كانت دعواهم انه غير موافق للعقل فكان الواجب عليهم ان يعربوا عن ما في ضمائرهم من وجوه النقد والاعتراض الدال على صدق دعواهم . وبصرف النظر عن هذا كله فاننا نجد الذين يدينون بهذه الشريعة على تمام الوفاق والاتحاد مع من اعتنقوا الدين المسيحي . وقد يجوز بل هو الاقرب الى الصواب ان هذا التآلف والتوافق الموجود بين الطائفتين ناتج عن محبة الوطن الذي هم فيه سواسية على اختلاف المعتقدات وناهيك بتفاني اليابانيين في محبة وطنهم . واننا في حالة ذهول واندهاش وحيرة عظمى اولا – من عدم ثبات اليابانيين على حالة واحدة من جهة الدين الذي يعتنقونه ثانيا – من جهة الاتعاب والمشقات التي نعانيها في كل آن في سبيل ارشادهم الى الدين المسيحي . ثالثا – على كثرة المصاريف التي نصرفها في هذا السبيل وليست هذه المصاريف قاصرة على ما نحتاجه من مآكل ومشارب وملبس ومسكن : بل اننا نساعد الفقراء منهم الذين يدخلون في الدين المسيحي .

ومن المصائب اننا بعد ان نساعدهم ونصرف عليهم المصاريف الفادحة يتركون الديانة المسيحية.

وبما ان حرية الاديان في اليابان مستوفية كل مالها من شروط الحرية ولم نفلح نحن مع مكثنا هذه المدة الطويلة فكيف بنا لو كانت هذه الحرية مفقودة . والاغرب من هذا كله ان كثيراً من الذين اعتنينا بتربيتهم من ابناء اليابانيين وادخلناهم في مدارسنا وصرفنا عليهم المبالغ الطائلة في وجوه كثيرة غير المأكل والمشرب يخالفوننا تمام المخالفة. وهم ليسوا بالعدد القليل بل يعدون بالآلاف وبذلك تكون المصيبة مضاعفة مصيبة ارتدادهم عن الدين ومصيبة المصاريف الكثيرة ومصيبة تعبنا الذي ذهب ادراج الرياح فنحن الآن في حيرة ما بعدها حيرة .

فلما سمع الوفود من المبشرين هذه الاقوال وعرفوا ما لقوه من الشدائد مع عقم النتيجة صاروا في حيرة من أمرهم واعترتهم الدهشة وقالوا : اذا كان هؤلاء مكثوا مدة طويلة وصرفوا مبالغ طائلة وفتحوا مدارس عديدة والآن لم يحصلوا على ثمرة اتعابهم . فكيف بنا ونحن حديثو العهد بالقدوم الى اليابان : فأجابهم المبشرون بما مفاده انكم لا تدعوا القنوط يأخذ منكم مأخذه وداوموا على الثبات في جلسات المؤتمر ولا تضجروا ولا تتخذوا ما لقيناه من المتاعب والمصاعب باعثاً على احجامكم . فانكم ستحضرون المؤتمر الذي يؤلف من اعيان واشراف القوم . وربما اختاروا جميعهم ديننا واستحسنوه فاعتنقوه . واذا كان هذا فان أهل الطبقة الوسطى منهم يتبعونهم وبالطبع يتبعهم الفقراء . لانهم اذا رأوا الاكابر منهم والعقلاء فيهم فعلوا أمراً فهم

تابعون لهم . وحسبكم أن يكون لكم حزب من الاعيان الذين يدينون بالدين المسيحى . فان هـذا من أقوي الاسباب التي تكفل مسعا كم بالنجاح حيث تكونون قد خـدمتم دينكم ودولكم التى اختارتكم لهذه المهمة : فلم يقع قول المبشرين هذا لديهم موقع القبول والاستحسان وقالوا لهم : اذن انتم الآن لاتعرفون كيف تستمال قلوب عقلاء الامة وأمرائها مع انكم مكثتم هنا السنين العديدة ولم يكن في وسعكم أن تستميلوا قلوب البسطاء الذين لاقدرة لهم على المجادلة في أي مسئلة دينية . ومن هـذا يستدل أيضا على انكم جاهلون تمام الجهل بسياسة التبشير وجذب القلوب اليكم .

هذا والذي أراه ويراه كل عاقل منصف ان المبشرين لم يدخروا وسعا في استمالة قلوب اليابانيين لانهم بارعون في هذا السبيل فلا حق للمندوبين في وصفهم بالعجز ولكن اليابانيين أنفسهم عاملوهم على مقتضي المثل المشهور عندهم وهو (اكرم الغريب ولا تجهل نواياه)

﴿ الجلسة الاولى من المؤتمر ﴾

لما وصل الوفود المنتدبون من قبل الدول الى عاصمة اليابان صدر أمر الميكادو بانعقاد المؤتمر وكان الحاضرون فيه من الاعضاء وغيرهم يبلغ نحو المائة وعشرين رجلا من أكابر رجال الدولة اليابانية بين عالم فيلسوف ووزير خطير وعالم اجتماعي وعظيم سياسي وغير هؤلاء ممن لهم دراية تامة بسائر العلوم والفنون . وكانت الجلسة تحت رئاسة الميكادو نفسه .

واول ما فتحت الجلسة عرضت على الحضور القاعدة الاساسية لهذا المؤتمر : وهى ان الغرض من هذا المؤتمر هو البحث في اصول كل دين

ومذهب يريد أهله أن يعتنقه اليابانيون على شرط ان تكون كل الادلة التي يؤتى بها على صحة كل دين مطابقة للعقل والا فلاحاجة الى البحث فيه. وبعد ذلك قام احد الاعضاء المنتدبين من قبل دولتنا العلية وقال ما معناه: أما ما يرمى اليه المؤتمر من ان الواجب على اهل كل دين ومذهب أن يبينوا قواعد دينهم ومذهبهم بالادلة والبراهين المطابقة للعقل . فاقول اني كفيل بان كل برهان ودليل اقيمه على صحة الدين الاسلامي لا يخرج عن دائرة المعقولات سواء ذلك في الامور الكلية والجزئية من امور دين الاسلام اذ الشارع لم يضع قواعد الدين عبثا بل لا بد هناك من حكمة بالغة يريدها بالاوامر والنواهي وكل انواع المعاملات والعبادات . واني زعيم ايضاً بان اجيب عن كل اعتراض أو سؤال في شبهة ربما تعرض لاحد . بشرط أن يكون السؤال او الاعتراض في الامور المتعلقة بجوهر الدين .

*
* *

وعلى أثر قوله هذا قام الكونت (هيجيكان) وقال ما معناه : حيث ان جناب المندوب العثماني قال ما هو المقصود من عقد هذا المؤتمر واشترط على نفسه أن ياتي بالادلة والبراهين على صحة دين الاسلام وكذلك اشتراطه بان يجيب على الاعتراضات والاسئلة فيما لو عرضت شبهة من الشبه بما يطابق العقل فما عليه الآن الا أن يبدأ فيما تكفل به واشترطه على نفسه : ثم جلس وقام بعده المندوب العثماني وقال ما ملخصه من الخطبة التي القاها باللغة الفرنسوية . اقتضت حكمة الله تعالى أيها الافاضل انه عند ما يرسل الرسل الى الامم التي تعبد ما سواه انه يرسلهم بتعاليم ومعجزات مناسبة لاحوال واطوار هذه الامم لتكون الحجة ابلغ والبرهان اقوى ولذلك اذا

اطلعنا على سيرة كل نبي وعلى كل ما ايده به الله من المعجزات نجد ان شريعة سيدنا عيسى عليه السلام ومعجزاته خلاف شريعة سيدنا موسى ومعجزاته وهلم جرا

وما ذلك الا لان امة كل نبي تغاير الاخري في المعتقدات والعوائد كما تقدم . ولاجل بيان هذا الاجمال اقول : لما ارسل الله سبحانه وتعالى سيدنا موسي الى فرعون وهو احد ملوك الفراعنة الذين حكموا مصر كان هذا الطاغية قد زاد في طغيانه الى ان ادعي الربوبية في الارض وطمحت به نفسه الى ان يصعد الى اسباب السماء . وبلغت به درجة الكفر الى ان قال للمصريين (أنا ربكم الأعلى) كما حكى الله ذلك عنه وبلغت به درجة الغرور بالملك الى ان قال (أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتى) فلما جاء موسي عليه السلام يدعوه الى الايمان بالله وحده لا شريك له كبر عليه الامر فلم يؤمن. فايد الله نبيه ورسوله موسى بالمعجزات وهي الامور الخارقة للعادة وليس في قدرة البشر أن ياتوا بمثلها . فمن هذه الآيات والمعجزات ارساله تعالى القمل والضفادع التي ملأت بقاع الارض ومنازل القوم حتى ضاقوا بها ذرعا ولم يقدر الههم فرعون على وقاية نفسه ووقايتهم منها وكذلك صيرورة ماء البحر والآبار الى دماء حتي كادوا يهلكون عطشا . وكل ذلك لاجل ان يظهر الله سبحانه وتعالى لفرعون وجنوده انهم ضعفاء لا يملكون من الامر شيئاً وأن فرعون لو كان الها حقيقة لما عجز عن دفع هذه المصائب التي حلت به وبقومه .

ولما كان السحر في ذلك العصر فاشيا وكان العلماء منهم بارعين قالوا ان موسي ساحر فحاجهم موسي وطلب منهم المناظرة ليبرهن لهم انه نبي مرسل

لا ساحر . فأمر فرعون بعقد مؤتمر بحضره كل السحرة الماهرين في علم السحر وفعلا أرسل في المدائن حاشرين أن ائتونى بكل ساحر عليم . وكان موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحي : فلما جاء اليوم الموعود وحضر السحرة وكان أغلبهم من مدينة (عين شمس) بمصر أمرهم فرعون بان يعملوا عملهم فألقوا سحرهم وهو عصي وحبال كانت معهم فصارت أفاعي ملأت الارض حتي صار المنظر مريعا من تلك الحيات . فأوحي الله سبحانه وتعالى الى نبيه موسي بان يلقي العصا فألقاها فاذا هي ثعبان التقف كل الحيات التي القاها السحرة ففزع فرعون وجنوده. أما السحرة فانهم اعتقدوا ان فعل موسي خارج عن طاقة كل ساحر وانه لا بد وان يكون نبيا صادقاً فآمنوا به وصدقوه وخروا لله ساجدين وقالوا آمنا برب موسى وهرون .

ولكن فرعون مع وضوح الدليل على عجز السحرة أخذته العزة بالاثم فلم يؤمن وقال للسحرة انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل اذ آمنتم به قبل أن آذن لكم فلم يرجعوا عن اعتقادهم في صدق نبوة موسى وصبروا على أذى فرعون لما تبين لهم من الدليل القاطع والحجة الدامغة اذ العقل لا يقبل أن يعتقد أن مافعله موسي من قبيل السحر حيث افرغ السحرة جهدهم في القاء السحر حتي لم يبق باب لديهم الا طرقوه . ولما لم يجد فرعون من طريقة بها يدحض حجة موسي اعتمد على قوته فأمر الله سيدنا موسي أن يرحل من ارض مصر هو وقومه الذين آمنوا معه من بني اسرائيل فرحل فتبعه فرعون حتي اذا قارب اللحوق به على ساحل البحر الاحمر أمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق ومر به موسي وقومه فاتبعهم فرعون وقومه وبعد ذلك

نجا موسي ومن معه أما فرعون فانه أدركه الغرق هو وقومه . ولما أحس فرعون بالهلاك قال اني آمنت أنه لااله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فلم يقبل منه هذا الايمان لانه لولا خوفه من الغرق لم يقل هذه الجملة ولو كان مؤمنا حقا لكان صدق موسي من قبل لما أتاه بالآيات الاخري السابقة .

وكذلك فعل موسي مع بني اسرائيل بعد هذه الحادثة من المعجزات التي يقبلها العقل والتي هي مناسبة لحالة قومه فانهم ارتدوا بعد الايمان واخذوا ينتقلون من حالة الكفر الى حالة الايمان وكان موسي يظهر لهم من الآيات ماليس في طاقة البشر أن يأتوا بمثله .

ومثال ذلك أنه لما استسقاه قومه قال الله له اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفلق منه اثنتا عشرة عينا تجري منها المياه . هذه ايها الافاضل سيرة موسي عليه السلام مع فرعون والذين اتبعوه . فترون منها أن الدلائل والمعجزات التي اتي بها كانت مطابقة لحالة القوم في ذلك العصر . ولما ارسل الله سبحانه وتعالى عيسي بن مريم عليه السلام كان فن الطب في ذلك العصر راقيا جدا فايده الله بالمعجزات التي يعجز عنها أكابر الاطباء فكان يبرئ الاكمه والابرص والاعمى باذن الله تعالى وكذلك كان يحي الموتى وهكذا كان إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام الى الامم السابقة . ولما ارسل الله تعالى نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام ايده بمعجزات باهرات وآيات بينات وأكبر هذه الآيات واوضح هذه البراهين الدالة على صدقه هو القرآن الذي تحدي به فصحاء العرب لانهم كانوا في ذلك العصر على جانب عظيم من الفصاحة والبلاغة . فلما عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن قالوا انه قول شاعر . فقال لهم ان كان هذا قول شاعر وفيكم من يقول الشعر

فأتوا بسورة من مثله او أى آية من آياته فعجزوا جميعا .

وكذلك كانت المعجزة في نفس النبي عليه الصلاة والسلام اذ كان أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا مع كونه أمّيا لا يعرف القراءة ولا الكتابة فجاءهم بالشريعة الاسلامية وقرر قواعدها وبين احولها . وكان يعلم العرب من امور الدين مالم يقدر أن يأتي بمثله أكبر العلماء المتشرعين من يوم أن خلق الله العالم الى يومنا هذا .

فكون هذه المعجزات وهذه الآيات وهذا الدين الذي سأبين لكم قواعده يأتي بهما رجل أمي لم يعرف القراءة ولا الكتابة مع ما كان عليه العرب من الفصاحة والبلاغة لدليل على أنه النبي الصادق وأن دينه هو الدين الصحيح الذي يقبله العقل كل القبول : كل ما تقدم يا حضرات الافاضل أتيت به استدلالا على أن صاحب الشريعة الاسلامية وهو سيدنا محمد بن عبد الله نبي حقا ورسول صدقا .

جاءنا هذا النبي عليه السلام بأصل هذا الدين وهو الشهادة بان الله واحد في ذاته وفي صفاته لاشريك له في ملكه وانه قادر على كل شيء وانه ليس له شكل مخصوص محسوس بحاسة البصر حتي يحويه مكان بل هو بخلاف كل ما يتصوره الذهن وأنه لم يلد ولم يولد .

أما كونه واحدا في ذاته وفي صفاته فهذه قضية مقبولة عقلا لانه لو كان في هذا الكون آلهة متعددة لفسدت الارض لانه لو فرض ذلك لحصل الخلاف فيما بينهم. والقاعدة المعروفة عقلا أن تعدد الرؤساء في مصلحة واحدة مخل بها مفسد لها . اذ ربما تكون ارادة هذا الاله اقتضت أن يخلق خلقا لم يرد خلقه الاله الآخر ولا يخفي مافي هذا من المنازعات وتضارب السلطات

وهذه أيضا يتناول الشركة اذلو كان للاله شريك لفسدت الحال ايضا لانه لو اراد مثلا احد الشريكين أن يجعل المحيط الهندى ارضا يابسة والثاني اقتضت رغبته أن يبقي على ما هوعليه لوقع الخلاف بينهما. وعلى هذا إما أن يتفقا وإما أن يختلفا . فان اتفقا فلا بد من وقوع أحد امرين إما جعل البحر يابسا . وإما بقاؤه على ماهو عليه . وعلي كلا الامرين فالذي ينفذ مرغوبه دون الاخر يوصف بالقدرة ويوصف الآخر بالضعف لان العدول عن رغبته الى انفاذ رغبة الآخر يعد نقصا في قدرة الثاني . وهذا لا يجوز في حق الاله . وان اختلفا فلا بد من غلبة احدهما وهو أيضا داخل فيما تقدم من وصف احدهما بالعجز والضعف أمام الآخر القوى . وهذا لا يجوز ايضا في حق الاله .

فنتج من هذا كله أن الاله لابد وأن يكون واحدا وانه لو كان له شركاء لخرب الكون ولم يدم يوما واحدا عامرا .

واما استحالة كونه معينا محسوساً بحاسة البصر فهذا أيضا لا يقبله العقل لانه اذا كان كذلك يكون قد تحيزته الجهة ومتي تحيزته جهة مخصوصة تكون قد خلت منه باقى الجهات الأخري وهذا ينافي العلم بكل شيء في الوجود اذ يكون علمه منحصراً في الجهة التى هو فيها وهذا لا يكون من شأن الاله الذي لا يخفى عليه شئ في السماء أوالارض : ورب قائل يقول قد يجوز ان يكون له علم بكل شيء في الجهات التى لم يكن موجوداً فيها . فردا على هذه الدعوى نقول وما هو الداعي اذن لوجوده في جهة مخصوصة دون الاخرى مع ان الكون كله ملك له يتصرف فيه كيف يشاء : وان قيل انه ينتقل من مكان الى آخر نقول أيضا وما هو

الداعي لهذا التنقل وهذه الحركة . ان كان لاجل تمهد الخلق فهذا أيضا باطل لان التنقل وتمهد الخلق يقضي بانه عاجز عن تمهد خلقه في وقت واحد وهذا أيضا من دلائل استحالة وصف الاله بالقدرة . واما استحالة كونه والدآ أو مولودا فهذا لانه لو كان كذلك لكان مثل الحوادث. وعلى هذا يرد الاعتراض الآتي .

اذا كان الاله والدا فهو يقضي بانه كان مولودا قبل أن يكون والدا وبصرف النظر عن هذا الاعتراض فانه ان كان والدا يكون شبيها بخالقه ومتى كان الاله شبيها بخالقه بطل كونه الها لما يقتضيه معنى التنزيه عن التشبيه بالمخلوقات شأن الاله الحقيق : واذا كان مولودا يرد أيضا الاعتراض الآتي

اذا كان الامر كذلك ووالده إله قبله فهذا يقضي بالدور والتسلسل اذهو يقضي بان والد الاله اذن كان مولودا لوالد آخر وهذا الوالد يكون الهآ أيضا وهلم جرا . وهذا لا يقبله العقل البتة .

فنتج من كل هذا ان الاله لابد وان يكون واحدا في ذاته وصفاته وانه لامكان له يحويه وأنه لم يكن والدا ولا مولودا .

***

هذا هو ملخص الخطبة التي القاها المندوب العثماني . ولولا خشية الاطالة لذكرتها حرفيا. ولما تلا حضرته الخطبة كان الكل ملقيا اليه سمعه مصغيا الى مايقوله . وفي أثناء ذلك كانت علامات الدهشة والاستغراب والاعجاب به ظاهرة من ملاحظات العيون . اذ كل واحد كان يلقي بلحظاته الى الآخرين . شأن المندهش المستغرب . ولكن هيبة الموقف

جعلت القوم كأن على رؤسهم الطير .

* * *

وبعد ذلك قام أحد المندوبين الامريكان وقال مامعناه بالاختصار .
قام حضرة المندوب المسلم وقال في ضمن كلامه ان موسي ضرب البحر فانفلق الخ . وضرب موسي البحر بالعصا وانشقاقه له هذا أمر غير مسلم . لان البحر لا يشق لانسان مهما كانت درجته . وانما كون موسى وقومه اجتازوا البحر ونجوا وفرعون اجتازه فغرق . فهذا كما ورد في التاريخ المعول عليه ان البحر كان في حالة المد والجزر . واجتياز كل منهما كان في حالة الجزر ولكنهما لما توسطا في البحر حصل المد فغرق فرعون وقومه . وموسي نجا من الغرق هو وقومه لانه لم يدركه المد وزيادة على ذلك كان متقدما أمام فرعون: ومكث المندوب الامريكاني يتكلم بنحو هذا الكلام . ولما انتهى من سفسطته قام المندوب العثماني مفندا أقواله بما معناه بالاختصار .

ليس للمعترض وجه في الاعتراض لاني قلت أولا أن انفلاق البحر لسيدنا موسي هو معجزة ولا شك أن المعجزة أمر خارق للعادة المألوفة . وذلك أن موسي لما ألقى العصا وصارت ثعبانا والتقفت كل مافعله السحرة لم يصدق قوم وقالوا ان هذا أيضا من قبيل السحر فأمره الله بالمسير نحو البحر وضربه بالعصا ليظهر لهم معجزة أقوى من الاولى . وأيضا قد كان أخبر سيدنا موسي قومه بانه ستظهر معجزة أخري على يديه والمراد بها انفلاق البحر .

وعلى فرض انه حصل مد وجزر في البحر فبحر مثل البحر الاحمر مه كانت درجة الجزر فيه فلا يمكن لاي احد أن يمر منه لبعد عمقه اللهم الا اذا كان سباحة . ولو كان سباحة فغير ممكن ذلك أيضا لانه كان فيمن معه

النساء والاطفال والامتعة والجمال والدواب . فمن المحال ان يمر الكل سالمين .

وبصرف النظر عن هذا و هذا فلماذا حصل المد والجزر في هذا اليوم المخصوص والساعة والدقيقة المخصوصتين .

لا شك ان الجواب عن هذا معروف بالبداهة لدى كل ذي مسكة من العقل .

ولما انتهى المندوب العثماني من رد الاعتراضات أبدى كل الحضور استحسانهم لما ألقاه واعجبوا به كثيرا .

أما المعترض فانه صار كأنه ألجم بلجام من حديد حيث لم يجد في كلام المندوب وجهاً للاعتراض مرة ثانية . وبعد ذلك قام المندوب الثاني الامريكاني وتكلم في اصول الديانة المسيحية ثم تبعه آخر ايطالى فاخر الماني والكل كانوا متفقين في الموضوع الذي تكلموا فيه ولولا أن المقام لا يسمح بسرد ما قالوه تفصيلا لكنت اتيت به كذلك . ولكني أرجئ هذا الى الجزء الثاني من هذه الرحلة . اذ الغرض الوحيد أن أذكر اعمال الجلسات ملخصة تلخيصا نظرا لتشوف القراء الى الاحاطة بها اجمالا بادئ بدء .

***

هذا الذي ذكرته هو خلاصة ما دار البحث فيه في الجلسة الاولى من المؤتمر . وبعد أن انتهى المندوبون من مباحثاتهم أرفضت الجلسة بعد أن حدد لها ميعاد بعد يومين من تاريخ انعقاد الجلسة الاولى .

هذا وقد صارت خطبة المندوب العثماني حديث القوم في النوادي العمومية والخصوصية وبلغ إعجاب القوم بها اتما مبلغ معجبين بما أثبته فيها من

المباحث التاريخية الدقيقة .

وبينما القوم في فرح وسرور اذ كان المرسلون المسيحيون في كدر زائد لانهم ما كانوا يظنون أن اليابانيين يحفلون بالديانة الاسلامية لحد هذا القدر . ولكن الحق غالب على أمره مهما حاول ابطاله المبطلون .

﴿ الجلسة الثانية من المؤتمر ﴾

في اليوم التالى لليوم الذى عقدت فيه الجلسة الاولى للمؤتمر اجتمع جميع الاعضاء مرة أخرى ولما انتظم عقد الجمع قام الكونت (هيجيكان) خطيبا وقال مامعناه : انا نرجو منكم أيها الاعضاء الافاضل ان لاتدخلوا بنا في مضائق يعسر علينا الخروج منها وإلا ضاعت الفائدة المقصودة من عقد هذا المؤتمر . اذ الغرض الوحيد هو الوقوف عند دين تتخذه الدين الرسمى للحكومة اليابانية . واني أرى كما يري غيري ممن حضروا هذا الاجتماع من الامة اليابانية ان الوقت أضيق من ان يسع كل هذا التطويل في المناقشات. ثم جلس وقام بعده المندوب العثماني وبدأ يشرح بأوضح عبارة ويبين الحكم والآداب التى يرمي اليها الدين الاسلامى في كل تعاليمه من سنن وفرائض وغير ذلك من المعتقدات الاسلامية وأفاض في هذا الموضوع حتي استوفي المقام نصيبه من الايضاح والتبيين .ولا داعى لذكر مافاه به الآن حيث ان الوقت لا يساعد على ذلك . ثم قام بعده المندوبون الايطاليون فالالمانيون وواحد أمريكاني وكل واحد منهم خطب بما في وسعه في أصول وقواعد الديانة المسيحية . وبعد أن انتهي كل خطيب من كلامه جاء دور المناقشات فتناقش الاعضاء فيما بينهم.واني وان كنت قددونت أغلب المواضع التى دارت

فيها المناقشات فاني أرى من اللائق عدم ذكرها كما هي خشية الاطالة أولا . وخشية أن يتهمني بعض المسيحيين بالتعصب الديني ثانيا الامر الذي أتجنبه . وان لم يكن حذرا من هذه التهمة فلأجل ان في هذا الوقت الحالي كثر القيل والقال في موضوع التعصب الذي أتهمت أوربا به المسلمين ظلما وعدوانا . وزورا وبهتانا .

***

هذا ولما انتهى الاعضاء المنتدبون من المناظرة والمناقشة قام جناب الكونت (كاتسورة) وقال مامفاده : أيها السادة المنتدبون الافاضل اننا الآن قد وقفنا على الغرض المقصود لنا ولا نري حاجة الى إعادة البحث والمناقشات . بيد أن الغرض الذي اشرت اليه متفرق بيننا فمنا من استحسن الدين الاسلامي واعتنقه . ومنا من استحسن الدين المسيحي واعتنقه . ومنا من فضل شريعة بوذا . ومنا من بقي على شريعة (كونفوشيوس) وغير خاف على حضراتكم أن حرية الاديان مطلقة في بلادنا فكل فرد من اليابانيين يعتنق الدين الذي يختاره بلا اكراه ولا اجبار كما أنه لا حرج عليه اذا اعتنق دينا ثم عدل عنه الى غيره . واني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جلالة امبرطورنا المعظم وسائر إخواني الذين حضروا هذا المجتمع أقدم لحضراتكم جميل تشكراتنا وممنونيتنا على حسن عنايتكم بالقيام بما عهد اليكم . وكما اني أخص كل فرد منكم بهذا الشكر وهذا الثناء كذلك ارجو ان تبلغوا بالنيابة عن جلالة الميكادو وسائر الامة اليابانية الى ملوككم الفخام الذين اختاروكم لهذه المهمة كل عبارات الثناء والاطراء والولاء الخالص : ثم ان ارادة جلالة الامبراطور اقتضت ان يرفض المؤتمر وقد اكتفينا الآن بما سمعناه من

الخطباء . واذا رأي جلالتـه ان يعاد انعقاد المؤتمر مرة اخري فعلنا كما فعلنا في هذه المرة وطلبنا رسميا من الدول والحكومات ارسال مندوبين . واني أعلن ارفضاض المؤتمر باسم جلالة الميكادو كما أعلن افتتاحه باسم جلالته اولا : وعلى هذا انتهت مهمة المندوبين ولم يعقد المؤتمر بعدها الى هذا الحين .

لماذا لم يسلم الميكادو

ان السبب في عدم اسلام جلالة (متسوهيتو) امبراطور اليابان ليس اعتقاده في عدم موافقة الدين الاسلامي للعقل لان هذا يمكن أن يقال معه لو صح أنه كان اعتنق دينا غيره . لاسيما وان اعتبار الدين الاسلامي عنده وعند باقي رجال المؤتمر من اليابانيين اعتبار أكسبه صفة الامتياز عن باقي المذاهب الاخري التي دار البحث والمناقشة فيها في جلسات المؤتمر . لان الادلة والبراهين التى اتى بها المندوبون العثمانيون كانت كلها موافقة للعقل كل الموافقة .

ولكن هذا الامبراطور بعيد النظر في الامور السياسية ومن بعد نظره فيها هو انه يراعى حال الامة فلما لم يجدها وافقت على دين تتخده كي يكون الدين الرسمي لها . لم يصرح بالدين الذي يعتنقه . اذ ربما صرح مثلا بانه اختار الدين الاسلامي ولكن الامة لم توافقه على ذلك . فهنا يكون خلاف بينه وبينها وهو مالا يرضاه ولا يسلم به مطلقا : وهنا يلاحظ أن خضوع الامة اليابانية للميكادو ليس منشؤه الرهبة والخوف بل الرغبة والحب . فاذا فعل الميكادو مالا ينطبق على رغبات رعيته انتقلت من يده قلوبهم وقالت ألسنتهم ماشاءت قلوبهم . والامة اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل

ويلاحظ أيضا أن كل ما يبدو منها لو حصل مالا ترغبه لابد وان يكون صادرا عن اجماع واتفاق كلمة . وأمة هذه درجتها في الترقي لا يمكن ان تنفصم عرى اتحادها وائتلافها حيال أي أمر من الامور .

فالميكادو رجل عاقل يحكم أمة عاقلة تربت على الفضيلة ومعرفة مالها وما عليها وما يجب ان تفعله وما يجب ان تجتنبه في كل ظرف من ظروف الاحوال .

والذي يقارن بين الذين اعتنقوا الدين الاسلامي من اليابانيين والذين تمذهبوا بالمذاهب الاخرى منهم مع اعتبار المدة والعدد يجزم بانه لا يمضي عقد من قرن الا ويكون المسلمون اليابانيون يعدون بالملايين . لان المبشرين من أهل تلك المذاهب وفدوا الى اليابان من منذ اعوام والذين تمذهبوا بمذاهبهم لا يتجاوز عددهم مليونين تقريبا .

وأما الذين وفدوا وبشروا بالدين الاسلامي فهم لم يفدوا الا منذ سنة ولم يمكثوا خمسة اشهر واسلم على يدهم نحو الاثنى عشر الفا واكثر من نصفهم اسلم على يدنا في مدة لا تتجاوز الثلاثين يوما . فبهذه المقارنة يمكن ان يقال ان الدين الاسلامي يكون دين اليابان الرسمي في المستقبل .

﴿ ماذا يترتب على اسلام اليابان ﴾

ذهب الناس مذاهب شتى في الحكم على النتيجة التى تكون من اسلام الامة اليابانية . فمنهم من يقول ان اسلام هذه الامة يحدث انقلابا هائلا في كيان العالم الاسلامي بأجمعه وهذا الانقلاب لابد من أن يؤثر تأثيرا سيئاً في الاسلام . ولا حاجة بنا الى تفصيل العلل التى استند عليها أهل هذا

الرأى . ومنهم من يقول ان اسلام اليابان يعيد ماضى مجد هذا الدين الذي طوته الايام والليالي.ويحيي ما اندثر من معالم عزه وتمكينه ويغرس في نفوس الامم جماء هيبة الاسلام كما كان في تلك العصور السالفة . ويعللون هذا القول بان الامة اليابانية هي الدولة الشرقية التي انفردت بسمو المنزلة وعظم الجاه والمهابة في نظر كل الدول والحكومات في الشرق والغرب فاذا أسلمت فلا بد من أن ينضم اليها مسلمو الصين والهند أيضا لداعي الجوار فيتألف من هذه الامم الثلاث قوة اسلامية كبري في البر والبحر وبذلك يهتز العالم الاسلامي بأجمعه ويكون الميكادو في هذا الحين كصلاح الدين الايوبى ومن ماثله من ملوك الاندلس الذين أيدوا مركز الخلافة ولم يؤثر استقلالهم فيها تأثيرا يذكر . وتكون كل الممالك الاسلامية المستقلة متحدة الكلمة باسم الدين وان كانت لم تجتمع تحت جامعة الحكم وتكون طوكيو قبلة مسلمي الشرق الاقصى كما أن دار السعادة قبلة مسلمى الشرق الادني .

***

ولقد حادثت كثيرا ممن لقيتهم من أهل الصين والهند في هذا الصدد. فكل قال بهذا القول ولم يقل بما اعتقده الفريق الاول .

وأكبر دليل علي أن اسلام اليابان لاخطر فيه بل فيه كل الخير للجامعة الاسلامية هو

اولا ـ ان الامة اليابانية انما بلغت هذه الدرجة من الاستعداد للاخذ باسباب العلو والرفعة .

ثانيا ـ ان الدين الوحيد الذى تضمنت أحكامه من العبادات والمعاملات كل مابه سعادة الامم على تباين الاجناس والعوائد فهو بلاريب يزيد في

استمداد القوم الى الرقي المادى والادبي . والذي يؤيد هذا انهم يبحثون عن الدين الموافق للعقل . فهم اذا قاموا بالشعائر الدينية لا يقومون بها بصفتها عبادات او اوامر ونواهي فقط بل ينظرون الى الحكم والمقاصد المودعة في هذه العبادات والمعاملات ويعملون بها كما يودونها بصفتها شعائر دينية .

فاذا حج منهم اناس كثيرون مثلا واجتمعوا في تلك الاماكن المقدسة بغيرهم من المسلمين سألوا كل اهل قطر عن احوالهم الاجتماعية وعن كل باقي بلادهم من اسباب الحضارة وغير ذلك مما يزيدهم معرفة باحوال اخوانهم المسلمين . وفي هذا من النفع العام ما لا يحصيه قلم وينفد دونه مداد المحابر .

وقس على هذا كل ما يتعلق بتأييد الجامعة الاسلامية . فاذا كانت اوربا تتخوف من اسلام الامة اليابانية فما بالك اذا انضم اليها الصين والهند وتصبح قوة عظمي في الشرق الاقصى تقف أمام الغرب . لاشك ان اوربا تكون في هذه الحالة كالريشة المعلقة في الفضاء من هذا الخطر الاصفر التي تعبر عنه بذلك . خصوصا وأنه في هذا العهد الاخير ظهر في عالم الوجود شيء يقال له الجامعة الاسلامية التي لاتخلو افكار الساسة من الجولان في امرها وكل يوم نسمع في الصحف شيئا كثيرا عن الكلام فيها.

هذا وان المسلم الغيور على دينه المتغالي في سبيل اعزاز جامعته يود بكل قلبه ان يصبح الدين الاسلامي هو الدين الرسمي لهذه الامة الشرقية الحية ليعتز بها جانب الدين وتقوي بها شوكة المسلمين وماذلك على الله بعزيز .

منزلة مولانا السلطان فى اليابان

ان المركز لذي اصبح فيه جلالة الخليفة الاعظم ازاء المشاكل السياسية التي تولدها اوربا من حين لآخر لهو المركز الذي لا يقف فيه الا من وهب من الحكمة ومن السياسة ما يعد من خوارق العادات : ومن اطلع على ماجريات السياسة الحميدية في الظروف الحاضرة وفيما مضي من عهد توليته الخلافة لا يعد هذا القول منا مبالغة وغاوا عن كنه الحقيقة . ولسنا الان بصدد شرح الحوادث التاريخية السياسية التي ظهرت فيها آثار سياسته الفاضلة . فان هذا شيء ملئت به بطون الدفاتر واسفار المؤرخين .

وانما الغرض الوحيد هو ان نذكر شهادات اساطين السياسة الذين حكموا الامم واسندت اليهم مراكز سامية من الحكومات الدستورية وغيرها ليقف الجاهل بالتاريخ على الحقيقة التي حجبتها عنه سحب الاضاليل والاراجيف التي يبديها كل يوم اعداء الدولة والملة ويزداد العارف بها يقينا على يقين ولسنا أيضا بهذا الاعتبار نسرد كل الجمل المأثورة التى فاه بها أولئك الاساطين ونقلتها الصحف والرواة الى سائر انحاء المعمورة كقول بسمرك داهية الالمان عند احتضاره (وددت لو مدلى من حياتي لاقف على نهاية ما ترمى اليه سياسة سلطان آل عثمان) بل نذكر هنا شهادة امبراطور اليابان وهى في شرعة الانصاف توازى الف شهادة كشهادة بسمرك وغيره من أكابر رجال السياسة الغربيين وتقديرنا شهادة الميكادو هذا التقدير مسبب عن اعتبارات ثلاثة . اولا كونها شهادة سلطان لم تحتك مصالح دولته بمصالح الدولة العلية حتى انه للان لم توجد سفارة في طوكيو للدولة العلية لانه اذا كان الميكادو بمجرد اطلاعه على مقدار حكمة جلالة السلطان

بواسطة الاخبار التي تنقل والعلم المجرد عن احتكاك المصاحتين فما بالك اذا كانت هناك علاقات بين عرش الخلافة الاسلامية وعرش دولة اليابان.

ثانيا ان الميكادو ملك شرقي وهو ولا شك أكثر اعتناء بمعرفة احوال الممالك الشرقيــة منــه بالممالك الغربية . فاذا حكم على ملك من ملوك الشرق بصفة من الصفات فلا بد وأن يكون حكمه نتيجة قضية صحيحة المقدمات .

***

ثالثا ومع هذا الاعتناء فان اعتناءه باستطلاع أحوال الدولة العلية حائز صفة الامتياز بالزيادة لان جلالة الخليفة الاعظم هو أكبر سلطان شرقي لانه ممثل للامة الاسلامية بأجمعها ولانه الرابع والثلاثون من ملوك العائلة العثمانية الذين كانوا ولم يزالوا سياج الاسلام المنيع وحصنه الرفيع .

***

هــذا ولما دارت رحي الحرب الروسية اليابانية بعث جلالة مولانا السلطان سعادة برتو باشا أحــد قواد الجيش العثماني مندوبا حربيا كما تفعل باقي الدول الكبري في مثل هذه الحرب . فلما وفد برتو باشا الى اليابان صدر أمر جــلالة الميكادو بان يحتفــل به احتفالا عسكريا جامعا لكل ضروب الحفاوة والاجلال ثم دعاه الى مأدبة خصوصيــة به وأظهر له مزيد العناية وهو على مائدته ولاطفه ملاطفة فائقة ورحب به ترحيبا بالغا نهاية الشرف وحادثه في شؤون عديدة بعبارة تدل على جليل احترامه لجلالة الخليفة . ومما قاله في حديثه مامعناه : انني أحتفل بك الآن بصفتك ممثلا للخليفة الاسلامي الذي انا أجله كل الاجلال وأشهد له بسمو المدارك وبعد مراميه السياسية الامر الذي يجعل الشرق يفخر بهذا السلطان : فاذا وضع السياسي المحنــك

هـذه الحادثة أمامه عرف منها مقـدار ماتؤثره الملائق الودية بين أمراء الشرق وملوكه بصرف النظر عن الاديان والعـقائد والعوائد . لانه كفة الميزان الاخرى عن هذا هو الوجود الحي .

وليس الخطر الاصفر الذي تتوقعه اوربامن حين لآخر الا نتيجة مثل هذه المجاملات الودية بين ملوك الشرق .

ونعرف أيضا ان أول خطوة يخطوها الشرق في هـذ السبيل هو اتصال أسباب المودة بين دولة اليابان والدولة العلية لانهما الدولتان اللتان من شأنهما ان تكونا قابضتين على الشرق . هذه في الشرق الادنى . وتلك في الشرق الاقصى . لاسيما اذا اعتنق الميكادو دين الاسـلام الذى استحسنه في جلسات المؤتمر كما قدمنا . فان الحالة تكون كما كانت في عصر صـلاح الدين الايوبى حذوك النعل بالنعل .

وهـذه الفكرة لم تغب عن الفاتيكان البابوى . أو بعبارة أخرى عن قبلة المذهب الكاثوليكي . فان البابا بيوس الثالث عشر لاحظ هذه الملاحظة وتوقع اليوم الذى فيـه يعتنق الميكادو دين الاسلام . فيقف أمام النصرانية موقف المناظر . فلما احتفل الميكادو بالمندوب العثماني ذلك الاحتفال الشائق وشافهه بتلك العبارات الرقيقة بعث هو أيضا بمندوب من قبله يدعى المسيو (أوكونال) وزوده بما يقوله للميكادو . فلما حضر وقابله مقابلة رسمية قال له المندوب مامعناه : ان قداسة البابا يشعر نحوكم ونحو أمتكم بشعور الانعطاف وهو يعجب كثيرا بهمة اليابانيين وشهامتهم وحبهم لوطنهم ويروقه كثيرا ماوصلت اليه من المدنية ويخص جلالتكم بمزيد الانعطاف وانه يرغب كثيرا في أن يؤكد الملائق الودية بين الفاتيكان وبين عرش دولة اليابان بتقـديم

خدمة دينية : وغير هـذا الـكلام مما يناسبه مقام من يخطب الود من آخر وكأن جلالة الميكادو تذكر المثل الياباني عندهم وهو (أكرم الغريب ولا تجهل نواياه) فشكر للمندوب انعطاف البابا وجامله بما يليق بان يجامل به من يظهر الود بغير اخلاص ولم يطالب ادنى شيء مما قدم البابا نفسه لادائه .

ومثل الميكادو لايخفى عليه نوايا أوربا في الشرق ولا يصدق المجاملات التي تظهرها ملوك أوربا في الشرق. وهو وان كان حالف دولة انكلترا فان مرجع هـذا الى السياسة فقط . اذ هى في كثير من الاوضاع تقضى بان يحالف ملك شرقي آخر غربيا .

وهـذا معني سياسي دقيق لايخفى على البصير وهو ان مركز البابا في أوربا سياسى كما انه ديني . لان تقرب رئيس ديني من رئيس سياسي يعلم منه أن الرئيس الديني له حظ فى السياسة . والا لما وجدت المناسبة الرابطة لتحالف اثنين يختلفان في الامر الذي يدعو في الغالب الى التحالف وهو اتحاد جهة العلاقة .

والخلاصة من هذا كله ان جلالة الخليفة الاعظم له منزلة كبرى في نفس الميكادو ورجال دولته لاتغيرها زخارف السياسة الاوربية في أى يوم من الايام .

﴿ همم اليابانيين وطنيتهم في زمن الحرب الروسية ﴾

من نظر في ناموس هذا الاجتماع الانسانى وتأمل في ارتباط كل فرد من بني الانسان بالآخر من حيث الحاجة الى التعاون وتبادل المنفعة في معترك الحياة، عرف جليا أن الاغنياء من كل أمة هم أولى الناس بان لايدعوا

الدرهم والدينار في خزائنهم لانهم بذلك يكونون قد جنوا جناية كبرى على المجتمع الانساني . لاننا اذا عرفنا ان الغاية من اكتساب الدرهم والدينار هي سد العوز وقضاء مايحتاج اليه الانسان من ضروريات المعاش لوجدنا أن مثل روكفلر . وكارنجي . وروتشلد وغيرهم ممن تمد ثروتهم بالملايين يكفي أحدهم من ثروته جزء من الف الف من مجموعها فاذن لابد من ان يكون الباقي بعد هذه الكفاية وقفا على منفعة بني الانسان . إما بالاتجار أو بالزراعة وغير ذلك من الاعمال التي تقضي بان يعمل فيها غيره بكسب مايقوم بحاجته. وقد حذر الله سبحانه وتعالى الاغنياء من اكتناز المال وعدم استعمالها في كثير من المواضع وانذر الذين يكنزون الذهب والفضة بأنها ستكوي بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة.

هذه المقدمة أتينا بها لبيان أن الغنى لم يكن ليعطي هذا الغني لاجل ان يختص به دون غيره من بني جنسه . وكما يكون استعمال المال في الوجوه النافعة بين الافراد فكذلك الامر في مجموع الامة لان الامة التي يبلغ تعدادها الالف والمليون من النفوس اذا احتاج مجموعها الى المال كان الواجب على كل غني فيها ان يبذل من ماله مايؤدي به هذا الواجب نحو وطنه وأمته والا يعد خائنا عاقا وكفى بهذا الوصف حطة من قدره . وهو في هذه الحالة يكون دون الفقير في النفع لبلاده بل لايصدق في حقه هذا الوصف . لان الفقير قد يكون أنفع منه . لانه لو كان يكتسب في اليوم درهما واحدا ويبذل في سبيل نفع أمته وبلاده جزاء من هذا الدرهم فهو الكريم حقيقة. اذ حقيقة الكرم أن يجود المرء وهو في شدة العوز. هذا واننا كثيرا مانقرأه في الصحف ونشاهد بأعيننا الاغنياء يجودون بالاموال الطائلة في سبيل نفع

أمتهم ووطنهم ونعجب كثيراً اذا سمعنا أن فلانا حبس كذا من الاعيان مما يبلغ ريعه كذا من الجنيهات . وفلان وهب كذا من آلاف الجنيهات في سبيل ارتقاء العلوم أواعانة الفقراء . ولكن ما فعله اليابانيون في ابان الحرب الروسية يدعو الى الاعجاب أكثر والى القاريء البيان

*
* *

لما حدثت هذه الحرب رأت الحكومة اليابانية ان تقترض مبلغ ٦٠ مليونا ينا من بعض البنوك فلما علم بذلك أغنياءهم هزتهم الاريحية ودعتهم الوطنية الى أن يتبرعوا بما يعجز عنهم سواهم من اغنياء الامم الاخرى ولست في هذا بمبالغ لاني عرفت ذلك حين وجودى في تلك البلاد معرفة ممن باشر هذا التبرع بنفسه ورآه بعيني رأسه لا كما يرى الانسان الاشيئا بالمناظر المجسمة.

فاول ما اذاع خبر هذا القرض عمل اكتتاب عام اشترك فيه الآلاف من الموسرين وفي قليل من الزمن جمع مبلغ ٠٠٠ر٢٠٠ر١١ عبارة عن ٠٠٠ر١٢٠ر١ جنيها مصريا ولم يقف الاكتتاب عند هذا الحد بل فتحت اكتتابات أخرى في سائر البلاد اليابانية . واننا الآن نذكر أسمائهم على سبيل الفخر بهذه الهمم الشماء التي قلت ان لاتوجد في غيرهم من أغنياء الامم الاخرى وهاك البيان

ين	عبارة عن جنيه	
مليونا	١٠٠ الف جنيه	البارون تانسيبوا
» »	» »	المركيز شانتو مالو
» »	» »	البرنس فالتادوار
» »	» »	البرنس مورى

ين	عبارة عن جنيه	
مليونا	١٠٠ الف جنيه	المركيز مايبدا
» »	» »	المركيز شيمادتبرون
» »	» »	المستر فوروكاوا
نصف مليون	٥٠٠ الف	المركيز دانتومار
»	»	المركيز هوسوكاوا
»	»	المستر واتانابي
»	»	المستر هاراتوميتاو
٤٠٠ الف	٤٠ الف	المركيز جابالوني
»	»	المستر دانتيرفوش
٣٠٠ الف	٣٠	المركيز توكوجاوا
» »	» »	المستر ايويا
» »	» »	المستر جيمون
» »	» »	المركيز انشاناو
٢٠٠ الف	٢٠ الف	المستر هوريكوشي

٠٠٠ ر ٢٠٠ ر ١١ ين عبارة عن ٠٠٠ ر ١٢٠ ر ١ جنيها مصريا

هذا هو جميع المتبرع في ذلك الوقت ولا شك أن القارئ الكريم عند ما يجد ان مبلغا مثل هذا جاد به ثمانية عشر رجلا من القوم يعجب جدا لهذا الكرم وهذه الوطنية. ولكن يكون استغرابه أكثر اذا علم بما جاد به المسيو ادكاروا فان

هذا الرجل كان عنده متحف جمع فيه من غريب الآثار القديمة ما تقدر قيمته بخمسة وثمانين الفا من الجنيهات فباعه بهذا المقدار وقدمه الى الميكادو الذى امتدح له وطنيته وقال إني اود أن يكون في بلادي المئات من أمثالك في الوطنية وهذا العمل الجليل لا يقل عما فعله المسيو (فيدون بيس) فان هذا الرجل جاد بالنفس والنفيس . وذلك انه كان يملك منتزها جميلا وعنده ولدان لم يرزق سواهما من البنين فلما علم بأمر عزم دولته على اقتراض المبلغ المتقدم ما كان منه الا انه باع ثلثي المنتزه بمبلغ ٥٠ الف ين عبارة عن ٥٠٠٠ جنيها مصرياً وأخذ هذا المبلغ ونجله الاكبر وتقدم الى الميكادو وقال له ايسمح لي سيدى ومولاي بقبول هذا المبلغ وبقبولي أنا وابني هذا متطوعين في العسكرية لانى ابتعت بهذا المبلغ ثلثي منتزهى وأبقيت الثلث ليكون مورد معاش زوجتي وابني الصغير . فاعجب الميكادو به كل الاعجاب وشكر له هذه الاريحية .

هذه هى مروءة أهل اليابان نحو وطنهم وشعورهم لدي الظروف التي تقضي بان يؤدى كل واحد منهم هذا الواجب لبلاده وأمته . ومن العجب انهم لا يعدون هذا من باب الامور التي يمدح عليها الانسان لانهم يعدون هذا التبرع فرضا لازما لا يجب شكر القائم به . لان المرء لا يمدح على فعل الواجب . وهذا أيضا من الامور التى يمدحون عليها .

فليحكم معنا القارئ الكريم على شهامة هؤلاء الرجال . وكأني به يقول ان سيرتهم هذه لا تسطر بالمداد بل تكتب بماء الحياة والتبر . أو باطراف المدي على رقاق الاكباد .

شهامة اليابانيين فى زمن الحرب الروسية

اننا نقرأ في كتب سيرة من تقدم من الشجعان وخطباء حومة الميدان في عصر الجاهلية كعنترة الفوارس والحرث بن عباد وعمرو بن معديكرب والحرث بن ظالم وغيرهم فيقف الفكر موقف المندهش من تلك الشجاعة التي تضرب بها الامثال من سائر الاجيال . وقد يخيل للقاري ان الزمن لايسمح بوجود اناس كهؤلاء في النجدة والشجاعة وقوة البأس . ولكن الذي شاهد حالة اليابانيين أثناء حروبهم مع الروسيا يقول ما أشبه الليلة بالبارحة اذ آلافا منهم يمثلون هؤلاء الشجعان فى حماسهم وقوة بأسهم . ولم يقتصر الامر فيهم على الرجال بل اشترك النساء معهم في هذه الفضيلة . اذ كان الموت عندهم في سبيل حب الوطن أشهى من الماء العذب في الهجير . وصوت المدافع لديهم ألذ في اسماعهم من رنات المثالث والمثاني وشجي الاغاني . والدماء الملطخة بها أجسامهم أبهى فى نظرهم من الديباج وفاخر الثياب .

لما دارت رحي هذه الحرب كانت محال الملاهي ومعاهد التمثيل في بلاد اليابان اندية ويجتمع فيها الرجال والنساء من كل الطبقات وتلقي فيها الخطب الحماسية وتمثل الروايات التى تبعث في القوم روح الغيرة على الوطن الى غير ذلك من الاناشيد الوطنية التي تجري دم الشجاع في العروق وتحبب الموت الى النفوس في سبيل الذود عن الوطن والمحاماة عن الجامعة القومية . وكلما أنشدت أنشودة أومثلت رواية أو عمل أي مظهر من هذه المظاهر كان الحضور يصيحون بقولهم (بنزاي بنزاي) ومعنى هذه ان الحياة فى الموت في سبيل الدفاع عن شرف الوطن .

ومما حدث فى ذاك الوقت وتناقلته جرائد العالم معجبة بهمة وشجاعة

اليابانيين انه مثلت رواية في أحد المراسح وموضوعها ان الروس قبضوا على اثنين من اليابانيين وحكموا عليهما بالاعدام رميا بالرصاص : فلما مثلت هذه الرواية كانت احدي النساء ضمن الحضور وأثر فيها المنظر تأثيرا عظيما وتخلل الحماس بين الدم واللحم منها . وقالت على ملأ الحاضرين لو كنت أستطيع الذهاب الى الحرب لكنت أشارك ابناء وطني في حومة الميدان ولكن سأفعل ما ينيلني هذه الأربة. ثم بعد انقضاء وقت التمثيل كلفت ولدها الوحيد البالغ من العمر نحو الخمس وعشرين سنة بأن يذهب الى نظارة الحربية ويتطوع في الجيش فأجاب ابنها طلبها وتوجه الى نظارة الحربية وقدم تطوعه فلم يقبل منه لان قانون العسكرية عندهم لا يجيز قبول الوحيد في الجيش سواء ذلك في زمن الحرب أو غيره فعاد الى أمه كاسف البال حزينا واخبرها بالأمر فلم يكن منها الا أنها أخذت بيده ودخلت غرفة في البيت وتناولت سكيناً وقالت له اذهب الى الحرب حيث لا أم لك تكون وحيدها وبقرت بطنها بالسكين . وهذه الحادثة وقعت في شهر ابريل سنة ١٩٠٤ فهكذا تكون الوطنية وهكذا يكون حب الوطن وبمثل هذه المرأة فليقتد القواد والابطال

ولو كان النساء النساء كمثل هذي   لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

فليقارن القارىء بين هذه المرأة وبين المرأة الروسية التي ارادت ان تظهر بمظهر المدافع عن وطنه في نفس هذه الحرب فكان فعلها ينطبق عليها (ليتها لا تزني ولا تتصدق) وذلك ان احدي الفتيات الروسيات لما بلغها خبر تدمير الاسطول الروسي في بورت آرثر خلعت عذار الحياء والعفاف واخذت تبيع عرضها للفساق فلما علم بها البوليس وقبض عليها

قالت إني فعلت هـذا لاجـل ان اجمع شيئاً من المـال اكتتب به ضمن المكتتبين في انشاء الاسطول .

ولو انها ماتت كمدا ولم تفعل هذا الفعل الذميم لكانت حقيقة خدمت الوطن خدمة تذكر فتشكر .

واذا كانت شهامة نساء اليابان بلغت هذه الدرجة فكيف اذن تكون شهامة الرجال . لاشك ان الرجال يكونون في هذه المزية اقوى من النساء وعليه نورد هنا ماوقع لاثنين قبض عليهما الروس وحكموا عليهما بالاعدام رميا بالرصاص فكتب كلاهما خطابا الى اهله يعزيهم على فقده . أما الاول فكتب الى والده والثاني كتب الي اولاده وهـذا نص الخطاب الاول بعد الديباجة .

« انك يا والدي العزيز قد ادبتني احسـن التـأديب وربيتني افضل التربية واعتنيت بي كل الاعتناء منذ ظهوري في هـذا الوجود الى هـذه اللحظة التى انا اخاطبك فيها . ومع اعترافي لك بهذا الفضل الذي لايقاوم بشكران . وان بذلت فيه جهد استطاعتي فلا ازال واقفا عند حد العجز والتقصير . بل كلما تقـدمت أنا في العمر وانت في الشيخوخـة زدت في التقصير ولم ا كافئك على حسن عنايتك بي لانك كلما الم بي شيء من نوب الزمن تشعر بمثل ماأشعر به من الالم ويقع بقلبك أسوأ وقـع فأنا دائما سبب تعبك واقلاق خاطرك . فاغفرلى ياوالدى هذا التقصير واجعله منة لاحقة بمننك السابقة . واني الآن ياوالدي لاأجد وسيلة توصلني الى رضاك عني سوي هذا الموقف الذي أنا واقف فيه الآن . انت تعلم يا والدي أني ذهبت الي منشوريا لأؤدي واجبا نحو وطني وامبراطوري المعظم وأداء

هذا الواجب هو الفخر الباقي مدى الاعصار . فاعلم يا أبت اني اليوم واقف موقف الاعدام اسيرا لدي الروس وفوهات البنادق مصوبة نحوي . واني ليسرني كثيرا ان أموت وانا قائم بمهمتي التي انتدبني اليها وطني واني ايضا اشعر بل أوقن ان هذا الموقف يسرك أكثر اذ تري لك نجلا لابسا حلة ارجوانية من الدماء هي حلة الشرف الذي البسنيها وطني المحبوب كما لاشك في انك تقول مفتخرا ان لي ابنا يموت موت الاشراف في سبيل الدفاع عن كرامة وطنه وامبراطوره الجليل . وهذا هو اكبر معزلك على فقدي كما نه اعظم تسلية لي على تقصيري في خدمتك جزاء عنايتك بي وحبك اياى فاذا تصورتني بعد هذا الحين فتصورني وأنا في أسمي درجات الفخار .

*
* *

وهذا هو الخطاب الثاني بعد الديباجة « اعلموا يا ابنائى الاعزاء انى لم احتمل ألم فراقكم ولم اذهب الي منشوريا الا لاجل ان ادافع عن الوطن وافديه بنفسي وامتثالا لامر امبراطورنا المعظم . ولكني آسف كل الاسف اذ لم اتمكن من اتمام واجبي لاني أسرت ووقفت موقف الاعدام وجنود الروس محيطة بي ولكني لم احفل بهم وببنادقهم المصوبة نحوى بل انا ثابت الجاش لم يتزعزع لي قدم ولم يرتعد منى عضو . وكنت اود ان اعود اليكم بعد ان اتمم واجبي مكللا با كاليل النصر ولكن حال القدر دون ما أريد فلا يحزنكم موتى بعيدا عنكم لان أباكم مات ميتة الفخر والمجد . فافخروا بأبيكم الذى قضي عليه وهو يحامى عن اوطانه واتخذوه قدوة لكم ولا تهملوا فى دروسكم وبروا بوالدتكم واقاربكم واعملوا بما فيه خيركم وخير الوطن ورضاء امبراطورنا المحبوب »

فاذا كان هـذا مبلغ ماوصل اليه اليابانيون في حب الوطن العزيز فنعم القوم ونعمت وطنيتهم .

أما الامر الذى كان يأسف عليه هذان الرجلان هو انهما كانا يودان من صميم فؤادهما ان يعيشا وينظرا الروس مدحورين فى ساحـة الوغي ويعودان الى بلادهما حاملين راية الانتصار وان يقفا أمام امبراطورهما مهنئين اياه بالفوز المبين . وهذان الخطابان تناقلتهما أغلب الصحف اعجابا بشهامة اليابانيين

ذي المعالي فليعلون من تعالي　　　هكـذا هكذا والا فلالا

﴿ المرأة اليابانية ﴾

اذا كان علماء العمران يعـدون المرأة عضوا عاملا في الهيئة الاجتماعيـة ويوجبون تعليمها العلوم والمعارف لجلال مركزها. واذا كانوا يجعلون تمدن الامم التمدن الحقيقي متوقف على كمال تربيتها فان المرأة اليابانية هى المثال الصحيح على هـذه الدعوى . واذا كانت المرأة اليابانية وصلت الي هـذه الدرجـة فى التربية الصحيحة والآداب الفاضلة على قرب عهدها بالمدنيـة فكيف بها اذا مرت عليها القرون وهي تجد وتجتهد في هذا السبيل.

تولد اليابانية ولا تصل الى الخامسة من سنين حياتها حتى يدخلها ولي امرها المدرسة ومهما كان فقيرا ذا خصاصـة في العيش فانه يكد ويكدح في سبيل الانفاق عليها ويقدم الاهتمام بها على كل امر يهمه في الحياة حتى بلغت بهم درجة الاعتناء بتربية البنات الى أن يعد من لم يدخل ابنته المدرسة من أحط الناس منزلة واسفههم عقلا ويصمونه بوصمة العار .

وهم ولا شك لم يقدروا المرأة هـذا القدر الا بعـد علمهم بنفعها في المجتمع الانساني وتحققهم ان أول خطوة يخطوها الانسان في التقدم انما هي نتيجة ما وصل اليه في تربية أمه وتلقاها عنها من المبادئ الادبية التي غرست في نفسه بذور الفضيلة بكل انواعها . ولو اختبرنا احوال المراة اليابانية في ادوار حياتها من يوم دخولها المدرسة الى اليوم الذي تصير فيه زوجة للبعل ومربية للأبناء نجدها عنوان الكمال والفضيلة وحسن الآداب . فالتي في مهد التربية المدرسية فهي تعرف مقدار محبة الوطن معرفة تامة كأن حب الوطن علم من العلوم التي تتلقاها في المدرسة فهي تطبق العلم على العمل .

والتي حصلت منهن على العلوم ونالت شهادتها تعمل وتشتغل بما يفيدها ويفيد عائلتها في الامور المادية والادبية معا . والتي تقترن منهن تكون في بيتها مدبرة محسنة حالتها وحالة بعلها المعاشية بفضل ما تتلقاه من العلوم والاداب وأنواع الكمالات . والتي ليس لها بعل ولها اولاد تقوم بتربيتهم احسن تربية حتى تؤهلهم الى أن يكونوا سعداء في الحياة . وهكذا تجد المرأة اليابانية في كل احوالها وأطوارها مثالا للعفة وكرم النفس وغير ذلك من الصفات الممدوحة .

وقد ظهرت آثار تربية المرأة اليابانية في الحرب الاخيرة فانها اظهرت من محبتها لوطنها ما لا يظن ان امرأة في العالم غير اليابانية تظهره مهما كانت منزلتها في التربية والتعليم .

ومثال هذا ان التلميذات منهن لما كن يفرغن من دروسهن يشتغلن الاكسية والاربطة وكل ما يقدرن على صنعه من الملابس العسكرية ويقدمنه الى جمعية الصليب الاحمر التي كانت يوجد فيها اطباء لمداواة جرحى

الحرب. وقد قدمن كثيرا من صنع ايديهن عند سقوط بورت آرثر واهتممن بذلك كل الاهتمام حيث الجرحى في هذه الواقعة كانت تعد بالآلاف . هذا فضلا عن اشتراكهن مع الرجال في كل احتفال اومظاهرة بخصوص الانتصار على الروس مما لا يفوقهن فيه الرجال بشيء من الاشياء .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع خبر المراة اليابانية التى امرت ولدها الوحيد بالتطوع في الحرب ولما لم تقبل منها الحكومة تطوعه لكونه وحيدها قتلت نفسها بالسكين أمامه حتى لا يكون هناك عائق يمنعه عن التطوع في خدمة الوطن التى هى من الواجبات المفروضة عليه

*
* *

هذا ماوصلت اليه المرأة اليابانية بفضل التربية والتعليم . والمرأة الشرقيه قد امتازت بمزية السبق في ميدان الحضارة على غيرها من نساء الامم الاخرى . ولكن اذا صادفت من يعتني بشأنها . اذ الاستعداد موجود فيها والقابلية لتأثير التربية الفاضلة متوفرة عندها . وهى أذكى من المرأة الغربيـة بحسب الفطرة ولنتخذ مثالا على ذلك نساء العرب في العصر الاول فأنهن كن على جانب عظيم من حيث ادب النفس وكمال العقل ولهن محاورات ومخاطبات مع الملوك والامراء وكن يظهرن فيها من البلاغة وحسن البيان مالا يقدر على الاتيان بمثله فى هذا العصر اعلا البلغاء كعبا وأكمل الناس عقلا .

والذي يطالع سيرة الوافدات منهن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سيدنا معاوية بن أبي سفيان يتحقق صدق ماقلناه .

فلو اعتنى المصريون الاعتناء الحقيقي بتربيـة الجنس اللطيف لما كنا نرى من هذه المفاسد والامور الموجبة للاسف شيئاً يذكر .

ومن الخرق والحمق والجهل العميق ان تعتقد أن تعليم المرأة مفسد لاخلاقها معرض عرضها للابتذال . فان العلم وحسن التربية يكفلان نفي هذه الاوهام بل هذا هو الضلال المبين .

ولو سلمنا جدلا بأن تعليم المرأة المصرية العربية العلوم يسهل لها طرق الفساد فان فسادها وهي متعلمة اخف ضررا من فسادها وهي جاهلة . لان علمها يعرفها كيف تحسن الفساد ويحضها على عدم ارتكاب هذه المفاسد .

والقاعدة أن الجاهل اذا سلك سبيل الغي جاب لنفسه الضرر من حيث لا يشعر . أما المتعلم فانه ينهج هذا النهج على نموذج به يحفظ من كرامته بمقدار ماتعلم . ولله در القائل

قالوا البنون عليهم   مدار سعد الحياة

فقلت كيف نسيتم   ياقوم حظ البنات

***

وليس مرادنا بتربية المرأة الشرقية هو مجرد تعليمها العلوم العصرية والفنون اليدوية بل مرادنا ان تكون تربيتها بحسب أصول وقواعد الشريعة الاسلامية لان آداب الدين الاسلامي اذا أضيف الى هذه العلوم كانت المرأة الشرقية في عداد الطبقة العالية من حيث طهارة النفس وتنزيهها عن ارتكاب الدنايا واكتساب المحامد والتخلق بالاخلاق المرضية . لاننا نشاهد غيرها من النساء التي تعلمن العلوم خاليات من هذه الفضائل التي جاءت بها الشريعة الاسلامية التي من ضمنها الحجاب .

ولا يخفى ان الدين هو أساس كل فضيلة وتعليم العلوم اذا لم يكن شاملا

للتعاليم الدينية فلا يفيد الفائدة المقصودة من تربية المرأة التربية الحقيقية وتهذيبها التهذيب الحسن .

وطنية اليابانيين

ليس المراد من ذكر هذا العنوان أن نسطر عبارات المدح والاطراء للأمة اليابانية فان هذا مذكور في غير هذا الموضع من هذه الرحلة . وإنما المراد هو أن نذكر بعض ما تفعله هذه الامة من الافعال الدالة على تفانيهم في حب وطنهم الى درجة لم تكن تعهد في سواهم من الامم الاخرى

***

كنت ذات يوم جالساً في إحدى المحلات العمومية قريبا من البلاط الامبراطورى فرأيت أحد باعة الصور يعرض صورة في الشارع فتأملت في لوحة من الالواح فرأيت مصورا فيها سبعة من قواد اليابانيين وجنودهم وأمامهم عساكر من لروس كثيرو العدد موجهون نحوهم فوهات البنادق والمدافع كأنهم يريدون منهم التسليم وهؤلاء يأبون أن يسلموا أسلحتهم فوجهت نحوهم المدافع .

فلما عرف الجنود اليابانيون انهم ميتون ولا محالة أخذ كل واحد منهم قطعة من الخشب وصاروا يضربون على البنادق كما يضرب المغنى على العود . كما أنهم أمسكوا بيدهم اليمنى سيوفهم واضعين أطرافها في بطونهم ففهمت من هذه الصورة البسيطة معنى جليلا وهو أن الياباني عنده الموت في سبيل الدفاع عن وطنه أشهي من الحياة . وإن اصوات المدافع التى توجه نحو هؤلاء الجنود اشهي عندهم من نغمات الاوتار ان لم تماثلها .

فلينظر العاقل الى هذه الافعال وليقارن بينها وبين الصور التي تعرض في مصر وغيرها من البلدان المصرية للمبيع . تلك الصور التى تمثل الوقاحة والسفه بمعناها الحقيقي .

وبالجملة فان الصور التي تباع في اليابان أفضل من الجرائد الاخري المصورة . ووجه الافضلية ان هذه الصور تبعث في النفوس الشجاعة لعظم التأثير . بخلاف الجرائدالمصورة التي قد تصور صوراسياسيةلا نصيب لها من هذه المزية البتة .

﴿ البوليس الياباني ﴾

البوليس اليابانى من أرقي بوليس في العالم في الادب ومعرفة الواجبات . ومن غريب مارأيت في نظام البوليس هناك ان كل عسكري يحمل معه مذكرة غيرالتى يذكر فيها الوقائع والحوادث وهذه المذكرة فيها أسئلة وأجوبة مطبوعة . وهذه الاسئلة والاجوبة كلها فيما يتعلق بالوطن ومكارم الاخلاق كأن يذكر في السؤل مثلا ماذا استفدت من هذه الحرب الروسية اليابانية وماذا يجب على الفرد من الجنود اذا طرقت الحرب أبواب البلاد . وماذا يجب على القائد ان يفعله والخ . وهذه من الاختراعات البديعة في نظام البوليس وفي تربية نفوس القوم على حب الوطن .

ومما يوجب الاعجاب بحرص القوم على الامن أن البوليس اذا وجد غريبا يشتري بعض الاشياء يراقب حركاته وسكناته في حالة الشراء ويعرف مقدار المشتري ان كان بالوزن أو الكيل أوغير ذلك ويصرف مقدار الثمن ثم يعد النقود التى مع المشتري وهكذا .

وذلك اني ابتعت بعض الفواكه من حانوت فكهاني فجاء البوليس وعد النقود التي أخذتها بعد خصم ثمن المبيع . وكنت أعطيت البائع قطعة ذهب قيمتها نصف جنيه افرنكي وعرف ثمن مقدار ما اشتريته من الفواكه . فتذكرت في الحال بوليسنا المصري وودت أن يكون عنده بعض الشيء من هذه الفضائل بدلا من أن يجعل سلطته منحصرة في معاكسة الحوذية وصغار الباعة في الشوارع والارتشاء من المحال التي تحوى المقامرين وغيرهم من عوامل الافساد في البلاد . وفقه الله على سنن الاستقامة وأخرج رجاله الجهلاء الخونة ليسود الأمن في البلاد .

﴿ عوائد اليابانيين في جنائزهم ﴾

ان اليابانيين على اختلاف مذاهبهم ما بين بوذى ووثنى ومسيحي يدفنون موتاهم في مقبرة واحدة ولكنهم يضعون علامات مخصوصة على كل قبر بها يعرف المدفون فيه ان كان من الوثنيين أو البوذيين أو المسيحيين كما سيأتي بيانه . ولكل أهل مذهب صفة مخصوصة في جنائزهم .

أما البوذيون فلهم صفة غريبة في جنازاتهم فاذا مات أحدهم يضعون النعش على عربة يتقدمها رجال يحملون قطعا من الشجر بأيديهم وهذه القطع مربوط فيها قطع صغيرة من الغاب مزدوجة وعلي كل قطعة مكتوب عليها اسم من كان صديقا وخلا للميت في حال حياته بحروف واضحة بحيث يمكن كل أحد ممن يمشون في الجنازة من أهل البلاد قراءتها . ومقدار عدد هذه القطع يكون عدد الذين كان الميت صديقا لهم . ويقصدون بذلك اظهار محبتهم للميت كما كانوا يظهرونها له في حال حياته . وهذه عادة قديمة لديهم ليست محدثة .

وتوجد جمعية للبوذيين يقال لها حملة الشجن ومن وظيفة رجال هذه الجمعية انهم يمشون في الجنازة أمام النعش ومن بينهم رجل يحمل فوق رأسه قبعة عريضة مزينة وهذه القبعة يسمونها قبعة الميزان .

وهذا الرجل يحمل فوق كتفيه علبتين كبيرتين يزعمون ان احداهما مجموع فيها اعمال الميت الحسنة والاخرى اعماله السيئة . ووجود هاتين العلبتين ضروري في الجنازة لايمكن التخلف عنه بأية حال من الاحوال . ولو كان الميت عندهم من المتفق عليه انه من الصالحين الذين لم يفعلوا سيئة قط في حياتهم .

ثم يعقب رجال جمعية حملة الشجن بعض الكهنة . وهؤلاء لهم لباس مخصوص يغاير لباس رجال الجمعية المذكورة . ومع هذه المغايرة فان لون لباس كل واحد منهم يغاير للون لباس الآخر حيث يختلف بين اسود واخضر واصفر واحمر ورمادي ماعدا البياض . ولعل السبب في عدم لبسهم اللباس الابيض هو أن هذا اللون لون الفرح لا الحزن .

وهؤلاء الكهنة يركبون العربات في سيرهم أمام الجنازة كل اثنين في عربة خاصة بهما .

وفي آخرهم عربة فيها رجل منهم شكل لباسه مغاير للباقين ولونه عنابي ويظهر أن هذا الرجل هو الرئيس عليهم . وبعد هؤلاء المتقدمين النعش . فأهل الميت فأصحابه ومعارفه .

والكلام عندهم في أثناء سير الجنازة ممنوع قطعيا كأنهم يعدون الصمت من قبيل التفكر والاعتبار .

أما الوثنيون فانهم يقدمون النعش اولا محمولا على عربة ثم يليها اهل الميت واقاربه ثم اصحابه واصدقائه . وهم مخالفون لكل أهل دين ومذهب في لباس الحداد . اذ العادة ان السواد هو لون الحداد ولكن هؤلاء يلبسون الثياب البيضاء خصوصا اذا كان الميت عزيزا . وهم لا يمنعون الكلام في الجنازة بخلاف البوذيين . لان من مبادئهم المذهبية ان العاقل لا يظهر حزنه وجزعه . حيث ان الموت واقع على كل انسان . واذا كان احدهم عنده شيء من المكدرات يعمل جهده في ازالته ويبدلها بالفرح والسرور حتى لا يظهر عليه أثر الحزن .

***

أما المسيحيون فانهم كغيرهم من سائر المسيحيين في البلدان الاخرى حيث يتقدم الجنازة رجال من القسيسين وبعض تلامذة يحملون المباخر ويرتلون بعض الاناشيد الدينية المعتادة في مثل هذه الحالة . ثم بساط الرحمة . ثم النعش موضوعا على عربة سوداء يجرها اربعة من جياد الخيل . وبعد النعش اقارب الميت فالمشيعون . وبعد الصلاة عليه في الكنيسة يذهبون به الى القبر لدفنه .

***

أما العلامات التي بها يعرف قبر البوذي من الوثني من المسيحي فهى ان الوثنيين يجعلون هيئة ميتهم في القبر كهيئته وهو جنين في بطن أمه بحيث يضعون يديه على وجهه وركبتيه ملتصقان بصدره ويضعونه في صندوق مربع على مقتضى هذه الهيئة ويدفنونه . في قبر مربع لا يزيد شيئا من اتساع حجم الصندوق . وكأنهم يفعلون هذا لاجل ان يشبهون الميت بالجنين

والقبر بالبطن وعلى هذا ينتظرون ولادته مرة اخرى يحيي بعدها حياة ابدية.

أما البوذيون فهم كالمسيحيين يضعون الميت في صندوق على قدر طوله ويضعونه في صندوق مربع على مقتضى هذه الهيئة ويدفنونه في قبر على قدر الصندوق في الاتساع الا ان المسيحيين يضعون فوق القبر صليبا. وبهذه الصفة يعرف البوذي والوثني والمسيحي.

***

أما المسلمون فاننا علمناهم كيفية الغسل والسير في الجنازة وتكفين الميت على الطريقة الشرعية مما لا حاجة الى ذكره هنا

﴿ التعليم في بلاد اليابان ﴾

ليس مرادنا من عقد هذا الفصل هو أن نبين أن أصل تقدم اليابانيين المادي والادبي وعلو كعبهم في مضمار الحضارة هو نشر التعليم العصري. فان هذا من القضايا المسلمة. اذ العلم هو أساس كل سعادة الامم وانما المراد أن نبين كيف اعتناء القوم بأمر التعليم. هذا الاعتناء الذي لم تشاركها فيه أمة أخرى شرقية كانت أو غربية فضلا عن أن تسبقها فيه.

ان اليابان كانت قبل هذا القرن كباقي أمم الشرق من حيث الجهل السائد فيها ولم تكن تعرف من المدنية شيئاً يذكر. ولكنها حين شعرت بهذا التأخر وعرفت مزية العلوم ونشرها في البلاد وتعميمها بين الافراد اندفعت اندفاع الشره الجوعان الى لذيذ الطعام. وفتحت المدارس على اختلاف أنواعها. وفي قليل من الزمن خطت خطوات كثيرة في سبيل التقدم والمدنية لم تكن لتخطوها أمة غيرها في اضعاف هذا الزمن القصير.

اذ يمكن لو عملنا نسبة بينها وبين آية أمة متمدنة غيرها أن نقول ان ما كانت تخطوه اليابان في هذا السبيل في يوم تخطوه غيرها في أسبوع وما تخطوه في أسبوع تخطوه غيرها في شهر وهكذا . حتي لقد عد بعضهم هذا التقدم الباهر من خوارق العادات ومن القوي التي هي فوق طبيعة البشر . ولما كان القصد من نشر التعليم في الامم هو تثقيف العقول وتهذيب النفوس واستعداد الافراد لان يكونوا رجالا يخدمون أوطانهم ويفيدونها بفضل ماتعلمون . لامجرد الحصول على نفس العلوم والاكتفاء بان المرء يكون عالما بغير ان يظهر أثر هذه العلوم اتبعوا القوم طرقا في التعليم بها يغرسون في نفوس الناشئة حب الوطن وما يجب عليهم نحوه حتى انهم يجعلوه ذلك في المسائل العلمية والقواعد الموضوعة في اصول كل فن . هذا وقد كنت كتبت رسالة بينت فيها طرق التعليم في بلاد اليابان وبعثت بها الى جريدة المؤيد الغراء ونشرت في تاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٠٧ عدد ٥١٤٣ حين كانت الجرائد تشغل اعمدتها بالكتابة سلبا وايجابا في موضوع تعليم العلوم باللغة العربية كما ان المباحثات دارت بين اعضاء مجلس الشوري بعد ان اقترحته الجمعية العمومية وهذا نصها :

ان كل من يتحدث بحديث عن الامة اليابانية وما وصلت اليه من الرقي المادي والادبي فانه يسند كل شيء في ذلك الى العلوم والمعارف التي اقبلت عليها منذ ثلاثين عاما اقبال الشره الحريص على لذيذ الطعام ونفيس الكنوز واقتدائها بامر يبين في الاخذ باسباب المدنية . ولكن اذا اراد أن يعرف الشرقي سرعة ترقي هذه الامة تلك السرعة الغريبة التي لم توفق اليها أمة من الامم في الماضي والحاضر وقف وقفة الحائر . لان الدرجة التي وصلت

اليها في الرقى لا يكفي لها قرن من الزمان . ومبلغ مايقف عنده جهد الفكر من التعليل هو الرغبة الزائدة والاقبال الفائق من سائر طبقات الامة واهتمام الحكومة والاهالي معا بنشر العلوم .

ولكن كل هذه العلل وان كانت قريبة للصحة فان هناك سببا آخر يعادل كل هذه العلل. بل يمكننا أن نقول أن تلقي العلوم بدون التأثير الذي يؤثره هذا السبب يعد ناقصا نقصانا عظيما ان لم نقل أنه لايجدى نفعا الا مجرد الاتصاف بالعلم فقط مع فقدان الاتصاف بالعمل به وحصول النتيجة المقصودة في تلقيه . واني اكتفى في إيضاح هذا السبب بذكر حادثة حدثت في اليابان في أثناء الحرب الاخيرة بينها وبين الروس ونقلتها الصحف الروسية وغيرها من الصحف الاخري السيارة فيما تسطره لقرائها من غريب الاخبار وعجيب الحوادث.

***

اتفق في ذلك الحين أن أحد مكاتبي الجرائد الروسية زار إحدي المدارس اليابانية الابتدائية وطلب من رئيس المدرسة مشاهدة التلامذة في فصولهم فادخله في أحد الفصول وكانت حصة الجغرافيا فسر من حالة التعليم وأعجب بنجابة التلامذة وحسن أسلوب المعلم في التدريس. وفيما هو كذلك اذ أبصر خريطة تمتاز عن جميع الخرائط برسم اناس في زي اليابانيين فدنا من الخريطة وشاهد مرسوما فيها منشوريا وكوريا مبينا فيها المواقع والبلدان وجميع المرتفعات والمنخفضات والارض الصالحة للزراعة وغير الصالحة والسهول والحزون والمضائق والجبال والوهاد والمناجم والانهر

والبحيرات والغابات . وهؤلاء الاشخاص المرسومون في الخريطة رجال من اليابانيين يقيسون المسافات بين كل بقعة واخري ومقادير ارتفاعها عن سطح الماء وانخفاضها وغير ذلك من المسائل التي تجعل الطالب كأنه يري منشوريا وكوريا رأي العين بحيث لايغيب عنه منها قيد شبر . فعجب من هذه الصدفة الغريبة وزاد عجبه من ذكاء اليابانيين وفضل اختراعهم الاساليب المؤثرة في نفس الطالب كأنهم يقولون لهم بلسان الحال ان امتياز رسم منشوريا وكوريا عن باقي الرسوم انما نقصد به تفهيمكم اننا سنطرد الروس من هذه البقاع . ولكن قبل أن نعرض جنودنا للخطر في مخارمها وفجاجها بعثنا رجالا يعرفون المواقع الصالحة لمرور الجيش منها بحيث يأمن فيها من الاخطار وتسهل عليه اسباب الانتصار .

ثم زار فصلا آخر وكانت حصة الرسم فوجد الطلبة يرسمون والخريطة أمامهم . فلم يبدأ باختبار الطلبة بل نظر الى الخريطة اذ ربما يكون مرسوما فيها ما يماثل الرسم الاول في الفصل الاول. فوجد بورت آرثر مرسوما وواقعة دموية بين الجنود اليابانية والروسية قرب هذا الرسم. ولكن الجنود اليابانية مهاجمون من الجهة التي تمكنهم من الدخول في القلعة . كما رأي أشلاء القتلى والدماء قد ملأت الفضاء وألسنة النيران تخرج من فوهات المدافع والبنادق. والدخان قد انعقد مع الغبار المثار . وحجب الغبراء عن الخضراء . فكاد يطير لبه من الاعجاب والدهشة والمصادفات الغريبة اذ تصور انه لا بد من انتصار اليابان على الروس وأخذ بورت آرثر عنوة وقهرا .

ثم زار فصلا آخر فرآى مثل ماراآه في الفصلين السابقين وهو أن التلاميذ يشتغلون بحل مسائل حسابية أتى بها شواهد على القواعد المتعلقة

بجوهر الفن ولكن صورة المسألة مركبة من جيش من اليابانيين يريد أن يجتاز مضيق (موتو) في كذا من الساعات فكم يكفي من الرصاص لكل جندي وهو يجتاز هذا المضيق اذا كان ما يطلقه في الدقيقة الواحدة كذا منها وكم يكفي من الرصاص اذا كان عدد جنود الجيش كذا وهنا مرسوم أمامهم طول المسافات بين مواقعه الحربية .

هذا ولما رأي المكاتب كل هذه الاحوال الغريبة في طرق التعليم دهش دهشا أداه الى أن يعتقد أن القوة العقلية التي تودع في مثل هؤلاء التلاميذ سنا وحداثة لا تؤهلهم الى فهم المغزي من هذه الصور السياسية العالمية . وكاشف الناظر بهذا الاعتقاد . فما كان جوابه له الا أن قال : ان عندنا مثلا مشهورا وهو أن الياباني الصغير يفعل فعل الرجل الكبير : فكان هذا الجواب عنده أغرب لما وقر في نفسه من أن هذه الامة بلغت من العزة مبلغا ضرب به المثل : وفيما قاله له ناظر المدرسة انا نلقي في قلوب الناشئة حب الوطن بهذا الاسلوب لنضمن له رجالا في المستقبل يتقلبون في المناصب فيجب ان يكون كل فرد منهم ملما بالفنون التي تؤهله لان يملأ كرسي المنصب كفاءة واستحقاقا .

فبعث المكاتب في الحال الى جريدته بوصف ما شاهده وبين مقدار دهشته واستغرابه .

***

هذا ولما كنت في اليابان أردت ذات يوم أن أقف على عدد المدارس هناك وعدد المعلمين والطالبين ومقدار ما تصرفه الحكومة في هذا السبيل . فأطلعت جناب المسيو (جازنيف) على ارادتي هذه فقال لي اني كنت اريد أن

أدعوك الى زيارة نظارة المعارف قبل أن تخاطبني في هذا الخصوص. وفي الحال توجهنا الي النظارة وكان في صحبتنا حضرة الفاضل السيد حسين عبد المنعم. ولما وصلنا الى دار النظارة وجدناها دارا مشيدة البناء جميلة الرواء بابها صنع ادق صنعة واجملها حيث هو كناية عن شبه قوصرة قائمة على أربعة أعمدة بديعة الشكل متينة البنيان. ولما اجتزنا الباب رأيت ساحة أفسح من صدر الحليم شرفت بالرخام المختلف الالوان مما يروق الناظر ويسر الخاطر والشرفات بارزة بمنظر بديع دل على ترقي فن البناء في هذه البلاد. ثم وصلنا الى غرفة جناب المسيو (تاراويزى) ووظيفته تعادل سكرتير النظارة في مصر. فاستأذنا بالدخول ولما دخلنا غرفته قابلنا ببشاشة تامة ولطف دل على كرم أخلاقه وكمال تربيته وجميل آدابه وحادثنا أحسن حديث فكان يحسن التكلم والاستماع. وكان حضرة السيد حسين عبد المنعم يترجم بيننا. ومن العجب أنه مع هذا الاكرام والاحتفاء الفائق لم يطلب لنا قهوة ولا شايا ولم يقدم لنا السيكارة كما هي العادة عند أمم الغرب والشرق. ولعل هذا عادة عندهم والعادة يجب الوقوف عند حكمها. وهذا لا يعد نقصا من آداب القوم لان الاكرام بتقديم مثل ذلك ليس كاكرام حسن الاستماع والكلام والمقابلة باللطف والبشاشة.

وبعد برهة اطلعناه على رغبتنا في معرفة ماقصدنا لاجله الزيارة فامر أحد مستخدمي النظارة بأن يذهب معنا الى حيث نريد. فادخلنا في غرف بعض الكتاب والعمال فاذا هي مفروشة بأفخر الفراش مزينة بالنقوش كاحسن ما يوجد في قصور الاغنياء والامراء وبها الكراسي والمقاعد الغربية الصنع الى غير ذلك مما تزين به الغرف في أحسن القصور وأفخر الدور.

ولما دخلنا في غرفة بعض الكتبة وهي الغرفة التي فيها دفاتر الاحصائيات طلبنا الدفتر المرصد فيه تعداد المدارس والمعلمين والطالبين فأحضره لنا فوجدنا في اول ورقة منه الجدول الآتي

اسم المدرسة	عدد التلامذة	عدد الفصول	مقدار المعلمين	نوع المدرسة

هذا هو الجدول ثم هاك التعداد

٢٥ جامعة كبرى تدرس فيها كل العلوم ٩٤ مدارس عالية كالطب والحقوق والمهندسخانة والزراعة والمعلمين والصيدلية والولادة والبيطرية ٢٣٦٥ مدارس صناعية عالية ٥٢٥٠ مدارس صناعية درجة ثانية ١٧٦٥ مدارس تجهيزية أما المدارس الابتدائية في اليابان فهي تنقسم الى ثلاثة درجات فمنها ٩١٥٤

مدارس ابتدائية درجة اولى و١٥٢١٦ درجة ثانية و ١٦١١٢ درجة ثالثة فيكون مجموع المدارس كلها ٤٩٫٩٩١ هذه هي المدارس الموجودة في اليابان على اختلافها وان مجموع عدد المعلمين والمتعلمين فيها فهو ٨٫٨٦٤٫٥٦٠ متعلمون ذكورا واناثا وعلى هذا فنسبة المتعلمين من الذكور هو ٨٥ في المائة ومن البنات ٥٧ في المائة وعدد المعلمين في المدارس الابتدائيه ٢٤٢٫٨٩٢ والمدارس الثانوية ١٢٫٤١٢ والمدارس العالية ٧٫٧٣٤

ومقدار ماتصرفه الحكومة على المعارف مليونين ونصفا من الجنيهات على ان اجرة المعلم لاتوازي نصف قيمة اجرة المعلم في مصر وليس هذا من بخل الحكومة عليهم ولكنهم يجاوبون اخذهم القدر الزهيد في سبيل الاجر هو لاجل ان يسدوا عوزهم من خصوص المعاش ويقولون ان عدم اخذنا المبالغ الباهظة في سبيل اجر التعليم هو خدمة اخرى للوطن يجب علينا اداؤها .

ولما كانت المعارف في بلاد اليابان مقتبسة من الغرب كان المعلمون فيها من بادئ الامر من الاوربيين ولما أخذ القوم فيها بنصيب وافر انشؤوا الكليات التي تخرج منها الاساتذة الاكفاء من كل انواع العلوم اخذوا يقللون من المعلمين الغربيين ويستخدمون بدلهم من الوطنيين حتى أصبح المعلمون في كل المدارس من الوطنيين . وكأنهم في هذه الحالة يقولون اننا أمة شرقية خالفت كل امم الشرق حيث اكتفت برجالها الذين تعلموا واكتفت عن جلب المعلمين من الاجانب ولهم الحق في هذا الفخار لان ثمرة العلم هي أن تكون الامة قائمة بذاتها غير مستعينة بسواها في بلوغ الدرجات العالية من الحضارة والمدنية .

ومن غريب ماوقع في بلاد اليابان ونقلته الصحف معجبة به ومستغربة

له ايما استغراب فيما يتعلق بنتائج التعليم الراقي في بلاد اليابان ويدل على انهم أخذوا حظا وافرا في الصناعة. ان احد الغربيين كان يحادث الكونت (كاتسورة) رئيس الوزراء سابقا وتطرق في الحديث الى الانتقاد على اليابانيين في انهم لم يصنعوا مراكبهم الحربية في معامل اوربا بحيث لو صنعوها فيها لكانت بحريتهم على الاقل تعادل بحرية دولة من دول الطبقة الاولى بين العالم. فقال الكونت كاتسورة : ان هذا اللوم يجب أن يوجه منا الى اوربا التى لم تصنع مراكبها الحربية واسلحتها في معامل اليابان التى تمد بالآلات لانها لا تفضلنا في شيء من خصوص العلوم والفنون والصنائع. ثم لم يكتف بهذا القول حتى اطلع هذا الاوربي على المعامل التي تصنع فيها المراكب الحربية والاسلحة والاحواض التي اعدت للبوارج فرأى مالم يكن يعتقد وجوده من قبل ا

وقد حدا بهما الحديث الى ذكر الحرب فقال الكونت كاتسورة ما معناه : ان من الظلم البين أن يتهمنا انسان بان هذه الحرب لها ادنى تعلق بالدين أو بتفضيل جنس على جنس لاننا نعتقد ان بنى الانسان هم اخوة وكل فرد منهم محتاج الى الآخر في معترك الحياة وان المنافع المادية والادبية يجب ان لاتقتصر على جنس دون آخر . بل كل انسان يتبادل هذه المنافع مع الآخر بلا نظر الى الجنس والدين . واننا حين اعلنا الحرب رسميا جمعنا رؤساء الاديان وامرناهم بان يخطبوا في الناس بان هذه الحرب سياسية وانها بين اليابان والروس فقط وغير ذلك مما ينفي عن الاذهان ماعساه يعلق بها من ان هذه الحرب غير سياسية

وان محاربتنا الروس لامحرك لها في الحقيقة الا كوننا نظرنا الى هذه الدولة بعد ماوطئت قدمها منشوريا فرأيناها أشبه شيء بالوحش المهاجم الذي

يريد ان يفترس الشرق فاعملنا كل قوانا في صد هذا الوحش ومحاربته بكل ماأمكن من وسائل الدفاع . وان اوربا مدينة لنا بهذاالجيل لان توطيد قدم الروسيا في الشرق واستيلائها على مثل منشوريا خطر على دول أوربابأجمعها لان الروس لاحد لمطامعها تقف عنده ؛ فمن كلام الكونت كاتسورة هـذا يعلم مقدار ماوصل اليه سواس اليابان من التنور ومعرفة ضروب السياسة وهـذا كله راجع الى العـلم الذى بذلوا ويبذلون فيه كل ما في وسعهم ليل نهار .

هـذا الذي ذكرته بالنسبة للتعليم واما بالنسبة للفنون الاخرى مثل الطب وغيره فهو قد بلغ مبلغا يحق ان نجعله درسا أمامنا ولا أريد أن أذكر هنا من فن الطب عدد الصيدليات والمستشفيات. وانما أذكر ما قد وقفت عليه من اعتناء القوم بأمر الصحة مما يدل دلالة واضحة على أنهم قد أخـذوا نصيبا وافراً من صناعة الطب لم تماثلهم فيه أمة من الامم الاخرى .

وذلك انه توجد حبوب يأمن من يتعاطاها من اخطار داء الدسنتارية وهذه الحبوب تستعمل عند كل الطبقات من الامة حتى ان الحكومة جعلتها من الاشياء الضرورية للجنود وهى مفيـدة ايضـا من حيث البرد فان من يتعاطاهـا يقوى على احتمال البرد القارص والزمهرير الشديد التأثير . وكل جندي كان في زمن الحرب يحمل معه علبة فيها عدد وافر من هذه الحبوب وكثيرا من العقاقير الطبية حيث الجو في منشوريا وحالة الطقس فيها مهلكة خصوصا في زمن الحرب الذي كانت تتولد فيه الامراض المختلفة فكانوا يحملون من العقاقير مايلائم كل مرض يخشون وقوعه . وبسبب تعاطي القوم هذه الحبوب تجد صحتهم متوفرة واجسامهم سليمة صحية وقواهم تامة . والجندي

يتعاطى من هذه الحبوب في كل يوم ٢٦ حبة وجملة ما ينفق منها في طوكيو في اليوم الواحد نحو ٣٢٥٠٠٢٦٠٠ تقريبا .

*
* *

هذا ولما نظرت امم الشرق الى هذه الامة التي بلغت من الرقي الهائل مبلغا عظيما اخذت ترسل اليها الشبان ليتلقوا العلوم في مدارسها وكلياتها ومصانعها حتى انه يوجد عدد عظيم من ابناء الصين يزاحمون الطلبة اليابانية في المدارس هناك .

وقد ألفت لجنة في الهند في حيدراباد الدكن تحت رياسة حضرة المولوى الهمام عبد القيوم افندي وهو من النابغين الذين عرفوا مزية المدنية الحاضرة وحنكتهم حوادث الايام وقد جمعت الاموال اللازمة للانفاق على الشبان الذين تريد أن ترسلهم اللاجنة الى اليابان وهى سائرة بكل اهتمام ونشاط .

فانظر أيها القارئ الكريم الي هذه السعادة التي منحتها أمة اليابان وارفع معي صوتك باخلاص الى الله سبحانه وتعالى داعيا راجيا أن يلهم الامة الاسلامية ما ألهم هذه الامة المتمدنة التي اعتنت بشأن العلوم والمعارف وبذلت جهدها في تعليم الناشئة حتي تخرج من مدارسها من رفعوا شأن أوطانهم وصاروا يعدون في مصاف الرجال العاملين على سعادة أمتهم وبلادهم .

وليس هذا مقام تقريظ اليابانيين فان الايام وحدها وصفحات التاريخ

قد سجلت لهم الفخار الباقي بقاء الاعصار وتوالي الليل والنهار .

ومما نستشهد به الآن على تعلم اليابانيين الترسخانة الحربية التى قل ان يوجد مثلها في بلاد العالم .

* * *

صحبت ذات يوم جناب المسيو جازنيف والسيد حسين عبدالمنعم في زيارتى دار الصناعة الحربية (الترسخانة) فتوجهنا اليها فاذا هى ليست بدار بل هي بلدة كبرى لكثرة مافيها من العمال الذين يعدون بالآلاف. وناهيك بمكان فيه الآلاف ممن يشتغلون في صنع الآلات الحربية لدولة كدولة اليابان .

دخلنا هذه الدار فاستقبلنا بعض الرؤساء وقد غاب عني حفظ اسمه واسم وظيفته فاطلعنا على محال صنع المدافع والبنادق والاسلحة البيضاء وعمل الديناميت والبارود والرصاص فاذا حركة العمل في جد فائق ونشاط مابعده نشاط . وليس استغرابى من حركة هؤلاء العمال بأقل من استغرابى لحركة العمال الذين يصنعون السفن الحربية من مدرعات وبوارج ومراكب التوربيد . اذ دخلنا في غرف ولا أقول انها غرف لاتساعها بل أقول انها صالونات اذ الغرفة على قدر حجم السفينة وارتفاع سقف غرفها يماثل ارتفاع سقف محطة العاصمة ووجدنا تسع مراكب تصنع في تسع غرف وهي تصفح بالفولاذ فعرفت أنها مدرعات . وما زلنا ننتقل من مكان الى آخر حتي عجبت كل العجب . وفي الوقت نفسه تذكرت حديث المسيو كاتسورة مع ذلك الاوربى الذى انتقد على اليابان حيث لم تصنع آلاتها الحربية في المصانع الاوربية وما أجابه جنابه من الجواب المسكت المفحم . وفي الحال

رفعت أكف الضراعة الى الله سبحانه وتعالى أن يرفع من شأن دولتنا العلية وان تكون هي الدولة الاولى في العالم أجمع ذات الطول والحول والقوة.

﴿ السائحون الوافدون الى اليابان ﴾

عرفت الحكومة اليابانية ان السائحين الوافدين اليها لم يفدوا الا ليستفيدوا منها الفوائد العظمى فضربت ضريبة عليهم تختلف قيمتها بحسب درجات الوافدين . وأقل مايؤخذ على الفرد الواحد (ين) والين عشرة غروش بالعملة المصرية .

وقد بلغ عدد ما أخذته من السائحين في سنة ١٩٠٣ (١٨٬٧٠٨٬٠٠٩) ين وفي سنة ١٩٠٤ (١٢٬٩٠٠٬٥٤٥) ين وفي سنة ١٩٠٥ (٢٥٬٣٥٤٬٠٠٠) ين وفي سنة ١٩٠٦ (٢٥٬٩٤٢٬٦٠٧) ين وهذا ولا شك باب من ابواب الايرادات في الحكومة اليابانية التي بها ترقت ماليتها بالنظر لمصرفها . فلو ان حكومتنا جعلت ضريبة على السائحين (ولو غير الانكليز) لحصلت منهم على مبالغ طائلة لاسيما وان الفوائد التي يتحصل عليها السائحون من مصر اكثر منها في اليابان . ولكن شتان بين أمة عرفت كيف ترقي بلادها وأمة الى الآن تجود على الغرباء وهي في اشد الحاجة الى ما تجود به هدانا الله الى سبل الرشاد ومواضع السداد .

﴿ الصحافة في اليابان ﴾

اذا كانت الصحافة في كل أمة هي عنوان تقدمها ودليل ارتقائها فان لها في اليابان التأثير الاقوي في تقدم هذه الامة . وقد عرفت ممن عرفتهم من الصحافيين هناك ان اليابانيين زاد اعتناؤهم بامر الصحافة من عهد الحرب

الصينية الاخيرة التى انتصر فيها الجيش الياباني انتصارا باهرا وسطرت الصحف في العالم عبارات الثناء عليه وعدته من ارقى جيوش الدول دربة واقواهم بطشا واضافت الي ذلك مدح الامة باسرها فزادت رغبة القوم فى قراءة الصحف واقبل الكتاب والادباء على الاحتراف بحرفة الصحافة .

والصحف في اليابان كما هي في سائر الامم الراقية من حيث النوع والمشرب فنها اليومية والاسبوعية والمصورة والهزلية. ولكن المشارب وان كانت مختلفة فان هذا الاختلاف كله راجع الى مصلحة الوطن بحيث لايسمح بجريدة مشربها المطاعن الشخصية . ولا يوجد صحفى دخل السجون بسبب الطعن الشخصي الا القليل والقليل لاحكم له .

اما المجلات فهي عديدة هناك منها الشهرية والنصف شهرية والاسبوعية. والذي نظرته ان اغاب الجرائد السياسية الكبري تصدر في طوكيو عاصمة المملكة واشهر الجرائد اليومية في اليابان هي جريدة . دجي دجي شمبو وجيجي شيمون. كوكومن. ياماتسو ستمبون . يوروزو . ساهي شمبون . جه جوبان. شمبون كارى . المورنن يوستن . طوكيو نتشي. اخبار طوكيو. تيمس اليابان. والجرائد الهزلية كثيرة . الي درجة فوق العادة والاقبال على مطالعتها عظيم من سائر الطبقات . وقد عرفت أيضا أن اخبار المؤتمر الدينى كانت بعيدة عن علم أصحاب الجرائد أيام انعقاد جلساته . فعجبت من ذلك ولكن التمست العذر للحكومة لان من اليابانيين من اعتنق الدين الاسلامي ومنهم من اعتنق المسيحية ومنهم البوذيون والوثنيون. فاذا نشرت المحاورات والمناقشات التى دارت بين اعضاء المؤتمر المنتدبين من الدول لايؤمن من تولد الاحقاد فى نفوس أهل المذاهب الدينية وهذا غاية مايصل اليه الفكر

في معرفة السبب . وكل ما كان يصل إلى علم الناس من أخبار المؤتمر انما هو مما يصل الى علمهم عادة من أخبار الدوائر الخصوصية وهي لا تخلو من بعض الحقيقة ان خلت من جملتها . ومن الغريب أن الجرائد لم تلاحظ على الحكومة أدنى ملاحظة في هذا الخصوص مع الحرية التامة المعطاة لها في القول والانتقاد . وهذا قاصر على سكان العاصمة وأما سكان باقي الجزائر اليابانية فلم يكن عندهم أدنى علم بما حصل في المؤتمر لبعد المسافة بينها وبين العاصمة ولعدم نشر الاخبار في الصحف . وقد تقابلت مع بعض أصحاب ومحرري الصحف الكبري وزرتهم ودارت بيننا مباحثات سياسية وأدبية فبهرني ماوصل اليه الرجل الياباني في الذكاء والفطنة والاخلاق الفاضلة وسعة المدارك وكان أحدهم يحسن الحديث اذا حدث والاستماع اذا حدث. وافضل من عرفته منهم الموسيو بريازن سان صاحب جريدة شمبون كاري والموسيو هاريكوجاوا مدير جريدة دجي دجي شمبو وهما من الكتاب البارعين العارفين بضروب السياسة أتم المعرفة

وقد سئلت عن أشياء كثيرة منها علاقة الامة المصرية بسمو الجناب الخديوي المعظم في مثل هذه الظروف وأمور أخري تتعلق بسياسة البلاد فكنت أجيب بما أعلمه ولا حاجة الى ذكره هنا.

﴿ الخطباء في اليابان ﴾

ان للخطابة في كل أمة تأثيراً عظيماً في كل الاوضاع سياسية كانت أودينية فالخطيب هو كالقائد لزمام قلوب الامة وأجسامها الى حيث الغرض الذي يرمي إليه في خطابه وعلى قدر بلاغة الخطيب يكون التأثير .

واني لم أشاهد خطبا سياسية في مدة اقامتي في اليابان ولكن شاهدت خطب البوذيين الذين يلقونها للوعظ والارشاد . فكنت أتأثر التأثير العظيم. وان كنت لم أعرف اللغة اليابانية ولكن التأثير حصل من حركات الخطيب من جهة صوته علوّا وارتفاعاً وانفعالاته النفسية في الالقاء حيث وجدت في مجتمع لهؤلاء فرأيت الخطيب ممسكا بيده قطعة من الابنوس الاسود طولها ثلاثون سنتيمتراً تقريبا يشير بها الخطيب عند علو الصوت وانخفاضه ورأيت القوم وهم سكوت كأن على رؤوسهم الطير منصتين إلي قول الخطيب والتأثر ظاهر عليهم ظهورا جليا .

وقد عرفت ان البوذيين لهم مدارس خاصة بهم يتلقى فيها الطلبة أصول المذهب البوذي ويتمرنون على الخطابة حتى اذا حصلوا على الشهادة وزع بعضهم على القرى والبلدان للوعظ والارشاد . أما هذه المدارس فهي أشبه شيء بمدارس الاكليروس في الديانة المسيحية والذين يتخرجون منها لا وظيفة لهم في الغالب الا الوعظ والارشاد .

ولا شك في ان خطبهم في المواضع السياسية تكون أعظم منها في المواضع الدينية . لانهم مع اختلافهم في المذاهب متفقون في حب الوطن والخطابة فيه تؤثر في الجميع تأثيرا أعظم وتبعث في نفوسهم الحماس والحمية والهمة والغيرة على الوطن .

﴿ القصاصون في اليابان ﴾

ان كثيراً من العوائد المستهجنة في الامم التي لم تعرف للمدنية معنى لو كانت عند الامم المتمدنة اظهرت بخلاف المظهر الذي تظهر به عند تلك

الامم . ومن هـذه العوائد القصص التى يلقيها القصاصون . ففي مصر اذا مررت بالشوارع الوطنيـة تجد في قهاويها القصاصين الذين يحدثون العامة بسيرة عنترة وسيف بن ذى يزن وأبو زيد والملك الظاهر بيبرس وغـيرهم ولكن هـذه القصص وان كان لها فى الاصل حقيقة ولكن الزيادات التي تضاف اليها تدخلها في دائرة الخرافات ولذلك تري السواد الاعظم في الامة المصرية وان شئت قل في الامة الاسـلامية يعتقدون اعتقادات باطلة في حوادث تاريخية وهم معـذورون لانهم يرون ان كل حكاية يحويها كتاب هي حقيقية واقعية . وقد علل بعضهم هذه الافعال من قلب الحقائق الى أمور لادليل عليها .

ولكن كل هـذا راجع الى شيوع الجهل في هذه الامة . ولو كانت مترقية لألفت في سيرة عنترة وسيف بن ذي زن كتبا لاتحوي الا الحقائق ليكون للعامة والخاصة اعتبار بهذه السير . ولنأخذ عادة اليابانيين مثالا على مانقول .

ان القصاصين في اليابان هم أناس متخرجون من مدارس أنشئت لهذا الغرض فتراهم لايقصون على القوم الا السـير الحقيقيـة التى لها في التاريخ ذكر . فاذا وجد القصاص في محل عمومي وأخذ يلقي قصته لايكاد يفرغ منها حتي تري القوم نفحوه بالدراهم الكثيرة ولكن ماذا يفعل بهـذه الدراهم وماذا يكون عقب فراغ القصاص من حديثه .

***

اذا فرغ القصاص من قصته تجد فى الحال هذه القصة مطبوعة وموزعة على الحضور لانه توجد مطبعة في كل محل يوجـد فيـه القصاص. ثم توزع

القصة على الحاضرين بصفة البيع فيشترونها والقيمة التى تجمع يعطى منها القصاص قيمة أتعابه والباقي يحفظ في صندوق خاص بالكنيسة لاجل أن يوزع على الفقراء وعلي الاعمال الخيرية .

فلينظر العقلاء الى قصاصين اليابان والى قصاصين مصر . ثم ليحكم على كلتا الامتين ليعرف الفرق بين من تشربت عوائدها بالمدنية وبين من تشربت عوائدها بالهمجية

﴿ الاعياد في اليابان ﴾

ان لليابانيين اعيادا سنوية يجلونها ويحترمونها ويحتفلون بها اجل احتفال ويتظاهرون بالمظاهرات الدالة على وطنيتهم ويبذلون قصاري الجهد في الافتنان من ضروب الزينات الفاخرة ويلبسون فيها احسن الازياء ويتبادلون كؤوس الصفاء والمودة والاخاء ويبذلون فيها الخيرات لذوي الحاجات الى غيرذلك من صنوف الاحسان لبني الانسان

واجل هذه الاعياد عندهم هو عيد مؤسس العائلة المالكة اول امبراطور في اليابان وهو الامبراطور «جيمو» الذي ارتقي الى عرش الامبراطورية فى سنة ٦٦١ قبل الميلاد وموعد الاحتفال به في يوم ٨ مارس من كل سنة ثم عيد تذكار جعل مدينة طوكيو عاصمة للمملكة وذلك في عهد جلالة متسوهيتو الميكادو الحالى وموعد الاحتفال به في ١٠ ابريل من كل سنة حيث في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٦٨ جعلت طوكيو عاصمة لليابان بدل مدينة كيوتو وقد تقدم أنه كانت لليابان عاصمتان طوكيو وكيوتو وكانت طوكيو مقراً لعائلة الشجن التي كانت تنازع الامبراطور فى الملك . ولهم اعياد اخري بمكان من

الاعتبار عندهم لم أر حاجة الى ذكرها الآن

(يقظة الحكومة اليابانية حيال افعال مبشري المسيحية)

من المعروف لدي كل سياسي خبير بدخائل السياسة الاوروبية ان الغربيين يتخذون الدين وسيلة توصلهم الى مقاصدهم السياسية وقد كانت حوادث الصين وثورة البوكسر اعظم درس لليابانيين في هذا الخصوص لان ثورة البوكسر اصلها ناشيء عن الارساليات الدينية المسيحيةالتي تجاوزت حد الاعتدال في التبشير بالدين المسيحي حتي احرجت صدور الصينيين فكان ما كان .

وقد حصلت أوروبا على اغراضها بهذه الوسيلة فصار لها نفوذ في الصين بل امتلكت فيه بقاعا لم تكن تملكها بأية وسيلة غير الوسيلة الدينية.

***

ولما جعلت دولة اليابان الديانات حرة في بلادها ووفد اليهاالمبشرون استعملوا نفس الطرق التى كانوا يستعملونها في الصين ولا حاجة الىذكرها هنا . بل غاية ما يقال هو انهم لم يتبعوا طرق الاعتدال فى دعوة اليابانيين الى اعتناق الدين المسيحي . وأيضا فانهم اخذوا ينتشرون فيالجزر اليابانية ويفتحون المدارس لاجل نشر العلوم في الظاهر . وفي الحقيقةونفس الامر أنهم جعلوها متجرا لكثرة المصاريف التي يتكبدونها وهم فى هذه البقاع .

فلما رأت الحكومة اليابانية منهم انهم لم يتبعوا الخطة التى من شأنهم أن يتبعوها انذرتهم انذارا رسميا ونقلت الصحف اخبار ذلك على اختلافها

كما نقل الى سائر انحاء المعمورة ومما جاء في هذه الانذارات ما معناه. انكم أيها المبشرون لما قدمتم الى بلاد اليابان لاجل نشر تعاليم الديانة المسيحية وفتح المدارس لتعليم الناشئة العلوم العصرية حمدنا قصدكم وشكرنا لكم غيرتكم على النوع الانساني وقابلناكم بالترحيب وسهلنا لكم كل الوسائل التي بها تتمكنون من الاقامة بيننا اقامة الراحة والامان على الارواح والاموال والاعراض شأننا مع كل غريب يفد الى بلادنا لاجل نفع ابن جنسه . ولكننا لم نلبث الا قليلا حتى رأيناكم خالفتم سنة الاعتدال في هذه الاحوال. ورسمنالكم الخطة التي تسيرون عليها وابلغناكم اياها رسميا عساكم تكونون جاهلين باخلاق وعوائد البلاد وحتى لايكون لكم عذرفيما بعد اذا عاملناكم بخلاف معاملتنا الاولي ثم تلتفتوا الى هذه الخطة ولم تعملوا بها ونبذتم مارسمناه لكم وراء ظهوركم.

اما الآن وقدفعلتم هذافان الحكومة تنذركم انذارها الاخير وتحذركم عواقب الخروج عن حد الاعتدال . فان عملتم بما رسمناه لكم أولا فبها ونعمت والاحل بكم ماحل بأمثالكم في بلاد الصين :

***

والذي يطلع على هذه الانذارات ويدقق النظر فى لهجتها يعلم مقدار ماوصل اليه المبشرون من الضيق في بلاد اليابان لان من شأن المبشرين في غير هذه البلاد أنهم يفعلون مايشاؤن مع الامم التي يوجدون بين ظهرانيها وهى عريقة فى الهمجية لاتدرى الضار من النافع . ولذلك تجد كل بلاد احتلتها أوربا في البلاد العريقة في الهمجية قد وطئتها اقدام المبشرين قبل جنود الدولة المحتلة.فهم حسبوا أن كل أمة لم تكن متدينة بالدين المسيحى

يجوز عليها ماجاز على غيرها ولو كانت على نصيب من العلم والمدنية وهذا من الخرق فى السياسة بمكان .

﴿ تجول فى بعض بلاد اليابان ﴾

بعد ان أقمنا في مدينة طوكيو نحو الاسبوعين أردت ان أتجول في بعض بلاد اليابان ووافقني على ذلك حضرة الحاج مخلص محمود والسيد حسين عبدالمنعم واخترنا الذهاب الى مدينة كيوتو عاصمة اليابان القديمة لانها المدينة الوحيدة بين سائر مدن اليابان بعد طوكيو من حيث جودة هوائها واستكمالها انواع الحضارة والمدنية ولما فيها من كثرة المتنزهات الجميلة والمسافة بينها وبين طوكيو نحو الست ساعات تقريبا لراكب السكة الحديدية .

ركبنا القطار وفي اثناء الطريق كنا نطل من نوافذ العربة على الجانبين فنرى الغابات الكثيرة والاشجار والارض المكسوة بساطا سندسيا من النباتات والزراع يفلحون الارض ويتعهدون الزرع الى غيرهذا من المناظر التي تروق العين وتسر الخاطر .

ولما كان من شأن المسافرين صحبة أن يتجاذبوا أطراف الحديث كان حضرة الحاج مخلص محمود يحدثنا عن احوال الروسيا وما يلاقيه الرعايا هنالك من انواع الظلم والاستبداد مما لم يسمع بمثله الا في عهد الرومانيين وعلى الخصوص الرعايا المسلمون الذين كان يقص علينا من أحاديث اضطهاد الروس لهم وظلمهم إياهم مايجري شؤون العيون بدل الدمع دما ويدع القلب الذى كأنه قد من الصخر إلي الرأفة بهم والتوجع لهم الامر الذي دعانا الى

تصديق كل ما تنقله الصحف السيارة عن المظالم التي يعانيها المسلمون هناك وقد يتسع بي مجال القول اذا سردت كل ماقصه علي من هذا القبيل ولكن أذكر بعضها على سبيل الاستشهاد على أن الروسيا لم تجر على السياسة الفاضلة حيال رعاياها المسلمين .

فمن ضمن هذه المظالم كثرة الضرائب التى تضربها عليهم وعلى باقي الرعايا يكون المسلمون فيها مخصوصين بالزيادة .. فمثلا اذا كانت الضريبة على غيرهم قرشا على الفرد الواحد تكون على المسلم قرشين أو قرشا ونصفا على الاقل . وكذلك اذا اراد المسلمون أن يفتحوا مدارس لتعليم ابنائهم العلوم بلغتهم التترية الاصلية تحظر عليهم تلك الحكومة وتأبى الا ان يكون التعليم باللغة الروسية وهذا ولا شك يعد من الاستبداد الذى لا تأتيه دولة تدعي أنها نصيرة السلم وحليفة المدنية . وما زال الحاج مخلص محمود يقص علينا أمثال هذه الاحوال وعلامات التأثر بادية في وجهه . فكنت ألاطفه في تفريج همه وازالة غمه وكذلك كان يفعل السيد سليمان الصيني في تهدئة روعه وبل غليله الذي جعله كانه شعلة من نار تتقد ومما قاله الحاج مخلص هذا : إن الله سبحانه وتعالى لما علم أن دولة الروس تمادت في الغطرسة وعدم المبالاة بأية دولة أخري وبلغ بها ضرر بني الانسان مبلغه أراد أن يخذلها ويكسر من شوكتها ويقلل من اعتبارها في أعين الناس وسائر الدول والامم على يد هذه الامة اليابانية التي خذلتها في ميدان القتال وجعلت أرض منشوريا مقابر لرجالها ودمرت اسطولها وطردتها من منشوريا وأخرجتها مرغمة مقهورة بعد تلك الأنفة والعظمة . وأبطلت قول القيصر ووزرائه وقواده « لأؤدبن اليابان مائة مرة » اذ انقلب هذا المعنى إلى

الروس فأدبتها اليابان الف مرة ومرة على نهر اليالو واضعاف ذلك في مياه تشيوسيما واضعاف اضعاف ذلك في بورت ارثر .

***

هذا وبعد أن قطعنا بعض محطات في سيرنا احسسنا بالجوع واخترنا أن لا نأكل غير الخبز والسمك فلم يتيسر لنا ذلك فرأينا بعض الباعة في إحدي المحطات يحملون عليا أشبه شيء بصناديق صغيرة الحجم مربعة من الخشب يبلغ حجم الواحدة منها عشرين سنتيمترا وعلمنا أن بداخلها شيئاً من المأكولات فاشترينا ست علب لكل منا علبتان يساوي ثمن الواحدة أربعة أخماس القرش الصاغ . فتحناها فاذا فيها الارز المفلفل اللذيذ الطعم في جانب من العلبة وفوقه قطعة من العجة المتخذة من بيض الدجاج وفيها لقمة من الخبز ومن الجانب الآخر قطعة من السمك المقلي في الزيت وشيء قليل من الخضراوات لم نعرف اسم نوعه . ويفصل الارز عن غيره قطعة من الخشب الرقيق وبأسفل العلبة شيء من الحمص الكبير الحبات مطبوخ ومملح وكل هذه الاطعمة اللذيذة تسمي « بنتو » كما يسمى الترك انواع الخضراوات المطبوخة مع بعضها « طورلي » ولكن الفرق بين الصنفين كبير في الطعم واللذاذة فاستفدنا بشراء هذه العلب أكلا لذيذاً واكتشفنا مجهولا لم نكن نعرفه .

ومن الغريب أن الملعقة التي يؤكل بها الارز قطعتان من الخشب صغيرتان احداهما لليد اليمنى والاخري لليد اليسري والتي لليد اليمني مجوفة عريضة والتي لليسري أقصر منها وأقل في العرض ووظيفة هذه تهيئة الارز لتلك بحيث يسهل عليها تناوله

والعلبة الواحدة منها اشبعت كلا منا على جوع شديد . ولما فرغنا من الأكل رأينا الوابور يسير بين فضاء من الماء شبيه بالبحيرة يشبه لون ارضه القبة الزرقاء ينبت في وسطه العشب فكأنه بساط بديع النقوش أجاد صنعه الصانع . ووسط هذا المتسع جبال تكسوها الغابات التي جملت هذه الجبال ذات منظر جميل يحبس عليه نظر العيون وهذه الغابات غرسها الوثنيون في الزمن الغابر حيث كانت لهم منازل ومعابد في هذا المكان وبجوار هذه البحيرة مدينة كبيرة جميلة المنظر لم نستطع النزول فيها واسمها مدينة (انسو) ولهذه البحيرة ذكر في التاريخ اذ كان يأتي اليها الشعراء والكتاب والفلاسفة للتريض فيها ويجعلونها ميدانا تتسابق فيه جياد قرائحهم وأقلامهم. ولذلك حفظ التاريخ لها ذكرا بين صفحاته كما حفظه للرصافة والجسر من ذلك العصر

***

وبعد ان اجتزنا هذا الفضاء مر الوابور بين متسع آخر ولكنه مكسو بالاشجار والدوحات الكبيرة والغابات البديعة المنظر أكثر من الأول . وبعد نحو العشرين كيلو مترا تقريبا وصلنا الى مدينة (أواوسكا) وهي واقعة على نهر مسمى بهذا الاسم وتتخللها الخلجان كما كان الخليج في القاهرة . وفي هذا النهر جزيرة صغيرة في هيكل ضخم البنيان بناه الوثنيون لآلهتهم في الزمن الغابر . وهذه الجزيرة وهذا الهيكل أشبه شئ بجزيرة أنس الوجود الموجودة في النيل المصري عند اصوان . .

أما مدينة (أواوسكا) فهي ذات شهرة في التاريخ لأنها كانت عاصمة (السيكون) وهو احد الملوك اليابانيين الذين اخضعوا كوريا لحكمهم

وسلطتهم . ولما كان هـذا الملك مشهورا فى تاريخ ملوك اليابان بنوا له في هذه الجزيرة تذ كارا كالبرج ضخم البناء . وكل هذه المناظر الجميلة كانت داعيـة ارتياح النفس . وكنا نتناول أحاديث الفكاهة والنوادر المستظرفة والادبيات الشعرية وغـير ذلك من الاحاديث اللطيفة والناس ترمقنا بعين الاسـتغراب لاننا اغراب وأصحابي مختلفي شكل الاثواب . ومن أغرب مارأيناه في مسيرنا أن الوابور مر في سيره على كوبري فوق نهر وهـذا الكوبرى كان قبل ان يصل الوابور معلقا في الفضاء بواسطة اعمدة منصوبة لرفعه ووضعه بمهارة غريبة فلما وصل القطار انزل هذا الكوبرى على النهر وبعد مرور القطار رفع ثانيا وهـذا دليل على ماوصلت اليه امة اليابان من الرقي الصناعى بواسطة العلوم التى تلقوها واجتهدوا في نشرها .

﴿ مدينة كيوتو ﴾

وصلنا الى هذه المدينة فاذا هي بين رياض مونقة في داخلها وضواحيها مع نظام ابنيتها وسعة طرقاتها وطيب هوائها وجمال موقعها الجغرافي الطبيعى فضلا عن كثرة المعامل الصناعية والفابريقات التى تعد بالمئات . وهي واقعة على شاطئ بحيرة ينبت فيها الاعشاب والشجيرات مما اكسبها منظرا دعاها لاجله اليابانيون بجنة اليابان .

وإذا كان يوصف المؤدب ذو الاخلاق الفاضلة بالملك (بفتح اللام) فيكون اهل هذه المدينة من افضل الاجناس لان اخلاقهم وآدابهم خصوصا مع الغرباء في الدرجة القصوى من الاعتبار .

والذي استلفت نظري كثيرا تأدب البوليس فيها بحيث اذا سأله واحد

عن اي مكان وكان قريبا منه وداخلا في دائرة اختصاصه يدلك بنفسه عليه ويسير معك حتى تصل الى المحل المقصود لك واذا كان بعيدا أوصلك الى الجندى لذي بجانبه في نقطة أخرى وهذا يوصلك للآخر حتى تصل الى المحل الذي تريده .

***

وبما ان شكل الملابس التي علينا لم يألف رؤيتها اليابانيون كنا نمر في الشوارع والعيون شاخصة الينا محدقة بنا . وبينما نحن في المسير واذا برجل هندستانى مسلم اعترض طريقنا وصافحنا مصافحة الاوداء وخاطبنا بلسان لم يعرفه غير حضرة السيد سليمان الصيني ومعناه أنه رجل مسلم هندستانى حضر للاتجار وله سبع سنوات متغرب عن أهله وهو يريد أن نكون ضيوفه في شرب الشاي اذ الرابطة الدينية جذبته الينا فهو يريد الائتناس بنا ساعة من الزمان فشكرنا له شعوره وغيرته الدينية واجبناه الى رغبته وفعلا توجهنا الى منزله فأحضر لنا الشاي وأخذ يلاطفنا ونؤانسه مدة من الزمن .

وبعدها انصرفنا على وعد منه أنه يجيء الينا في طوكيو اذا سمحت له ظروف الاحوال . وهذا الرجل من الذين أدبهم الدين الاسلامي فاحسن تأديبهم ثم ان ظروف الاحوال لم تساعده على ان نحظي به مرة ثانية في طوكيو . وبعد ان اقمنا في هذه المدينة نحو اليوم والليلة رجعنا مرة ثانية الى طوكيو سالمين

﴿ العودة الي الاوطان ﴾

اني ادع الى القارئ الكريم تقدير شوق الغريب الى اوطانه بعد ان

طرحته النوي عنها مطارحها الى ابعد بلاد الله نحو بلاده لاني كنت لا يهنأ لي طعام ولا شراب حينما كنت أفرغ من العمل الذي لاجله غادرت اوطاني واختلى بنفسي مفكرا في الاحوال والاطوار التي تطرأ على المرء في حياته . ولكن كانت تسليتي هي الخدمة الدينية التي قمت بها وتحملت المشاق لاجلها.

هذا ولما قضينا في بلاد الشمس المشرقة نحو اثني وثلاثين يوما عزمت العودة الي وطني ومسقط رأسي وكان يصحبني رفيقي فلم يكد يسمع بهذا النبأ من عرفتهم من أهل اليابان خصوصا الذين اسلموا منهم على يدنا حتي حضروا الينا يوم الوداع وكلهم آسف على فراقنا راغبين في بقائنا بين ظهرانيهم اياما عديدة ، ولكن بينا لهم وجه العذر وعرفناهم اننا لا ندع فرصة تمكننا من العودة اليهم الا اغتنمناها ولما جاء ميعاد السفر صحبنا جناب المسيو جازنيف والمسيو اراتيبور واخوته الى يوكوهاما ولما وصلناها كان الاسف الشديد تبدو علاماته على وجه كل من المسيو جازنيف والمسيو اراتيبور واخوته وحينئذ تحققنا من صحة اسلامهم ، ولما جاء ميعاد اقلاع الباخرة ودعناهم والقلب ملوءه الاسف الشديد .

غادرنا بلاد اليابان بعد ان قضينا بها نحو اثني وثلاثين يوما وبعد ان عرفت من احوال هذه الامة الراقية مالم يكن يخطر على بال وبعد ان قمت بمهمتي . وبعد ان صرفت من جيبي الخاص ما قدرني الله تعالي عليه بدون التماس مليم واحد من احد من الناس سواء كان في مصر أو الخارج وهذه يدي شهيدة على ذلك ، وقمنا على باخرة من بواخر الشركة الصينية ومكثت تمخر في عباب اليم نحو احدى وعشرين يوما حتى رست في مياه كلكته . وقد

مرت في طريقها على جزر وبلدان كثيرة تقدم وصفها والاطناب فيها في غير هذا الموضع مما لا داعي لذكره الآن .

﴿ شذرة من تاريخ الهند ﴾

اذكر هنا باختصار شيئا من تاريخ الهند اتماما للفائدة فاقول .

ان للهند تاريخا مملوأ بالحوادث العجيبة البعيدة عن تصديق العقلاء من خصوص عوائد ومعتقدات أهل هذه المملكة وما جري فيها من الوقائع مما لا طائل تحته لو ذكرته هنا ولكن أذكر بعض الوقائع والحوادث التي تتعلق باحوال الهند السياسية

* * *

كان الملك سيزوستريس احد ملوك الفراعنة قد غزا بلاد الهند بالجنود المصرية وحصلت بينه وبين جيوش الهند وقائع دموية تغلب فيها على بعض ولايات ومقاطعات وحمل من الغنائم والاموال شيئا وافرا . ثم اعقبته الملكة سميراميس وفتحت عدة مدن واستولت عليها وفعلت كما فعل سيزوستريس من أخذ الغنائم وغير ذلك ، ومن هذا يعلم أن الجندي المصري وصلت به شجاعته وإقدامه الي أن وطئت قدمه ارض آسيا الكبرى .

ثم قصد الهند بعد ذلك الملك داريوس هستاسب ملك فارس وأوغل فيها وفتح عدة ولايات وأدخلها في أملاكه . وجاء بعده اسكندر المكدوني الفاتح العظيم وغزا بلاد الهند بجيش جرار يبلغ زهاء المائة وعشرين ألفا واخذ يغزو البلاد والمدن ويفتح الممالك الهندية ويستولى على الغنائم حتى فتح عدة ممالك وكان يريد أن يستولى على الهند كلها بحيث لا يترك شبر

أرض لم يدخل تحت حكمه . ولكن جنوده وقواده لم يوافقوا على ذلك فقفل راجعا بعد النصر الباهر . والفتوحات العديدة .

***

ولما ظهر الاسلام في الوجود واخذت فتوحاته تمتد في شرق البلاد وغربها ذهب جيش من المسلمين الى الهند تحت قيادة رجل يقال له محمد قاسم أحد قواد بني أمية في خلافة الوليد وذلك سنة ٧١١ للميلاد . وكان هـذا القائد شجاعا مقداما خواض غمرات بطل غارات والجيش الذى غزا به الهند من العرب لم يتجاوز عدده الستة آلاف مقاتل ممن ولدتهم الحروب ورضعوا ثدي الوقائع . فأخذ يلاقي بهذا العدد القليل جيوش الهند فيهزمها ويفرقها في الآفاق ويجندل الابطال حتى أوغل في داخلية البلاد والنصر حليفه والفوز ظهيره اينما سار . وكان كلما فتح بلدا يعرض على أهله الاسلام فمن أسلم وكان سنه فوق السبعة عشر عاما سلم ونجا ومن أبي قتله . أما النساء والاطفال فكان يأخذهم سبيا ويستعبدهم .

ومن الوقائع الشهيرة التى أحرز فيها المسلمون النصر الباهر وهى من الغرابة بمكان . أن هـذا القائد الباسل التقي بجيش من الهنود عنـد مدينة حيدراباد الدكين يبلغ الخمسين الفا تحت قيادة رئيس يقال له الراجا الظاهر فاشتبك الجيشان في القتال ودارت رحي الحرب ومع قلة عـدد المسلمين استظهروا على جيش الهند وقتل الراجا وابنه ولجأ المنهزمون الى المدينـة فحاصرهم المسلمون حتي ضاقوا ذرعا ونفدت من المدينـة الاقوات وصاروا في حالة سيئة . ولما يئسوا وأيقنوا بالهلاك جمعوا النساء والاولاد وودعوهم الوداع الاخـير . وجمعوا الحطب وأحرقوهم عن آخرهم خوفا من وقوعهم

في يد العرب المسلمين . وبعد ذلك خرجوا لقتال المسلمين وهم مستميتون فلاقاهم المسلمون لقاء الابطال وما زال القتال متواصلا حتي أفنوهم عن آخرهم وكانت ابنة الراجا فيمن اخذ في السباء وهي على جانب عظيم من الحسن والجمال . فأرسلها محمد قاسم هدية الى الخليفة الوليد ولما مثلت بين يديه أعجبه جمالها وأراد التسري بها فقالت له : لاتفعل ذلك أيها الملك لأني لست أهلا لما تريد ولا يليق بملك مثلك أن يأكل فضلة أحد رعيته فلما سألها عن السبب قالت له : ان القائد الذي حاربنا قعد مني مقعد الرجل من المرأة فغضب الوليد وارسل من يأتي له بمحمد قاسم لينتقم منه فلما ذهب الرسول واستدعي محمدقاسم أجاب بالطاعة ولكنه مرض في الطريق ومات. فحملت جثته الى الخليفة ولما وضعت بين يديه أحضر الفتاة وقال لها كيف ترين من فعل معك تلك الفعلة الشنعاء فقالت أيها الملك اني لم أقل ماقلته الالاجل أن أنتقم لابي منه والحقيقة انه لم يفعل شيئاً مما اخبرتك به ففرح الخليفة وتسري بها .

وبعد موت محمد قاسم جمع الهنود قواهم واستعدوا لقتال المسلمين وفعلا حاربوهم واخرجوهم من بلادهم واستخلصوا منهم كل البلاد التي أخذوها .

***

وفي سنة ٩٦٧ ميلادية غزت الاعاجم بلاد لاهور الهندية تحت قيادة رجل فارس يقال له سويكتاجي حاكم ولاية كندهار والآن هي ولاية فارسية عاصمتها غزنة فقهر ملك لاهور واستولي على عدة مدائن ضمها الى ولايته التي هي الآن حكومة افغانستان وكانت في ذلك العهد إحدي ولايات

العجم . ولما مات هذا الحاكم خلفه ابنه محمود الغزنوي وذلك سنة ٩٩٧ ميلادية وكان محمود هذا عالي الهمة فحدثته نفسه بالاستقلال وفعلا استقل بملكه وحارب الاعجام وانتصر عليهم . ووالى الغزوات في بلاد الهند واستولى على بلاد عديدة ضمها الى مملكته ومكث ملكا نحو خمسة وثلاثين سنة ثم توفي ونقل خلفاؤه عاصمة السلطنة من غزنة الى لاهور . ثم خلف العائلة الغزنوية العائلة الغورية ومن أشهر ملوكها السلطان محمد الغوري الذي امتدت الفتوحات الاسلامية في عهده في بلاد الهند امتداداً عظيماً . ثم اعقب هذه العائلة شعوب المغول ومن أشهرهم تيمورلنك الذى له ذكر في التاريخ خصوصا في عهد ابتداء تأسيس الدولة العلية

***

وهكذا استولى ملوك من المغول والفرس على بلاد الهند حتي وطئها قدم الافرنج . وأول من دخل فيهم في هذه المملكة البرتغاليون وذلك سنة ١٤٩٧ وهم الذين اكتشفوا رأس الرجاء الصالح ودعوه بهذا الاسم وفي مدة خمسين سنة صارت لهم أملاك ومراكز تجارية في بنكال ثم انهم لم يحسنوا معاملة الاهالي فأبغضوهم وتعمدوا الأذى معهم . ولما دخلت البورتوغال في حكم الاسبان وكانت اسبانيا مضطربة من خصوص املاكها الاميركية نخسرت املاكها الهندية تدريجا . ثم جاء بعدهم الفلمنكيون الذين مكثوا في بلاد الهند حتي دخلها الانكليز فحلوا محلهم وامتلكوا الهند نهائيا .

***

وأول تداخل الانكليز في الهند كان سنة ١٦٠٠ م اذ شكلت شركة انكليزية تجارية للمتاجرة في الهند الشرقية وأول بلد اتخذتها هذه الشركة

مركزا لتجارتها هي مدينة سورات. ومكثت هذه الشركة إلى سنة ١٦٤٠م. وفي هذه السنة وهبها أحد الولاة قطعة أرض تبلغ مساحتها خمسة اميال مربعة فبنت الشركة فيها منازل. ومركزا للتجارة ثم اشتروا من وال آخر قطعا أخرى وبنوا فيها مراكز أشبه بخانات من حيث التجارة وأشبه بالمراكز الحربية من حيث أنهم كانوا يضعون فيها الاسلحة خوفا من اغارة الاهالي عليهم. وأول مرة ظهر فيها طالع سعد انكلترا أن ابنة الشاهجهان صاحب مدينة دلهي أصيبت بحروق كادت تقضي عليها لولا أحد الاطباء الانكليز الذي أرسلته الشركة لمعالجتها ونالت الشفاء على يديه فسأل الشاه هذا الطبيب أن يطلب مايريد في مقابلة اتعابه واظهر له سرورا وارتياحا. فطلب الطبيب منه ان يصدر أمره باعطاء الرخصة للشركة في ان تنشئ مراكز تجارية في كل انحاء المملكة بدون أخذ رسوم غير التي تدفعها في سورات. فأصدر الشاه أمره بذلك وفي سنة ١٦٦٢ على عهد الملك كارلوس الثاني ملك انكلترا تنازل الشاه للشركة عن جزيرة بومباي نظير مبلغ معلوم جاعلا هذا التنازل هبة منه لانكلترا فنقلت الشركة مركزها في سورات وجعلته فيها واقامت حاكما انكليزيا عليها فصارت هذه الجزيرة قطعة من أملاك انكلترا.

وفي هذه الاثناء دخل الفرنسويون بلاد الهند للتجارة وفي زمن قليل صار لهم نفوذ فوق نفوذ انكلترا ولكن نجم سعدهم أفل حيث حظ انكلترا كان أخذا في الصعود وقد حصلت عدة وقائع بين الانكليز والفرنسويين بسبب المنافسات فاز فيها الجندي الانكليزي على الفرنسوي. وهكذا أخذت الشركة الانكليزية تقوي نفوذها حتى عوضت انكلترا

بالهند مافقدته من املاكها الامريكية وهي تحت حكمها الآن حتى يفعل الله مايشاء .

﴿ مدينة كلكته ﴾

هذه المدينةهي عاصمة الهند الانكليزية بل هي أكبر مدينة في سائر الاقطار الهندية واذا أردت أن اصف الى قراء هذه الرحلة بالتفصيل كل ماحوته هذه المدينة من ضروب المدنية وصنوف الحضارة لحدا بي هذا الى الاسهاب الممل . اذ وصف مدينة هى عاصمة البلاد ومملكة لها في التاريخ ذكر مجيد من يوم أن خلقت الارض الى هذا العهد لايكفي لاجله الا مجلد ضخم يكون سفرا على حدته لأن يكون موضوعا في المواضيع التي تكتب فيها مثل هذه الرحلة . ولهذا أذكر عنها ما لا بد من ذكره ملتزما خطة الايجاز .

***

هذه المدينة واقعة على ضفة نهر هوجلى الشرقية ويقابلها على الضفة الغربيةمحطة هورا وهى المحطة الكبري التي تنفرع منهاسائرالخطوط الحديدية الرابطة سائر العواصم الاخري بالعاصمة الكبري . ولا تكاد تمضى ساعة حتي تري القطارات ذاهبة وآيبة بين قطارات البضائع والركاب مما يؤخذ منه أن الحركة التجارية في كلكته هي كأعظم مايكون في العواصم والمدن الاوروبية .

أما انتظام الطرقات والشوارع ومنظر الابنية فيها فحدث ولاحرج . وناهيك بمدينةقطنها نحو ٠٠٠و٣٠٠و١من النفوس هي قاعدةالامبراطورية الهندية كيف تكون حالتها العمرانية من هذا القبيل . وأعظم الشوارع اتساعا

وأجملها منظرا واكثرها عمارية هو شارع سيتهوررود . وفي هذا الشارع يوجد المسجد الجامع وبه ايضا اغلب محال الاوروبيين التجارية ومنازلهم الفاخرة والتياترات ومحال الملاهى . ويليه في الاهمية شارع هربين رود فشارع درام تلد فشارع بوبزار . وكل هذه الشوارع عامرة بالمحال التجارية والعمارات ذات المنظر البديع والرواء الجميل .

وبمدينة كلكته كثير من الاسواق الحافلة بأنواع البضائع الثمينة واهم هذه الاسواق واكبرها السوق المسمي « باربازارا » و « ناي بازارا » بحيث اذا مر الغريب بأحد هذه الاسواق يصير موزع النظر لما حوته من الخانات والمحال التجارية الكبري التى تبهر العقول وتأخذ بمجامع القلوب أما معامل النسيج فهي تعد بالمئات ومنها تصدر الاقمشة الحريرية والغير حريرية الى سائر الاقطار الهندية والى غيرها من البلاد الاخرى .

أما هواء كلكته فهو معتدل وقد اخبرت ان هذا الاعتدال حصل بعد ان زالت المستنقعات التي كانت تنبعث منها الروائح المنتنة المسببة لكثير من الامراض والاوبئة . وبعد ان وجدت المنزهات وغرست الاشجار الملطفة للهواء وبالجملة فان مناخ مدينة كلكته كأحسن مناخ يوجد في اعظم بلد متمدنة

﴿ سكان كلكته ﴾

أما السكان في هذه المدينة البالغ تعدادهم نحو المليون وثلاثمائة الف فهم من أهل نحل ومذاهب متعددة . والمسلمون منهم يبلغ عددهم نحو المائتى الف نسمة . والباقون من البنغالية والهندوس والملوارية . وعوائد القوم هناك

وازيائهم وصورهم تختلف باختلاف الاجناس. فالبنغاليون يغلب عليهم السواد وضخامة الجسم وهم يلبسون نوعا من اللباس يقال له « لنفوته » وهو عبارة عن ازار طويل يلف على الخصر ويؤخذ طرفه ويدخل من بين الرجلين ويرشق عند منتهى سلسلة الظهر وما بقي من سائر الجسم يبقى في الغالب عاريا . وهذا الشكل من اللباس لا يكون الا عند الامم التي لم تعرف للحضارة معنى وهو قبيح لا يليق بالآداب . وهذا الذى شائع في السواد الاعظم من هذه الطائفة . أو بعبارة أخرى الطبقة الوسطي منهم . ومن أخلاق البنغاليين أنهم سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم . ولا يألفون الذل الا قهرا وبعد نفاد جلدهم . وبما أن البنغاليين هم أكثر الاهالي عددا فان اغلب مستخدمي الحكومة وعمال المحال التجارية والمصانع منهم . وهم كاليهود يبذلون الجهد في جمع الدرهم .

ومنهم الكفرة وغالب العامة منهم ولكن املاكهم على كثرة عددهم كثيرة . أما الماواريون فهم في الزي اقرب الى البنغاليين ولكنهم يخالفونهم في إرخاء الازار وستر باقي الجسد ووضع منديل أو قلنسوة على رؤوسهم ولونهم أبيض مع اعتدال القامة وشيء من تقاسيم الحسن والجمال . وليس لهم اهتمام بالشؤون السياسية ولهم ولع لا مزيد عليه في جلب الدرهم ولذلك استغواهم البنغاليون بدعوى انهم سيربحون في وراء الثورة مالا كثيرا أما المسلمون سواء كانوا من الهنود أو غيرهم فانهم يلبسون السراويل والقميص والسدريات الطويلة والعلماء منهم يلبسون الجبة والفرجيات وبالجملة فان لباسهم أحسن لباس اهل الهند جميعا فقراء كانوا أو أغنياء .

حالة التعليم في الهند

انّا اذا اعملنا نسبة بين تعداد اهل الهند وبين حالة التعليم في هذه البلاد نجد درجة التعليم فيها منحطة والمدارس الموجودة في كلكته وغيرها من المدن الاخري غير وافية بالحاجة المطلوبة وان ماتنقله الجرائد من اخبار انشاء المدارس لا يؤخذ منه ان الهند خطت في سبيل التعليم الخطوات الكافلة لان يتخرج من اهل البلاد رجال ينهضون بها الي حيث الدرجة التي تصبح بها البلاد الهندية في مصاف الامم الراقية .

***

ان في الهنـد مدارس تابعة للحكومة واخرى تابعـة للاهالي ولكن نسق التعليم فيها ناقص بالنسبة لما تقتضيه حاجة الاهالي من التعليم الراقي . اذ ليس هناك مدارس للمعلمين كما يوجد بمصر وكل الذين يعدون من الطبقة المتنورة من اهل البلاد انما هم متخرجون من مدارس انكلترا .

نعم وجدت كلية عليكرة وهي وان كانت مدرسـة عالية ولكنها حديثة عهد الوجود . ولذلك لم تظهر لها نتيجة . على أن الاهالى في حاجة شديدة الي أمثال هذه الكلية . وقد يعلل بعضهم عدم كثرة المدارس العالية بعلل قد يكون لها نصيب من الصحة عند من لهم المام بحل الطلاسم السياسية وذلك ان الحكومة الانكليزية تري من صالحها ان لا يترقي الاهالي لان في ترقيهم نهوضهم وفي نهوضهم نزوع الى طلب الاستقلال وهو مالا ترضاه دولة انكلترا ولو كانت هـذه الدولة تريد ان ترقى الامة الهندية لساعدت على انشاء الكليات والمدارس العالية وهى قادرة على ذلك

وقد كان للحكومة مدرستان في كلكته لتخريج القضاة والمحامين ولكنها فصلتهما عنها لما وقع بين الحكومة والبنغاليين في الخلاف إحداهما مدرسة «تسمن ريش كالج» وناظرها يدعي سنربذرو بنرجي بابو» وهو زعيم ثورة البنغاليه وصاحب ومدير سياسة جريدة «بنغالى أخبار» اليومية التى تصدر باللغة الانكليزية . والمدرسة الاخري تسمى «سنتى كالج» وناظرها يدعي «هرنبوميتر»وهو ايضا من زعماء الثورة البنغالية . وقد يمكننا ان نلتمس العذر للاهالى في عدم مقدرتهم على ترقية حالة التعليم لانه لا يوجد فيهم من يوف الطرق الموصلة الى ذلك بغير واسطة الحكومة. وكان انكلترا وفرنسا تعاهدتا على اماتة الامتين التونسية والهندية ميتة أدبية للغرض المتقدم .

هذا وان هذه النهضة الحديثة التى نهضها الاهالى من الهند من جهة التعليم تبشر بمستقبل حسن زاهر رغم العوارض السياسية . وذلك راجع الى شعور الذين نبغوا وتعلموا في مدارس انكلترا وعرفوا مقدار حاجة البلاد الي التعليم الذي من ورائه استقلالها وسعادتها . وهم وان كانوا يلاقون مايلاقون ممن يتملقون الى رجال الحكومة من الانكليز ويعملون بما يوافق أغراضهم فقد تمسكوا بعري الصبر والجد ومن كان كذلك لا يحرم من ثمر اجتهاده ولكل مجتهد نصيب .

﴿ شعور مسلمي الهند نحو الخلافة العظمي ﴾

لا يوجد مسلم في الارض وفي قلبه مثقال ذرة من الايمان الا وعنده شعور حي وانعطاف نحو عرش الخلافة الاسلامية . لان حب المسلمين

لخليفتهم أمر طبيعي غرسه الدين في قلوبهم . ولكنهم يتفاضلون في هذا الشعور وهذا الانعطاف قلة وكثرة . وان هذا التفاضل يظهر بأجلى مظاهره بين المسلمين الذين تحكمهم الدول الاجنبية عنهم دينا ودنيا لانهم في هذه الحالة يكونون اشبه شيء بالغريب عن وطنه الذي بينه وبينه عقبات وموانع لاطاقة له على اجتيازها حتى يصل اليه وتقر عينه بنظره وتنتعش روحه بنسيمه وطيب هوائه. فهو ابدا يحن اليه وان كان في خصب من الارض وسعة من العيش . ويزداد عنده هذا الحنين كلما صادف انواع المتاعب في غربته . وهذا خير مثال للمسلم الذي يعيش تحت سلطة غير سلطة الخليفة .

هذا وان لمسلمي الهند شعورا نحو عرش الأمامة الكبري هو اكبر دليل على أنهم أشد مسلمي الارض تعلقا بهذا المقام وقد ظهر أثر هذا التعلق في ظروف احوال ليس العهد منها ببعيد .

فمنها اكتتابهم بالمبالغ الوافرة لسكة حديد الحجاز واحتفالاتهم الباهرة لهذا الغرض والقاء الخطب الحماسية حثا على الاكتتاب حتى انهم في مدينة كلكاته جعلوا لكل حارة صندوقا توضع فيه الاعانات كما انهم جعلوا لها جباة خصوصيين كما أن الاغنياء جاد كل واحد منهم بما لم يجد به احد من اغنياء المسلمين من الاقطار الاخرى . وقد ذكرت في جريدتي «الارشاد» اخبار الاحتفالات ونص الخطب التي كانت تلقى فيها والمبالغ التي جاد بها الموسرون وارباب الغيرة منهم .

ومنها اظهارهم الاستياء المتناهي إبان مسئلة العقبة حتى انهم بعثوا بتلغراف الى البرلمان الانكليزي يظهرون به مقدار ماخالج أفئدتهم في تحامل انكلترا على الدولة العلية الامر الذي لم يفعله غيرهم من باقي المسلمين .

وبما ان الكبراء في كل أمة هم مثال لكل الافراد المكون منها مجموعها فاني اذ كرهنا بعض الافاضل الذين هم دعاة هذا الانعطاف السامي غير مفضل واحدا على الآخر لانهم فيه كالحلقة المفرغة التي لا يعلم طرفاها . وهم حضرات الافاضل المولوى شرف الدين القاضي في محكمة العاصمة العليا المعبر عنها « بهيكوت » وجناب القانونى البارع شرف الدين عمر . وهو من الشبان المتخرجين من مدارس لوندرة وقد بلغ في الذكاء والفطنة مبلغا يغبط عليه . وحضرة الاصولي المتفنن أبو الحسن خال القاضي في محكمة العاصمة الابتدائية وحضرة المولوي عبد الجبار الذي خدم البوليس اجل خدمة . وحضرة المفضال بدر الدين حيدر . والسيد زهر الدين . والمولوي شمس الهندي. وحضرة المفضال الحاج نور محمد زكريا زعيم المسلمين بالعاصمة . وخلق هذا الرجل قل فيها ما شئت وشاء لك المدح والثناء . وحضرة المفضال جناب شمس العلماء العلامة المحقق المولوي احمد المدرس الاول بالمدرسة العالية وجناب الفاضل المولوى ولاية حسين المدرس الثاني بهذه المدرسة وحضرة الشهم الاديب الشيخ على حسن جوهر من أكابر تجار العاصمة وهو وحيد العصر في كلكته أدبا وظرفا وذكاء وله باع في الشعر البليغ يدل على سبقه في هذه الصناعة . وحضرة العلامة المفضال اللغوي الشهير الذي حاز علوم المعقول والمنقول المولوي عبد المجيد المرادابادى المدرس الاول بالمدرسة الصالحية وحضرة الاستاذ العلامة الدكتور نور محمد الشندي مدرس الطب والرياضة في المدرسة الاسلامية بالعاصمة وسعادتلو المفضال محمد بك العمري البيروتي ابن محمد افندي رشيد وهو من اشهر التجار في الهند كما انه من أشهر علماء التاريخ والجغرافيا ولا باس بعلمه في الفقه ذو كرم باهر وحياء كامل

لا يميل الى اللغو حر الضمير . وهؤلاء الافاضل المتقدمين تلقوا العلوم والآداب على أكابر علماء الهند وفضلائهم عدا حضرتي الفاضلين الشيخ حسن جوهر وسعادة محمد بك العمري فان الاول تلقى العلوم في مكة المشرفة والثاني من متخرجي مدارس الدولة العلية التي يحبها ويتفانى في الاخلاص اليها .

وكلهم قد اتفقت قلوبهم وانعقدت خناصرهم على محبة حضرة العلامة الشيخ احمد موسى المنوفي وإجلاله واحترامه نفع الله بهم الامة الاسلامية والشبيبة الهندية .

﴿الصحافة في الهند﴾

اذا بحثنا بحث المدقق في أحوال واطوار الامم في هذا العصر نجد أن الامة التي تكثر فيها الاحزاب السياسية أو ماشاكلها في الاختلافات في العوائد المذهبية تكون الصحافة فيها رائجة . ومثالنا على هذا رواج الصحافة في الامم التي فيها الحكم الذاتي او المجالس النيابية أما اذا كانت الامة مخالفة لهذه الحالة فان الصحافة فيها تكون بطيئة الترقي . وان كانت على جانب من الحرية . أو يكون ترقيها من حيث كثرة العدد لا من حيث التأثير .

وقد توجد هذه الاسباب الباعثة على ترقي الصحافة في أمة لم تبلغ مبلغاً عظيماً من الرقي العلمي فيكون التأثير بنسبة هذا الرقي العلمي الادبي وهو الحاصل في الهند . فانه يوجد الخلاف بين اهل المذاهب هناك مع وجود التأخر الادبي . فلذلك كانت الصحافة لها تأثير بحسب النسبة المتقدمة اذ توجد جرائد يومية واسبوعية بعضها باللغة البنقالية واللغة الهندية والبعض الآخر باللغة الانكليزية ولكن نسبة عدد هذه الجرائد الى عدد الاهالي

قليلة جدا ومع هذه القلة فان من هذه الجرائد ما يصدره البنقاليون وكلها ترمي الى غرض واحد هو تنفير الاهالى من الانكليز واغراء المسلمين الى الانضمام اليهم. ومنها مايصدره الانكليز وكلها ترمي الى غرض واحد وهو تحذير المسلمين ونصحهم بان لا تغتروا باقوال تلك الصحف. أما الجرائد التي للمسلمين وهى قليلة فخطتها معتدلة ومطالبها التي تطلبها من الحكومة هى نفس المطالب التي تكون من امة شعرت بحاجتها إلى الترقي الادبي مع الاعتدال في اللهجة والتزام خطة الادب. وقد يطول بنا المقام في وصف خطة كل جريدة على حدتها ولذلك نكتفي بذكرها مجردة عن كل ملاحظة اذ في ما اجملناه بلاغ للعاقل السياسي.

فمن أشهر الجرائد الوطنية هناك جريدة «اديتربنقالي» وجريدة عمبريتابازارتبركا» وجريدة «اندين مرر» وجريدة «بندامترام» وهذه الجرائد يومية وتحرر باللغة الانكليزية.

ومن أشهر الجرائد الانكليزية أي التي يدير سياستها الانكليز جريدة «انكليشان» وجريدة «استيتمان» وجريدة «ديلى نيوز» وجريدة «اثيالى» وغير هذه الجرائد وكلها أيضاً يومية واعدلهم خطة وميلا إلى المسلمين جريدة انكليشان.

ويؤخذ من ميل الجرائد الانكليزية الى المسلمين أن الحكومة تنظر اليهم نظر الاحترام بخلاف غيرهم لان هذه الجرائد الانكليزية هي بالطبع لسان حال الحكومة.

وان نظر الحكومة الى المسلمين هذا النظر لا يؤخذ منه أنها تفعل هذا عن اخلاص لان السياسة خصوصا عند الانكليز تقضي بان يحترم المرء

غيره وهو في الحقيقة لا يريد له الخير . ولو كانت الحكومة أو بعبارة أخرى دولة انكلترا تريد بهم الخير لمنحتهم الحكم الذاتي .

*
* *

أما المجلات العلمية فلا تكاد تذكر هناك لقلتها ولذلك لا أقول عنها شيئاً

﴿ ترجمة حياة الشيخ احمد موسى ﴾

هو ذلك العالم العامل . والاستاذ الفاضل . بحر العلم الذي ليس له ساحل . وطود العرفان . الموفي على جبلي نعمان . رضع افاويق العلوم صبيا . وجني ثمر الآداب فتيا . حتي أصبح قدوة فضلا وأدبا . واتخذ سبيله في بحر المكارم عجبا . دين أبعده عن الشبهات . وطهارة نفس جملته باجمل الصفات . وورع حال بينه وبين الشهوات . وعلم طبقه على العمل باخلاص نية . وصدق طوية . غيور على حرمة الدين . حريص على مصلحة المسلمين . اذا تكلم يزين كلامه التبيان . واذا صمت كان صمته من البيان . يطرب سميره كأنه يسمع الالحان . أو ثمل بينت الحان . هو النواسي الا أنه طاهر الذيل . عفيف الميل . والاصمعي في النوادر المستظرفة . والنكت المستطرفة

وخطيب لو قام بين وحوش   علم الضاريات بر النقاد

هو الدرة التي لا تعرف قيمتها الا بعد ظهورها من المحار وخروجها من قاع البحار . كريم يرى النيل عند المواهب . لا يكفي لشارب ووطني يعد ابن وطنه اقرب الاقارب .

عزوف النفس الا في المعالي   فذو طمع عظيم أشعبي

يظن الظن تلقيه يقينا أماجربت ظن الألمعي

هو في الهند كالسيف انتضى من الغمد على أنه يحن الي وطنه حنين الفنيق الى عطنه . ترمقه الابصار. اينما حل وسار . بالتجلة والاعتبار . ولا غرو اذا كان كذلك فهو كالغيث اينما وقع . نفع . ومجمل القول أنه طود على. ونجم هدي . وعلم تقي . وبحر علم زاخر . وبدر فضل زاه زاهر . أو كما قال الشاعر

كريم متى أمدحه امدحه والوري معي واذا ما لمته لمتـه وحدي

*
* *

وانى مهما بالغت فى الثناء والاطراء واستعرت ألسنة البلغاء فلا أبرح عن موقف العجز عن ايفاء هذا الفاضل ماهو خليق به من شكره على حسن عنايته بي واحتفائه الفائق بصديق لم تتصل بينه وبينه أسباب المودة الامن طريق المخاطبة بالمكاتبة لا بالاختبار والمعاملة . ولا شية في هذه فان القلوب جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف من قبل أن تخلق لها الاجسام .

وإني وان كنت عاينت مصاعب في رحلتي الى اليابان فلم يكن شيء أشد صعوبة لدي من عدم مرافقتي هذا الفاضل لانه عقب أن خاطبني في هذا الامر ألم به مرض عاقه عن السفر كما أخبر بهذا واعتذر .

ولكن الله سبحانه وجل شأنه لايحرم العبد من الثواب اذا عزم على فعل الخير ولم تساعده المقادير علي الشروع فيه فهو مشكور مأجور .

وهذا هو تاريخ حياته

هو أحمد بن موسى بن مصطفى بن اسماعيل من عائلة النحولة المشهورة بمديرية المنوفية . ولد سنة ١٢٨٠ ﻫ في بلدة طليا التابعة لمركز اشمون أحد مراكز مديرية المنوفية . ولم يكد يخرج من سن المراهقة حتى أخذ والده يعتني بتربيته فأدخله مكتب أحد فقهاء البلدة لحفظ القرآن الشريف حفظا جيدا وتلقي مبادئ القراءة والكتابة ولما بلغ الخامسة عشر من سنه وهو السن الذي يؤهله الى احتمال آلام الفرقة أرسله الى الازهر المعمور سنة١٢٩٥ﻫ فانكب على تلقي العلوم بانواعها على أفضل المشائخ وأجل العلماء واظهر براعة فائقة وذكاء نادرا حتى أعجب به كل من لازمه في حلقات الدروس من الطلبة والمدرسين وبعد زمن فاجأته نوائب الدهر وحوادث الايام بموت والده فمكث بعد ذلك زمنا قليلا ثم دعته ظروف الاحوال الى الاشتغال بالتجارة فاشتغل بها نحو سنة وبضعة أشهر . وبما أنه أحرز شهرة في اثناء تلقي العلم بالذكاء وسعة الاطلاع كانت الطلبة تفد اليه للاستفادة فكان يلقي عدة دروس في علوم المعقول والمنقول . ثم رأي ان التجارة قد شغلته عن العلم فتركها اذ لم يكن اشتغاله بها لضيق أبواب المعاش

*
* *

ثم بدا له ان يتجول في بلاد القطر للوقوف على أحوال المسلمين من جهة أمور الدين وغير ذلك شأن السائحين في كل أمة وزمان خصوصا من حرفتهم افادة العلوم من أئمة المسلمين فتوجه الى الصعيد سنة ١٣٠٥ ﻫ ووجهته مدينة أصوان وعرج في طريقه على مدينة قنا لزيارة ضريح ولي الله سيدى عبد الرحيم القنائي ونزل ضيفا كريما على قاضى مديرية قنا في ذلك الوقت اذ كانت بينهما صداقة وكيدة ورابطة أزهرية متينة . وبينما هو مار مع القاضى

في بعض الشوارع اذا رآه بعض طلبة العلم وكان أوان عطلة الازهر فتعلقوا به ورجوه في اقراء بعض الكتب فابي طلبهم ودرس العقائد النسفية في علم التوحيد . وقد طلب منه أن يقرأ بعض كتب أخري فاعتذر بالسفر ولما حان وقت رحيله من قنا ودع وداعا شائقا لائقا بعالم فاضل مثله خصوصا من الطلبة الذين اغترفوا من بحر علمه واستناروا بضوء فهمه . فغادر قنا والقلوب تشيعه وهي آسفة على فراقه داعية له بالسلامة في الحل والترحال.

وقد مر في طريقه على بلدان كان فيها موضوع الاجلال والاحتفال ممن عرفوه أيام طلب العلم بالازهر . وقد انتهي به السير الى حلفا وكانت ثورة الدراويش في إبانها . وتوقد نيرانها . وصادف ان أحد كبار الضباط في الجيش المصري الذى كانت بينه وبينه سابقة صحبة كان في حلفا فاحتفل به وأكرم نزوله وطلب منه ان يلقي بعض الدروس المفيدة على أئمة الجند ففعل ذلك وكان ماألقاه في تفسير الذكر الحكيم. وكان بوده ان يتجول فى بلاد السودان فلم يوافقه ذلك الضابط لاسباب لاحاجة الى ذكرها هنا فعدل عن عزمه . وبعد قليل توجهت رغبته الى السفر الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة قبر خير الانام عليه الصلاة والسلام وكاشف صديقه الضابط برغبته فأعدله ذهبية وكل مايلزم من معدات السفر وكان عزم فضيلته ان يسافر من طريق القصير ثم ودع باحتفال من أهل حلفا لايقوم به وصف البليغ خصوصا من صديقه ذلك الضابط الكبير وكل ضباط الجيش لاسيما الائمة الذين افادهم بعلمه وفهمه . وفيما هو سائر في النيل في الذهبية علم به بعض طلبة العلم في بلدة يقال لها حجازة من أعمال مديرية قنا التي رست عليها الذهبية فطلبوا منه أن يقرأ لهم بعض كتب في

النحو والفقه فاعتـذر بعزمه على الحج فألحوا عليـه وتوسلوا ببعض أكابر البلدة حيث تعهد له أحدهم بالسفر معـه الى الحجاز لأدية الفريضة فأجاب الطالب وعادت الذهبية الى حلفا ودرس بعض كتب في النحو والفقه على مذهب الامام مالك رضى الله عنه وزادهم دروسا أخري في القرآن والحديث واقام في هذه البلدة محترما مبجلا من الصغير والكبير . ولما جاء أوان سفر الحج غادرها قاصدا القصير وذلك سنة ١٣٠٧ هـ .

ولما وصل الى جدة اقام بها اربعة أيام ثم توجه الى البلد الامين وأدى المناسك وقصد المدينة المنورة وزار قبر المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام وهناك حصـل بينه وبين فضـيلة الاستاذ التقي النقي الشيخ سيد محمد على السنوسي الشهير شيخ الطريقة السنوسية تعارف ومودة فأقام تسعة اشهر وهو يزاول مطالعة العلوم مع صديقه السيد محمد المذكور ويفيد المسلمين في كل أمور الدين وقد اجازه الشيخ السنوسي بقراءة كل العلوم في كل فن لما رآه فيـه من الكفاءة والاهلية . ثم بعد ذلك عاد الى مكة لانحراف صحته وكان قد سبق له بها تعارف مع الاسـتاذ العلامة الشيخ محمـد صالح صهر الشيخ ابراهيم الرشـيدي المشهور فنزل عنده ضيفا كريما . وفي اثناء اقامته بمكة عرف حضرة العـلامة الدراكة الشيخ اسماعيل الغراب فلازمه سنة وهما يطالعان كتب الحكمة والفلسفة . ثم غادر مكة قاصـدا بلدة المروعة ببلاد اليمن حيث اتصل به أنها بلدة حافلة بالعلماء الاجلاء فوصلها في المحرم من سنة ١٣٠٩ هـ وهناك عرف كثيرا من افاضل العلماء وفي مقدمتهم حضرة العلامة السيد حسن عبدالباري شيخ المدرسين وحضرة العلامة السيد محمد الطاهر مفتي البلدة

ثم اراد الذهاب الى بلاد الهند فرحل مع بعض الاعراب في قافلة عانى معهم بعض وعثاء السفر . ولكنه بعد ان وصل الى الهند اختار ان يذهب الى الصين واخذ يجوب في هاتيك الاصقاع وكلما سمع بعالم في بلدة رحل اليه فان وجده على علم أقام معه ماشاء الله له ان يقيم وقد مر ببلاد كثيرة من مستعمرات انكلتره وهولانده وعرف كثيرا من العلماء الفضلاء . وقد لاقى احتفاء زائدا في بلاد الصين حيث درس عدة كتب في المذهب الحنفي لان اهل الصين كلهم متمذهبون بهذا المذهب وفضيلته مذهبه مالكي فدرس لهم كتب غير مذهبه فأفاد واجاد . وفي أواخر سنة ١٣١٨ ﻫ قفل الى كلكته عاصمة الهند ولم يكن يستقر بها قدمه حتي ظهر فضله وشاع ذكره والتف حوله كثير من اهل الفضل واحتفوا به احتفاء باهرا والحوا عليه بان لايغادرهم بل يقيم معهم في عاصمة بلادهم وكان أكثر القوم الحاحا عليه هو ذلك العالم الفاضل الحاج محمد نور زكريا وجماعة من العلماء والاعيان وقد كان الواسطة الكبري في اجابة ملتمسهم حضرة الوجيه السيد يوسف بن السيد احمد الزواوي صاحب مسقط التاج العربي المشهور وكان من اعز أصحابه فلم تسعه المخالفة خصوصا وان حضرات المتقدم ذكرهم من افاضل علماء كلكته عرضوا عليه إمامة المسجد الكبير . ولما أجاب الطلب ونالوا منه الارب عين اماما للمسجد الجامع من أول المحرم سنة ١٣١٩ بل عهد اليه جميع شؤون المسجد فاقام الى الآن اماما محترما مبجلا يجله الامراء ويحترمه العلماء

***

على أن ذلك لم ينسه وطنه المحبوب فهو يحن اليه كلما لمع بارق

وذر شارق وكانه يقول

***

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادى وكل العالمين اقاربي

﴿ كلمة حق لا بأس بها ﴾

الى سمو الخديوى . الى العلماء . الى الاغنياء . ان الجناب الخديوى هو اكبر امير بين امراء المسلمين بعد مولانا السلطان . بل هو ساعد الخلافة الأيمن الذى ينظر اليه العالم الاسلامي المنتشر فى طول البلاد وعرضها نظر الاجلال والاحترام . وان العلماء في مصر هم مطمح انظار مسلمي الارض كافة لان الازهر كما قلنا في غير موضع من هذه الرحلة هو المعهد الدينى الوحيد الذى يرسل أشعة العلم الي سائر الجهات التى يقطنها المسلمون . وان الامة المصرية هي الامة التي حافظت على البقية الباقية من اخلاق وعوائد ولغة العرب الذى نشأ الدين في ربوعهم فكل امر يهم الاسلام والمسلمين يهم الجناب الخديوي والعلماء والامة المصرية بنوع خصوصي لهذا الاعتبار .

ولا شك ان عقد المؤتمر الدينى في بلادالشمس المشرقة هو من الامور ذوات البال التي من شأن المسلمين ان يجعلوها من الاهمية بمكان . والذى يذهب الى هاتيك البلاد ويشاهد البعثات الدينية الاخرى المسيحية وينظر الى آثار اعمالها يأسف كل الاسف حيث يرى مبلغ اهتمامها بامر الدين المسيحى حتى ان المبشرين يعدون بالمئات ولا يرى من يبشر بالدين الاسلامي الانفر يعدون على الانامل ولا يتجاوزون حركات العوامل . فمن لنا بمن يضم صوته

الى صوتنا مخاطبا اولا سمو الامير بقوله . ياسمو الامير ان الله سبحانه وتعالى قد وهبك من الغنى والثروة مالم يهبه لسواك من امراء المسلمين . وهذه الاوقاف ينمو ايرادها كل سنة نموا محسوسا فهل لك في أن تؤدى الى الدين خدمة ترفع من ذكرك في الملأ الاعلى وتحرك لسان كل مسلم بالثناء عليك وهي ممكنة لديك سهلة عليك الا وهى الجود بجزء يسير من مجموع ماتستغله من كل عام في سبيل نشر لواء الاسلام فى بلاد اليابان اذ تساعد به بعثة دينية ترسلها للتبشير به وهداية القوم اليه . يقولون ياسمو الامير ان الناس على دين ملوكهم ولا شك انك اذا صنعت هذا اقتدي بك اغنياء الامة التى انت ممثل لها وقائد زمامها فتؤلف بدل البعثة بعثات لاسيما وان اظهارك الاهتمام بهذا الامر يبعث في النفوس الرغبة في الذهاب الى بلاد اليابان واستسهالها كل صعب يصادفها في هذا السبيل .

يقول الشاعر ياسمو الامير

ليس بالمغبون حظا   من شرى عزا بمال
*   انما يدخر المـا   ل لحاجات الرجال   *

واي عز واي شرف واي فخر بعد خدمة الدين الذي اولى بان يبذل في سبيله المال الطارف والتالد .

يقول الله تعالى في كتابه العزيز (وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) فأيقن ولا تخالك الا موقنا انك اذا صرفت درهما واحدا أو دينارا واحدا تربح فى مقابلته عشرة اضعافه بل أزيد من ذلك ! والله لا يضيع اجر من احسن عملا : ان هذا الصوت الذي يناديك ياسمو الامير ليس صادرا من احد الافراد الذين تجمعهم بك جامعة الدين بل هو صوت كل

مسلم عرف مركزك وأحاط علما بكنه منزلتك بين المسلمين : فان أجبت الداعي وسعيت خير المساعي فقد حققت آمال المسلمين فيك وربحت ثناءهم عليك ودعائهم لك بالرشد والسداد . هذا فضلا عن الثواب العظيم الذى تناله من رب هذا الدين القويم .

ان هذا الامر ياسمو الامير ليس له ادنى تعلق بالسياسة ولا بشؤون الحكومة حتى يقال ان ظروف الاحوال تحول بين سموكم وبين اكتساب هذه المكرمة وانما هو امر ديني محض لا يعارضك فيه معارض ولا ينازعك فيه منازع . ولو كان الامر كذلك لكان للبعثات الدينية الاخرى صفة سياسية وهو بخلاف الواقع .

*
* *

الى العلماء

وانتم يا ايها العلماء وياورثة الانبياء ويا من هم بمنزلة النجوم في هداية الامة بل وياقدتها الى سبيل الخيرات كيف تقاعدتم وتكاسلتم واحجمتم عن اداء هذا الوجب الدينى .

الستم كهؤلاء المبشرين الذين خرجوا من ديارهم وفارقوا اهلهم وعشيرتهم وجابوا القفار وقطعوا عرض البحار . تارة يلفحهم الهجير . واخرى يضرهم الزمهرير . كل ذلك في سبيل نشر دينهم في تلك البلاد . ولم يكن ذهابهم اليها بمجرد علمهم بعقد المؤتمر وانما كان قبل هذا باعوام . اهم خلقوا من حديد حتى تكون قواهم فوق قوى البشر في احتمال مشاق السفر ام دينهم اوضح من دينكم حجة واقوى محجة . ام ذهبوا بدعوة خصوصية دون سائر الناس . ليس هذا ولا ذلك وانما الهمم تتفاوت والعزائم تتبارى

والواجبات صادفت من يؤديها ويقوم بها .

تحملنا لكم اسم العذر من سكوتكم عن محو هذه البدع التى فشت وانتشرت في البلاد. وكثر من جرائها الفساد . وحطت من كرامة الدين. وقلنا ان الذنب للحكومة التي اباحت فتح بيوت المومسات العاهرات. وسهلت للشبان الدخول في الحانات ومغازلة الغانيات الراقصات جهارا بلا خفاء ولا استحياء . فقولوا لنا يارعاكم الله ماعذركم في عدم تاليف لجنة منكم تذهب الى بلاد اليابان او الصين للدعوة الى الاسلام .

قولوا لنا وقولكم الحق وأصدقونا الحديث وأنتم أهل الصدق. اتوءلف اللجنة من السماسرة والتجار . ام من كل بناء ونجار . أم من الصيدليين والميكانيين وانتم بين جدران الازهر تتلون الكتاب كتاب الله ، وتفسرون معناه. وتدرسون حديث الرسول وعلوم المعقول والمنقول. وتلقبون بالالقاب الجليلة . مابين العلامة وصاحب الفضيلة .

ان وظيفتكم ليس في الزي واللباس. وليست قاصرة على حمل الكراس بل وظيفتكم تاييد الدين. ورعاية شأن المسلمين ، فالدعوة الى الاسلام. اولي منكم بالاهتمام . الم تفهمونا معنى قول سيد الكائنات (انما الاعمال بالنيات) الم تقرؤوا في الكتاب المبين قوله تعالي (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله)

اتري لو عقد هذا المؤتمر الديني في عصر الخلفاء الراشدين اوفي دولة الامويين والعباسيين ، أكان العلماء في تلك العصور يعتريهم قصور أو تقصير

عن الذهاب الي بلاد اليابان . أم كانوا يذهبون اليها سعيا على الاقدام . خصوصا وأن هذا العصر قد سهلت فيه اسباب السفر . فقطار سكة الحديد . يقطع عرض البيد . بلا تعب ولا اعياء ولا حثا على السير بالحداء وهذه السفن تجوب البحار بقوة البخار لا يعطلها ركود الرياح . ولا قلة خبرة الملاح . تقطعون فوقها من المسافات . في قليل من الساعات . لا يقطعونه في عشر أمثالها لو كنتم على ظهر اليعملات . او الجياد الصافنات . لا يمنعكم الهجير . ولا الزمهرير . عن متابعة المسير . هذا فضلا عن الامان . في كل مكان .

***

الآن لنا العذر ان ملأنا الفضاء . بالبكاء أو مزق الاسف الاحشاء . أو وقفنا على جدث الامام . مفتي الانام الشيخ محمد عبده وقلنا . ايها الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم . أسامع فتنادي . أم عدتك عن السماع العوادي . أترى لو كنت في زمرة الاحياء . وسمعت بهذا الخبر . من عقد المؤتمر . أكنت تعيره الأذن الصماء . أم كنت تشحذ حد الهمة الشماء . والعزيمة القعساء . وتدعوا الاغنياء الى بذل المال . لتأليف وفد من خيرة الرجال . الذين لهم قدم في فلسفة الدين راسخة . وهمة في خدمته شامخة . تزودهم بعلمك وارشادك . وحكمتك وسدادك ليذهب الى بلاد اليابان . لنشر لواء الاسلام

لا والذي أمره الامر . والذي يعلم السر والجهر . وحكم عليك بسكنى القبر . لو كنت فينا حيا ما كنت تقصر عن هذه الخدمة الدينية . واحراز هذه الفضيلة السنية . فرحم الله أياما كنت فيها تسدد من الفعل

والقول . وسقى الغيث زمانا كنت فيه صاحب الحول والطول . وعزانا عليك بخلف عنك تلقى عهود المعالى . ومنك استقى شآبيب الشرف العالى . ليكون منك خير العوض . بل الدواء الشافى مما حل بالامة من المرض . واسكنك في دار النعيم والملك الكبير . انه السميع المجيب القدير

فاتقوا الله أيها العلماء وراقبوه . وأدوا وظيفتكم في الهيئة الاجتماعية والا فعلى الاسلام . والدنيا السلام

الى الاغنياء

اما انتم ايها الاغنياء والموسرون فانكم خالفتم سيرة كل ذوى الغني واليسار من الامم الاخري . تلك السيرة التي انتم بها أولى واحرى اذ انتم تجهدون انفسكم ليل نهار في كسب الدرهم والدينار . وتبذلون ماتجمعونه في سبيل الملاهى والعقار . ومظاهر الابهة والفخار . أو في لعب القمار . أو تكتنزونه خوفا من الدهر . ان يوقعكم في شرك الفقر . او تدلون بهالي الحكام . طمعا في رتبة او نيشان . او يساعدوكم على ظلم فلان وفلان .

أما هؤلاء فانهم يبذلون أموالهم في نشر العلوم والصنائع . وغير ذلك من وجوه المنافع . وبذلك سادت الامم الراقية وارتقت بمقدار انحطاطكم في الهمم . أليس من الخسران المبين انكم تمنعون زكاة المال ولاتودون شكر المنعم به عليكم وتذهبون في كل صيف من كل عام الي أوربا وتبدرونه ذات اليمين وذات الشمال في سبيل شهواتكم النفسية وبعد صرف الدرهم والدينار تعدون محتقبين الاوزار والذل والعار على حين انكم ترون الاغنياء من الامم الاخري تجود بالمال للبعثات العلمية والدينية وترقية العلوم العصرية . ما ذا عليكم لو فتحتم اكتتابا لتأليف بعثة دينية تسافر الى بلاد

اليابان وتنشر التعاليم الدينية . والعقائد الاسلامية . على ان المال لديكم لا يوزن بالميزان . بل يكال بالقفزان . هلا يوجد منكم الف ولو على وجه التقريب يجود كل واحد بنصف مايصرفه في شهواته البهيمية ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه . اما دينه فلانه سعي في الدعوة اليه وأما وطنه فلانه بفعله هذا يجعل الامم الاخرى ترمق المصري بعين الاعتبار . واما نفسه فلانه أ كسبها فضيلة من أعظم الفضائل .

هذه كلمتي قلتها واني على يقين بانها لا تعدم منصفا كشف الله عن بصيرته حجاب الضلال . ولا تلبس عليه الحق بزور المقال . كما انها لا تعدم من من خلقه المجادلة في الله بغير علم ولا هدي والله يرشدنا الى الطريق المستقيم .

﴿ كلمة الى الادباء ﴾

قيل في الامثال لكل مقام مقال . ولا يخفي على حضرات أمراء الكلام . ومستخدمي الاقلام . القائدين البلاغة بزمام . أن المواطن التي في زخرفتها كناية وتشبيها . وغير ذلك من الانواع البديعية . والعدول عن ذكر الحقائق الى التراكيب المجازية . انما هى المواطن التى لا تعرض الا علي أهل الصناعة الادبية . أوالمقامات الملوكية . أوالرسائل الغرامية . ولكن في المواطن التي يعرض فيها الكلام على الخواص والعوام فلا حاجة فيها الى تلخيص المعاني . وزخرفة المباني . وهذه قاعدة سنها القدماء . من الادباء . فيجب على عدم الاتيان . باللفظ الغريب . أوالتأنق في التركيب . والا فهو بالعتب أولى . والسلام اه

﴿ بيان الخطأ والصواب . الواقع في هذه الرحلة ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٣	يخالف	يحالف
٧	١٤	جلسان	جلسات
٨	٥	صيحة	صبيحة
٨	١٣	العراعنة	الفراعنة
٨	١٩	لذاهبة	الذاهبة
١١	٩	والمسبح	والمسيح
١٤	١٠	ياشا	باشا
١٤	١٢	سائز	سائر
١٥	٦	التصقب	التصقت
١٥	٩	حيت	حيث
١٥	١٢	تمثيل	تمثل
١٥	٨	نحت	تحت
١٥	١٩	كنينا	كتبنا
١٧	١	ارى	أر
١٨	١	واحتلت	واحتلت
١٩	٦	عاصمة	عاصمة
١٩	١٦	فانقمت	فانتقمت
٢٢	٣	ولاقتصادية	والاقتصادية
٢٢	١٣	ذان	ذات
٢٢	١٨	اصياتنها	اصيانتها
٢٣	٤	بأجل	بأجمل
٢٣	٥	المالك	الملك
٢٤	٤	فالنفت	فالتفت

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١١	النلاهذة	التلامذة
٢٦	٦	العتال	القتال
٢٦	٨	كثبرا	كثيرا
٢٦	١٨	السفر	السفير
٢٦	١٨	ذا	اذا
٢٧	١٨	لرحل	الرجل
٢٩	١	اهـا	اهمها
٣٠	٦	النورمنديين	النورمنديين
٣٠	١١	وجعلن	وجعلت
٣٢	١٨	صغ	صبغ
٣٣	١٠	جمعث	جمعت
٣٤	٧	لذين	الذين
٣٥	١٠	عيسار	عليسار
٣٨	٢	لوندال	الوندال
٣٨	١٣	لرومانيين	الرومانيين
٣٨	١٧	ملكة	ملكه
٣٨	٢٠	مستعرات	مستعمرات
٣٩	٢	دحلوا	دخلوا
٣٩	٣	النار يخ	التاريخ
٣٩	٨	ذا	اذا
٤٢	١٢	لموافقة	الموفقة
٤٤	٩	تقى	تلقى
٤٤	١٥	اصبج	اصبح
٥٠	٢	احص	اخص

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥٠	١٣	لرى	الرى
٥١	٢	اخلطت	اختلطت
٥٥	١٢	احنلوها	احتلوها
٥٦	١١	اتبنا	اتينا
٥٨	١٦	لذي	الذى
٦١	٣	يتد كرون	يتذ كرون
٦٢	١٤	النفاني	التفاني
٦٦	٢١	وصداقتها	لصداقتها
٦٩	٣	الد كر	الذ كر
٦٩	١٦	الماذرة	المناذرة
٧٠	١٣	لرئساة	الرئساة
٧١	٢	ينظر	ينظر
٧١	٣	لراي	الراي
٧١	١١	الاصر	الناصر
٧٦	٢	لمآثر	المآثر
٧٨	٣	وطننتم	وظننتم
٧٩	٣	اضجي	اضحي
٨٢	١١	لمسلم	المسلم
٨٣	٢	لا يعمل	يعمل
٨٣	٥	مدينة	مدنيه
٨٣	٦	المدينة	المدنية
٨٥	٣	لركاب	الركاب
٨٧	١٤	لذي	الذي
٩٥	١	يتجاوزا	يتجاوزوا
١٠٣	٩	لرقى	الرقي
١٠٤	٨	تبين	تبين

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠٤	١٢	كنديكانافا كا	كنديكانافا
١٠٥	١٥	تبين	تيين
١٠٦	١٧	مقابر	مقابر
١٠٩	٢٠	الماخ	المناخ
١٢١	٨	لرسول	الرسول
١٢١	٩	لله	الله
١٢٢	٢٠	وجدته	وجدت
١٢٣	٢	منغير	متغير
١٢٣	٩	ونعني	و يعني
١٢٤	١٧	يمكتنا	يمكننا
١٣٠	١١	اعحز	اعجز
١٣٤	٨	الملوك	ملك الملوك
١٣٨	١٧	بينهما	أبينها
١٤٢	١	يسمج	يسمح
١٤٣	٢٠	اليها	اليهم
١٤٤	١٦	يتفاني	يتفاني
١٥٨	٣	افتتاحه	افتتاحه
١٦٥	١٤	الخيفة	الخليفة
١٦٥	١٧	وطنيتهم	ووطنيتهم
١٦٦	٦	بلاثمار	بالاثمار
١٧١	١٥	النساء النساء	النساء
١٧٢	١	اكتب	اكتتب
١٨٣	١١	الفضايا	القضايا
١٨٨	٦	شرفت	فرشت
[illegible]	١٩	لامراض	الامراض
[illegible]	٣	لذي	الذي